قاعدة في
المحبة

تأليف
شيخ الإسلام ومفتي الأنام
أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق
أبو عبد الرحمن
فواز أحمد زمرلي

دار ابن حزم
المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠

دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧

عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون : ٧٠١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

مَنْ يهده اللَّهُ فلا مضلّ له.

ومَنْ يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذه رسالة في الحب والبغض، وبيان الممدوح والمذموم منهما، وبيان الضوابط الشرعية للحب الصحيح. سطرتها يراعة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بأسلوبه الماتع، وعبارته السيالة الجزلة.

ولقد شرّفني الله بالاعتناء بها وتحقيقها وإخراجها للناس في زمن ضاعت فيه الحقائق، وانقلبت الموازين، وتغيّرت المعايير، فأصبح الباطل حقاً، والحق باطلاً، وأصبح الناس في فوضى وعبثية وغوغائية.

ولقد استوقفتني رسالة أرسلها سعيد بن العباس أبو عثمان الرازي المترجم له في الحلية ١٠/ ٧٠ - ٧٣ إلى إبراهيم بن عيسى الزاهد، وهي في طبقات المحدثين لأبي الشيخ ٢/ ٣٤٦ - ٣٤٩ ومما جاء فيها:

«واعلم يا أخي أنك في الزمان الذي وصفه الله فقال:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾ [البقرة: ١١].

والزمان الذي لا تدري ذا المال من أين اكتسب ماله، أمن حلال أم من حرام؟

يأكل الربا، فإن لم يأكل أصابه من غباره.

والزمان الذي قال النبي ﷺ: «يكذّب فيه الصادق، ويصدّق فيه الكاذب».

والزمان الذي كان أصحاب النبي ﷺ والتابعون يخافونه؛ فقد ابتلينا بكثرة الهوى والخصومات في الله، والمجادلة في القرآن، وقد أميتت السنن، وأحييت البدع.

وأرجو ـ إن شاء الله ـ لو لم يبق أحد في الدنيا إلاّ رجل واحد من أهل السنة والجماعة، لكان أكثر؛ لأنه دين الله الأعظم، الذي أظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

وقد ينبغي يا أخي للعاقل أن يعرف أهل زمانه، ولا يأتمن على دينه أحداً، فإنّ العبد إذا علم أنه خلق وحده، ويموت وحده، ويحاسب وحده، وما قدّر الله له من الذنوب والخطايا، لا يحمله عنه غيره يكون حذراً، ويتوقع رسول رب العالمين عند كلّ نفس، وعند كل كلمة، وعند كلّ خطوة.

والدنيا ميدان الله، والمؤمنون خيل الله: اليوم المضمار، وغداً السباق، ولا يجاوز الصراط إلاّ كلّ ضامر مهزول من خشية الله.

وأعلم يا أخي أنّ الأمر جدّ ليس بالهزل، واسأل الله أن يجعل مرافقتك مع أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، ومع عثمان ذي النورين، ومع علي بن أبي طالب أخي رسول الله، وابن عمه ختن رسوله، وسيف رسوله، يبارز الأقران بين يدي رسول الله ﷺ. فهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين عملوا بطاعة الله وبكتابه، وسنة نبيه ﷺ» اهـ.

وقد روى ابن بطة في مقدمة كتابه الماتع: «الإبانة» بعض الآثار عن الصحابة والتابعين ومن ذلك ما رواه عن ابن عباس قال: ما يأتي على الناس عام إلاّ أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن. (١١) ص١٧٧ ـ ١٧٨.

وروى عن الحسن قوله: ذهبت المعارف، وبقيت المناكر، ومَنْ بقي من المسلمين فهو مغموم. (١٩) ص١٨٤ ـ ١٨٥.

وروى عن حزم بن أبي حزم القطعي قال: مَرَّ بنا يونس على حمار ونحن على باب ابن لاحق، فوقف، فقال: أصبح مَنْ إذا عرف السنة عرفها غريباً، وأغرب منه مَنْ يعرفها. (٢٠) ص١٨٥.

ثم روى عن عبد الله بن مسعود قال: ذهب صفو الدنيا فلم يبق إلاّ الكدر، فالموت اليوم تحفة لكلّ مسلم. **(٢٢) ص١٨٦ ـ ١٨٧**.

وروى عن الحسن قوله: مالي لا أرى زماناً إلا بكيت منه، فإذا ذهب بكيت عليه.

ثم قال الإمام ابن بطة العكبري معلقاً **١/١٨٦**: «إخواني، فاستمعوا إلى كلام هؤلاء السادة من الماضين، والأئمة العقلاء من علماء المسلمين، والسلف الصالح من الصحابة والتابعين، **هذه أقوالهم والإسلام في طرافة ومطاوعة وعنفوان قوته واستقامته، والأئمة راشدون، والأمراء مقسطون، فما ظنكم بنا وبزمان أصبحنا فيه وما نعانيه ونقاسيه ولم يبق من الدين إلاّ العكر، ومن العيش إلاّ الكدر، ونحن في دردى الدنيا وثمادها**».

فإذا كان هذا هو كلام مَنْ عاش القرون الفاضلة، فما ظنكم بنا اليوم ونحن في القرن العشرين، ماذا نقول؟ فالله المستعان وعليه التكلان.

ولقد قسمت هذه المقدمة إلى فصلين:

الفصل الأول: تكلمت فيه عن حب الله تعالى، معناه، وشروط الحب الصحيح، وعلامة الحب الصادق، والأسباب الجالبة لمحبة الله للعبد، ولمحبة العبد لله تعالى.

الفصل الثاني: ترجمت فيه لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وتكلمت فيه عن منهجنا في تحقيق هذه الرسالة.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

❋ ❋ ❋

الفصل الأول

محبة اللَّه تعالى

معناها ـ شروطها ـ علاماتها الصادقة



حب الله تعالى

حب الله تعالى شرط من شروط الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فدلّ ذلك على أنّ حب الله جل جلاله من الإيمان.

وحب الله ينبغي أن لا يدانيه ولا يساويه حب ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

فأبان بهذا أنّ حب الله وحبّ رسوله ﷺ والجهاد في سبيله فرض، وأنه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحب إليهم منه.

وبمثل ذلك جاءت السنة:

فقد روى أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قوله:

«ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان:

ـ أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما.

ـ وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله.

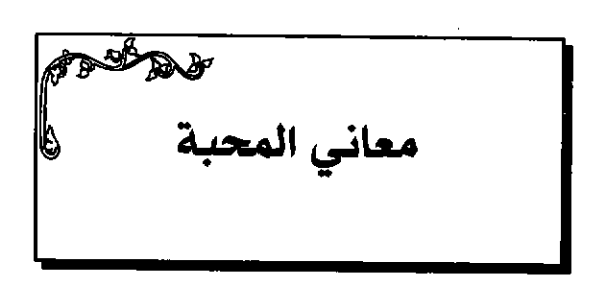
وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يوقد له نار فيقذف فيها»[1].

وقال سفيان بن عيينة: والله لا تبلغوا ذروة هذا الأمر، حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله ـ عز وجل ـ، ومن أحب القرآن فقد أحب الله ـ عز وجل ـ[2].



(١) رواه البخاري (١٦ ـ ٢١ ـ ٦٠٤١ ـ ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣)، والترمذي (٢٦٢٤)، والنسائي ٨/ ٩٤ ـ ٩٦ ـ ٩٧، وابن ماجه (٤٠٣٣)، وأحمد ٣/ ١٠٣ ـ ١٧٤ ـ ٢٤٨، والطيالسي (١٩٥٩)، وابن حبان (٢٣٧ ـ ٢٣٨) والبيهقي في الشعب ٢/ ٣٦، والبغوي (٢١).

(٢) شعب الإيمان ١/ ٣٦٥.



معاني المحبة

قال الحليمي[1]: محبة الله اسم لمعانٍ كثيرة:

أحدها: الاعتقاد أنه ـ عزّ اسمه ـ محمود من كلّ وجه، لا شيء من صفاته إلاّ وهو مدحة له.

الثاني: الاعتقاد أنه محسن إلى عباده، منعم متفضّل عليهم.

والثالث: اعتقاد أنّ الإحسان الواقع منه أكبر وأجلّ من أن يقضي قول العبد وعمله، ـ وإن حسنا وكثرا ـ شكره.

والرابع: أن لا يستقلّ العبد قضاياه، ويستكثر تكاليفه.

والخامس: أن يكون في عامّة الأوقات مشفقاً وَجلاً من إعراضه عنه، وسلبه معرفته التي أكرمه بها وتوحيده الذي خلّاه وزينه به.

والسادس: أن تكون آماله منعقدة به، لا يرى في حال من الأحوال أنه غني عنه.

السابع: أن يحمله تمكُّن هذه المعاني في قلبه على أن يديم ذكره بأحسن ما يقدر عليه.

والثامن: أن يحرص على أداء فرائضه والتقرب إليه من نوافل الخير مما يطيقه.

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧، وشعب الإيمان ١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

والتاسع: أن يسمع من غيره ثناء عليه، وعرف منه تقرباً إليه وجاداً في سبيله سراً أو إعلاناً مالاه ووالاه.

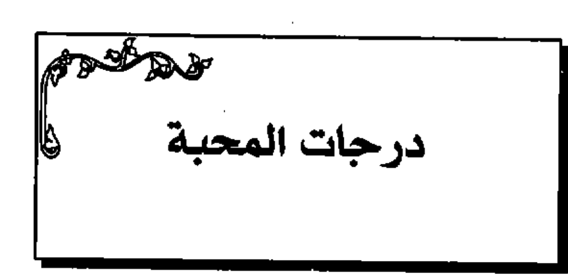
والعاشر: إنه إن سمع من أحد ذكراً له أعانه بما يخل عنه، أو عرف منه غياً عن سبيله سراً أو علانية، باينه وناوأه.

فإذا استجمعت هذه المعاني في قلب أحد فاستجماعها هو المشار إليه باسم محبة الله تعالى جده» اهـ.

قال الجنيد: سمعت الحارث المحاسبي ـ وسئل عن المحبة ـ فقال: ميلك إلى الشيء بكليتك محبة له، ثم إيثارك له على نفسك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه[1].



(١) الشعب ١/ ٣٨٣.



درجات المحبة

إنّ محبة الله سبحانه وتعالى على درجتين:

إحداهما: فرض لازم، وهي أن يُحَبّ الله سبحانه محبة توجب له محبة ما فرضه عليه وبغض ما حرمه عليه، ومحبة رسوله المبلغ عنه أمره ونهيه، وتقديم محبته على النفوس والأهلين ـ أيضاً ـ، والرضا بما بلغه عن الله من الدين، وتلقي ذلك منه بالرضى والتسليم، ومحبة الأنبياء والرسل، والمتبعين لهم بإحسان جملة وعموماً لله ـ عز وجل ـ.

فهذا القدر لا بد منه في تمام الإيمان الواجب، ومَنْ أخلّ بشيء منه فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أخلّ به من ذلك، فإنّ المحبة الواجبة تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات.

فهذه الدرجة من محبة الله فرض واجب على كل مسلم، وهي درجة المقتصدين أصحاب اليمين.

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين، وهي أن ترتقي المحبة

إلى محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعات، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه مما يألم النفوس من المصيبات، وهذا فضل مستحب مندوب إليه[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر استنشاق نسيم الأنس ص٣٠ ـ ٣٨، وكتابنا «قاعدة في المحبة» ص ١٧٦ ـ ١٧٧.

ما يستجلب به العبد محبة اللّه

من الأسباب التي تستجلب بها محبة رب الأرباب:

١ ـ معرفة الله تعالى[1]:

بأسمائه وصفاته وأفعاله.

قال عتبة الغلام: من عرف الله تعالى أحبه.

وقال بديل بن ميسرة: من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها.

وكلما قويت معرفة العبد لله قويت محبته له، ومحبته لطاعته، وحصلت له لذة العبادات من الذكر وغيره على قدر ذلك.

فإنّ مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلّبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، من الأسباب التي يستجلب بها محبة الله تعالى.

فمن عرف الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبّه لا محالة.

قال إبراهيم بن علي المَرِيدي: من المحال أن تعرفه ثم لا تحبه، ومن المحال أن تحبّه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم

---

(١) استنشاق نسيم الأنس ص٤٧ ـ ٥٠.

لا يوجدك طعم ذكره. ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ثم لا يشغلك به عما سواه[1].

ومن أعظم أسباب المعرفة الخاصة: التفكر في ملكوت السموات والأرض. وما خلق الله من شيء[2]: فإنّ القلوب مفطورة على محبة الكمال.

وفي القرآن شيء كثير من التذكير بآيات الله الدالة على عظمته، وقدرته، وجلاله، وكماله، وكبريائه، ورأفته، ورحمته، وبطشه، وقهره، وانتقامه، إلى غير ذلك من صفاته العلى، وأسمائه الحسنى، والندب إلى التفكّر في مصنوعاته الدالّة على كماله، فإنّ القلوب مفطورة على محبة الكمال، ولا كمال على الحقيقة إلا له سبحانه وتعالى.

ولهذا كان السلف يفضلون التفكر على نوافل البدن.

وروي ذلك عن ابن المسيب والحسن.

قال عمر بن عبدالعزيز: التفكر في نعم الله أفضل العبادة.

وقال عبيد الله بن محمد التيمي: أفضل النوافل طول الفكر.

وكان أكثر عمل أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ الاعتبار والتفكر.

وكلام الإمام أحمد يدل على مثل هذا ـ أيضاً ـ.

وقال ذو النون: تنال المعرفة بثلاث:

بالنظر في الأمور كيف دبّرها.

وفي المقادير كيف قدّرها.

وفي الخلائق كيف خلقها[3].

---

(١) شعب الإيمان ١/ ٣٧٠.

(٢) استنشاق نسيم الأنس ص٤٨.

(٣) المصدر السابق ص٤٩.

٢ ـ معرفة نعمه على عباده[١]: ومشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة؛ فإنها داعية إلى محبته.

فإنّ القلوب جبلت على محبة مَنْ أحسن إليها، ولا أحد أعظم إحساناً من الله تعالى.

قال ابن عطاء: كيف لا تحبّ واجدَكَ وما انفككت من تواتر نعمته قط، ولا تنفك أبداً، ولكن ضعف اليقين أو كدورة المعرفة ونقص الإيمان حجبك عن محبته والميل إليه[٢].

وقال أبو سعيد الخزاز: واعجباً ممن لم ير محسناً غير الله فكيف لا يميل بكليته إليه[٣].

وقال أبو الحسين الوراق: تتشعب شعب المحبة من دوام ذكر إحسان الله، فمن ذكر على الدوام إحسان الله إليه تنسّم ريح المحبة عن قربه[٤].

والحب على النعم من جملة شكر المنعم، وهو واجب على من أنعم عليه، ولهذا يقال: إنّ الشكر يكون بالقلب واللسان، والجوارح[٥].

٣ ـ كثرة ذكر الله تعالى، مع حضور القلب[٦]:

فمن أعظم ما تستجلب به المحبة كثرة الذكر مع الحضور.

قال ذو النون: مَنْ شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه

(١) استنشاق نسيم الأنس ص٤٥ ـ ٤٦، وشعب الإيمان ١/ ٣٨١.
(٢) شعب الإيمان ١/ ٣٨١.
(٣) شعب الإيمان ١/ ٣٨١، واستنشاق نسيم الأنس ص٤٥.
(٤) الشعب ٢/ ٣٨١.
(٥) استنشاق نسيم الأنس ص٤٦.
(٦) استنشاق نسيم الأنس ص٥٥.

نور الاشتياق إليه[1].

وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يقال من علامة المحبة لله دوام الذكر بالقلب واللسان، وقلّ ما ولع المرء بذكر الله - عز وجل - إلاّ أفاد منه حب الله عز وجل[2].

فالذكر باب المحبة.

٤ - معاملة الله بالصدق، والإخلاص ومخالفة الهوى[3]:

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله - عز وجل - معاملة الله بالصدق، والإخلاص، ومخالفة الهوى، فإنّ ذلك سبب لتفضل الله على عبده، وأن يمنحه محبته.

قال فتح الموصلي: من أدام النظر بقلبه أورثه ذلك الفرح بالمحبوب، ومن آثره على هواه أورثه ذلك حبّه إياه، ومن اشتاق إليه زهد فيما سواه، ورعى حقّه، وخافه بالغيب أورثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم[4].

٥ - تلاوة القرآن بالتدبر والتفكر[5]:

ومما يستجلب المحبة تلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ولا سيما الآيات المتضمنة للأسماء والصفات والأفعال الباهرات، ومحبة ذلك يستوجب به العبد محبة الله، ومحبة الله له.

وفي الصحيحين عن عائشة أنّ النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟

---

(١) الاستنشاق ص٥٥.

(٢) استنشاق نسيم الإنس ص٥٥.

(٣) استنشاق نسيم الأنس ص٤٥.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٩٣، واستنشاق نسيم الأنس ص٥٤.

(٥) استنشاق نسيم الأنس ص٥٥.

فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أنّ الله يحبّه»[1].

٦ ـ تذكّر ما في القرآن والسنة من رؤية أهل الجنة لربهم[2]:

ومن أسباب المحبة تذكّر ما ورد في الكتاب والسنة من رؤية أهل الجنة لربهم، وزيارتهم له، واجتماعهم يوم المزيد، فإن ذلك يستجلب المحبة الخاصة.

وقد أشار إلى ذلك الحسن، قال دلهم، عن الحسن: أوصيكم بتقوى الله ـ عز وجلّ ـ، وإدمان التفكر، فإنه مفتاح خلال الخير كله، وبه يخص الله كلّ موفّق.

واعلموا أنّ خير ما ظفر به مدرك من تفكر بخالصة الله، وشرب بكأس حبه، وإنّ أحباء الله هم الذين ظفروا بطيب الحياة، وذاقوا لذة نعيمها بما وصلوا إليه من مناجاة حبيبهم، وما وجدوا من حلاوة حبه في قلوبهم، **ولا سيما إذا خطر على بال أحدهم ذكر مشافهته، وكشف ستور الحجب عنه في المقام الأمين،** والسرور الدائم، وأراهم جلاله، وأسمعهم لذة منطقه، وردّ عليهم جواب ما ناجوه به أيام حياتهم، إذ قلوبهم به مشغوفة، وإذ مودتهم إليه معطوفة، وإذ هم له مؤثرون، وإليه منقطعون، فليبشر المصفون له ودّهم بالمنظر العجيب بالحبيب، فوالله ما أراه يحل لعاقل، ولا يجمل به أن يستوعبه حب أحد سوى حب الله ـ عز وجل ـ.

خرّجه ابن أبي الدنيا وغيره[3].

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٥) ١٣/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨، ومسلم (٨١٣) ١/ ٥٥٧، والنسائي ٢/ ١٧١، وابن حبان (٧٩٣)، ٣/ ٧٣.

(٢) استنشاق نسيم الأنس ص٥٦.

(٣) وانظر استنشاق نسيم الأنس ص٥٦.

٧ ـ العفاف وأخذ الكفاف[١]:

قال أحمد بن أبي الحواري لأبي سليمان الداراني: بم نال أهل المحبة المحبة من الله عز وجل؟

قال: بالعفاف، وأخذ الكفاف[٢].

٨ ـ موالاة أولياء الله عز وجل، ومعاداة أعدائه:

فإنّ موالاة أولياء الله عز وجل، ومعاداة أعدائه من الأسباب المهمة الجالبة لمحبة الله تعالى، وأصله الموافقة.

سئل المرتعش: بم تنال المحبة.

قال: بموالاة أولياء الله عز وجل، ومعاداة أعدائه[٣].

٩ ـ إيثار محابه على محابّ العبد عند غلبات الهوى: وعلامة الإيثار:

١ ـ فعل ما يحب الله إذا كانت النفس تكرهه وتهرب منه.

٢ ـ ترك ما يكرهه إذا كانت النفس تحبه وتهواه.



---

(١) شعب الإيمان ١/ ٣٨٢.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٨٢.

(٣) استنشاق نسيم الأنس ص٥٥.

ما يستجلب به العبد محبة اللّه له

من الأسباب التي يستجلب بها العبد محبة الله له ورضوانه عليه:

١ ـ انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى:

فليس شيء أحبّ إلى الله من هذه الكسرة والخضوع والتذلّل والإخبات بين يديه، والانطراح والاستسلام له.

٢ ـ الإكثار من النوافل:

قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «وما يزال عبدي يتقرّب إلي بالنوافل حتى أحبّه».

٣ ـ الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته:

وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب، والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

٤ ـ متابعة النبي ﷺ:

في أعماله وأقواله وأخلاقه.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

٥ ـ مجالسة المحبين الصادقين: فهم القوم لا يشقى جليسهم.

علامات محبة العبد للَّه تعالى

قال إبراهيم بن الجنيد: يقال: علامة المحب على صدق الحب ست خصال:

أحدها: دوام الذكر بقلبه بالسرور بمولاه.

والثانية: إيثاره محبة سيده على محبة نفسه ومحبة الخلائق، يبدأ بمحبة مولاه قبل محبة نفسه ومحبة الخلائق.

والثالثة: الأُنس به والاستثقال لكل قاطع يقطع عنه، أو شاغل يشغله منه.

والرابعة: الشوق إلى لقائه والنظر إلى وجهه.

والخامسة: الرضا عنه في كل شدة وضرّ ينزل به.

والسادسة: اتباع رسوله ﷺ.

ولقد ذكر أئمتنا الأعلام علامات كثيرة من علامة صدق المحبة لله تعالى، ومن ذلك:

١ ـ حب الموت، ولقاء الله، والشوق إلى النظر إليه[(١)]:

فإنه لا يتصور أن يحب القلب محبوباً، إلاّ ويحب لقاءه ومشاهدته.

فإنّ الشوق إلى لقاء الله درجة عالية رفيعة تنشأ من قوة محبة الله

---

(١) استنشاق نسيم الأنس ص٩٣ ـ ١٠٤، وشعب الإيمان ١/ ٣٧٩، و١/ ٣٧٣ ـ ٣٣٩.

عز وجل، وقد كان النبي ﷺ يسأل هذه الدرجة. فقد كان يدعو: «والشوق إلى لقائك».

والمسئول هنا الشوق إلى لقاء الله الناشئ عن محض المحبة.

وقد كان كثير من السلف الصالح يتمنون الموت شوقاً إلى لقاء الله عز وجل، فكان أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ يقول: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب الفقر تواضعاً لربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي.

وقال أبو عتبة الخولاني: كان إخوانكم لقاء الله أحب إليهم من الشهد.

وقال ذو النون: الشوق أعلى الدرجات، وأعلى المقامات، إذا بلغها العبد استبطأ الموت شوقاً إلى ربه، وحباً للقائه والنظر إليه.

وقال أبو عثمان: الشوق هو المحبة، من أحب الله اشتاق إلى لقائه.

وقال ـ أيضاً ـ: بقدر ما يصل إلى قلب العبد من السرور بالله يشتاق إليه، وعلى قدر شوقه يخاف من بعده وطرده.

٢ ـ الأنس به بالخلوة[١]: ومناجاة الله، وتلاوة كتابه، فيواظب على التهجد، ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق، فإنّ أقل درجات الحب التلذذ بالحبيب والتنعّم بمناجاته.

فمن كان النوم والاشتغال بالحديث ألذّ عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته، فإنّ اللذة تابعة للمحبة.

فعن مسلم بن يسار قال: ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله ـ عز وجل ـ.

وقال الفضيل: طوبى لمن استوحش من الناس، وكان الله أنيسه.

---

(١) شعب الإيمان ١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٥ ـ ٣٧٨، واستنشاق نسيم الأنس ص٧١.

وقال ذو النون: من علامات المحب لله ترك كل ما يشغله عن الله، حتى يكون الشغل بالله وحده.

ثم قال: إنّ من علامات المحبين لله أن لا يأنسوا بسواه، ولا يستوحشوا معه.

ثم قال: إذا سكن حب الله القلب أنس بالله؛ لأن الله أجلّ في صدور العارفين من أن يحبوا سواه.

وقال إبراهيم بن أدهم: أعلى الدرجات: أن تنقطع إلى ربك، وتستأنس إليه بقلبك، وعقلك، وجميع جوارحك، حتى لا ترجو إلاّ ربك، ولا تخاف إلاّ ذنبك، وترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر عليها شيئاً، فإذا كنت كذلك لم تبال في برّ كنت أو في بحر، أو في سهل أو في جبل.

٣ ـ الشغل بعبادته، ومحبة طاعته، والتقرب إليه عما سواه[١]:

فمحبة الله إذا صدقت أوجبت محبة طاعته وامتثالها، وبغض معصيته واجتنابها.

قال محمد بن سعيد الخوارزمي: سمعت ذا النون المصري ـ وسئل عن المحبة ـ قال:

أن تحب ما أحبّ الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير لله، وترفض كلّ ما يشغل عن الله، وأن لا تخاف في الله لومة لائم، مع العطف للمؤمنين والغلظة على الكافرين، واتباع سنة رسول الله ﷺ في الدين.

ـ وسئل أبو يزيد عن علامة من يحب الله وعلامة من يحبه الله، فقال:

من يحب الله فهو مشغول بعبادته ساجداً وراكعاً، فإن عجز عن

---

(١) انظر استنشاق نسيم الأنس ص٣٧ ـ ٦٢، وشعب الإيمان ١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ ٣٧٢ ـ ٣٨٥.

ذلك استروح إلى ذكر اللسان والثناء، وإن عجز استروح إلى ذكر القلب والتفكير، فأما من يحبه الله أعطاه سخاوة كسخاوة البحر، وشفقة كشفقة الشمس، وتواضعاً كتواضع الأرض.

وقال أحمد بن أبي الحواري: علامة حب الله حب طاعة الله.

وقال ذو النون: من علامة الحب ترك كل ما شغله عن الله حتى يكون الشغل كله بالله ـ عز وجل ـ وحده.

وفي ذلك قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه	هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك خالصاً لأطعته	إن المحب لمن يحب مطيع

٤ ـ كثرة ذكره[١]:

بل أن يكون مولعاً بذكر الله، لا يفتر لسانه، ولا يخلو عنه قلبه، فإنّ من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره، ومن ذكر ما يتعلق به.

قال إبراهيم بن أدهم: أعلى الدرجات أن يكون ذكر الله عندك أحلى من العسل، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف.

قال إبراهيم بن علي: من المحال أن تعرفه ثم لا تحبه، ومن المحال أن تحبه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره، ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ثم لا يشغلك به عما سواه.

٥ ـ محبة كلامه[٢]:

فإذا أردت أن تعلم ما عندك من محبة الله، فانظر محبة القرآن

---

(١) انظر استنشاق نسيم الأنس ص٥١، وشعب الإيمان ١/ ٣٧٠ ـ ٣٨٨.

(٢) استنشاق نسيم الأنس ص٦٨.

من قلبك، فإن من المعلوم أنّ مَنْ أحب محبوباً كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه.

قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله ـ عز وجل ـ فليعرض نفسه على القرآن، فمن أحب القرآن فهو يحبّ الله عز وجل.

فإنما القرآن كلام الله ـ عز وجل ـ، فمن أحب القرآن، فهو يحب الله عز وجل.

وقال عروة البارقي: حب الله ـ عز وجل ـ: حب القرآن، وحب رسول الله ﷺ: العمل بسنته.

٦ ـ الذلة له(١):

وفي ذلك يقول الفضل الرقاشي: والله لو جمع للعابدين جميع لذات الدنيا بحذافيرها لكان امتهانهم أنفسهم لله بطاعته ألذ.

وقال ذو النون: كل مطيع مستأنس، وكل عاصٍ مستوحش، وكل محب ذليل، وكل خائف هارب، وكل راجٍ طالب، وكل قانع غني.

وكان بشر يقول في دعائه: اللهم إنك تعلم أن الذل أحب إليّ من العز...

وسئل يوسف بن الحسين: ما بال المحبين يتلذذون بالذل في المحبة؟

فأنشأ يقول:

ذل الفتى في الحب مكرمة   وخضوعه لحبيبه شرف

وفي هذا المعنى يقول القائل:

---

(١) استنشاق نسيم الأنس ص٥١ ـ ٥٢ ـ ١١١، وشعب الإيمان ١/ ٣٨٤.

مساكين أهل الحب حتى قبورهم   عليها تراب الذل بين المقابر

٧ ـ الرضا بقضائه[١]:

والرضى بما يصيبه في سبيل محبوبه، لا لحظ وراءه، بل لكونه مراد المحبوب، فيكون ألذ الأشياء عنده ما فيه رضى محبوبه، ولو كان في ذلك هلاك نفسه.

وفي ذلك يقول الفضيل: درجة الرضا عن الله درجة المقربين ليس بينهم وبين الله إلاّ روح وريحان.

وسأل رجل الفضيل بن عياض: متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى؟ فقال له: إذا كان عطاؤه ومنعه إياك عندك سواء، فقد بلغت الغاية من حب الله تعالى.

وقال ذو النون: ثلاثة من أعلام المحبة: الرضا في المكروه، وحسن الظن به في المجهود، والتحسين لاختياره في المحذور.

وقال عبدالواحد بن زيد: ما أحسب أن شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلاّ الرضا، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا، وهو رأس المحبة.

٨ ـ خفة التكاليف والصبر عليها، والإسراع إلى العمل[٢]:

قال الحليمي: إنّ من أحب الله تعالى لم يعدّ المصائب التي يقضيها عليه إساءة منه إليه، ولم يستثقل وظائف عبادته، وتكاليفه المكتوبة عليه.

فمن علامة محبة الله، المسارعة إلى طاعته سبحانه وتعالى، وعدم استثقال هذه الطاعات والتكاليف.

---

(١) شعب الإيمان ٣٦٨/١ ـ ٣٧٤ ـ ٣٨٢، والاستنشاق ص١٥.

(٢) استنشاق نسيم الأنس ، واختيار الأولى ص٥٤ ـ ٥٦، وشعب الإيمان ٣٦٨/١ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٣.

لأن من امتلأ قلبه من محبة الله ـ عز وجل ـ أحبّ ما يحبه وإنْ شق على النفس وتألمت به، كما يقال: المحبة تهوّن الأثقال.

وقال بعض السلف في مرضه: أحبُّهُ إليّ أحبه إليه.

وكما قيل:

في حبكم يهون ما قد ألقى   يسعد بالنعيم من لا يشقى

من خدم من يحب تلذذ بشقائه في خدمته، وقال بعضهم: القلب المحب لله يحب النصب له.

وقال غيره: أوجد لهم في عذابه عُذوبة.

٩ ـ محبة محابّه[1]:

فيكون مؤثراً ما أحبّه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه، فيجتنب اتباع الهوى، ويعرض عن دعة الكسل، ولا يزال مواظباً على طاعة الله تعالى متقرباً إليه بالنوافل.

فما عمّر القلب شيء كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعظيمه، وتلك من أفضل مواهب الله لعبده، أو أفضلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

سئل ذو النون عن المحبة؟ قال:

أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير لله. ترفض كل ما يشغل عن الله، وأن لا تخاف في الله لومة لائم..

وسئل أبو الحسين بن مالك الصوفي: ما علامة المحبة:

قال: ترك ما تحب لمن تحب.

---

(١) استنشاق نسيم الأنس ص١٩ ـ ٣٢ ـ ٣٦ ـ ٦٢، وشعب الإيمان ١/ ٣٦٩ ـ ٣٨١ ـ ٣٨٢.

وقال بشر بن السري: ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك.

وقال رويم: المحبة: الموافقة في جميع الأحوال.

١٠ ـ الاجتهاد في طلب مرضاته[١]:

لأنّ الغاية من الحب، أن يرضى عنك محبوبك، وهل رأيت محباً إلاّ وهو يتوخى سرور من أحبه؟

١١ ـ الخوف منه والبكاء على الخطيئة[٢]:

والخوف من الله من أهم علامات محبة الله الصادقة.

قال أبو عثمان: بقدر ما يصل إلى قلب العبد من السرور بالله؛ يشتاق إليه، وعلى قدر شوقه يخاف من بعده وطرده.

قال الفضيل بن عياض: طوبى لمن استوحش من الناس، وأنس بربه، وبكى على خطيئته.

١٢ ـ البعد عن الشهوات واللذات، والزهد في الدنيا، والالتذاذ بقربه[٣]:

وهذا تابع للاجتهاد في طلب مرضاته.

قيل لذي النون: متى يأنس العبد بربه؟

قال: إذا خافه أنس به، أما علمتم أنه من واصل الذنوب نُحِّيَ عن باب المحبوب.

وقال: ما رجعوا إلاّ من الطريق، ولو وصلوا إليه ما رجعوا، فازهد في الدنيا ترَ العجب.

---

(١) شعب الإيمان ١/ ٣٧٠ ـ ٣٨٣.

(٢) شعب الإيمان ١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩، والاستنشاق ص١١٣.

(٣) شعب الإيمان ١/ ٣٧٨ ـ ٣٨٤.

ولأبي تراب النخشبي بعض الأبيات من الشعر يذكر فيها عدداً من علامات المحبة الصادقة، فيقول:

لا تُخدعن فللمحب دلائل	ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه	وسروره من كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة	والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن يرى من عزمه	طوع الحبيب وإن ألحّ العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسماً	والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهماً	لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفاً	متحفظاً من كل ما هو قائل

❋ ❋ ❋

الفصل الثاني

ترجمة شيخ الإسلام ومفتي الأنام
تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية
والمنهج المتبع في تحقيق هذه الرسالة

* قال الحافظ المزي ـ رحمه الله ـ فيه: ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ ولا أتبع لهما: منه.

* وقال محمد بن عبدالبر السبكي الشافعي: والله ما يبغض ابن تيمية إلاّ جاهل أو صاحب هوى.

فالجاهل لا يدري ما يقول.

وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به.

* وقال ابن شيخ الحزاميين: فوالله، ثم والله، ثم والله، لم ير تحت أديم السماء مثل شيخ الإسلام، علماً وعملاً وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً، وحلماً في حق نفسه، وقياماً في حق الله عند انتهاك حرماته.



ترجمة شيخ الإسلام
ومفتي الأنام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى

حينما نريد للقلم أن يسطر ترجمة لعظيم من العظماء وجبل شامخ أشم من جبال العلم، وقدوة في العلم والعمل، لا بدّ له من أن يجول كثيراً ويتعب في تجلية أهم الأمور التي ميّزت هذا العلامة وجعلته يبرز في شتى فنون العلم حتى أصبح بجدارة وبحق، شيخاً للإسلام، وأصبح هذا اللقب مشتهراً به، وعَلَماً عليه.

إنه شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، قامع البدعة، وناصر السنّة، حامل لواء الإسلام، وداثر ألوية الظلام والبدعة، والانحراف عن دين الله.

بصدقه، وإخلاصه، وعبادته، وزهده، وورعه، وجهده في تحصيل العلم، والعمل به، والدعوة إليه بجرأة وإقدام...

صفات عديدة جعلته أهلاً لتوفيق الله بأن يصبح مرجعاً لجميع أهل العلم من بعده، القاصي والداني، الموالف والمخالف، كلهم استقوا من علمه، ونهلوا من بحره، وشربوا من مياهه العذبة الزلال.

ولقد حظي من أهل العلم باهتمام كبير، فسطروا في مناقبه وآثاره المصنفات، وتحلّت بذكره التواريخ والمطولات[1].

(١) وسيأتي ـ إن شاء الله ـ ذكر بعض هذه المصنفات انظر ص ٦٦ ـ ٦٧ فيما يأتي.

مولده ومنشؤه

ولد شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية في العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ في حرّان، وهي بلدة تقع في الشمال الشرقي من بلاد الشام في جزيرة ابن عمرو بين دجلة والفرات وتحوّل به أبوه من حرّان إلى دمشق سنة ٦٦٧هـ عند استيلاء التتار على البلاد، فنشأ فيها، وتلقى على أبيه وعلماء عصره العلوم المعروفة في تلك الأيام.

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أثر الوسط العلمي لأسرة آل تيمية في نشأة هذا العالم الإمام العظيم، فلقد كانت أسرة آل تيمية أسرة علم وفضل وتقوى، وتعمّ فيهم الروح العلمية النامية، وكان أبوه وجدّه من كبار العلماء في هذه الحقبة.

ومن آثار جدّه: «منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار» الذي شرحه الشوكاني بكتابه المعروف «نيل الأوطار».

ولآل تيمية «المسودة في أصول الفقه» وقد تتابع الجد والأب والحفيد، كتب كلٌّ واحد من هؤلاء العلماء ما كتبه، وتركه مسودة، ثم جاء أحمد بن محمد الحراني الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٥هـ فجمع مسوداتهم ورتبها وبيّضها، وهي تمثّل تسلسل العلم فيهم وإسهامهم في خدمة الإسلام.

استطاع شيخ الإسلام ابن تيمية أن يلمّ بفنون الثقافة في عصره في وقت مبكر، وكان ذا حافظة خارقة، فهو يحفظ كلَّ ما يقع تحت عينيه، وقد حدّثوا في ترجمته بالأعاجيب من ذلك.

وكان ـ على حداثة سنّه ـ حريصاً على الوقت جداً لا يضيع منه شيئاً أبداً، ويعزف عما ينصرف إليه غيره من الصبيان، وما زال يتقدّم حتى صار إمام عصره، وشيخ الإسلام في زمانه.

❁ ❁ ❁

أوصافه الجسمية والخلقية

وأما أوصافه الجسمية والخلقية، فقد ذكرها الحافظ الذهبي، فقال: وكان الشيخ أبيض، أسود الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، وكأنّ عينيه لسانان ناطقان، وكان ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً، سريع القراءة[1].

وقال الذهبي - أيضاً -: تعتريه حدة، لكن يقهرها بالحلم، وإليه المنتهى في فرط الشجاعة، والسماحة، وقوة الذكاء، ولم أَرَ مثله في ابتهاله، واستغاثته بالله تعالى وكثرة توجهه[2].



---

(١)(٢) الدرر الكامنة ١/١٦١، وترجمة شيخ الإسلام من ذيل تاريخ الإسلام ص٨٦ (التوكل).

عبادته، وزهده، وتواضعه

لم ير مثل شيخ الإسلام في ابتهاله واستغاثته بالله تعالى، وكثرة توجّهه، كما قال الإمام الذهبي[1].

وقال[2]: ما علمناه ـ والله ـ إلاّ مؤمناً محافظاً على الصلاة، والوضوء، وصوم رمضان، معظّماً للشريعة ظاهراً وباطناً.

لا يؤتى من سوء فهم، بل له الذكاء المفرط، ولا من قلّة علم، فإنه بحر زخّار، بصير بالكتاب والسنة، عديم النظير في ذلك.

ولا هو بمتلاعب بالدين، فلو كان كذلك؛ لكان أسرع شيء إلى مداهنة خصومه، وموافقتهم، ومنافقتهم.

ولا هو يتفرّد بمسائل بالتشهي، ولا يفتي بما اتفق، بل مسائله المفردة يحتج لها بالقرآن أو بالحديث، أو بالقياس، ويبرهنها ويناظر عليها، وينقل فيها الخلاف، ويطيل البحث، أسوة مَنْ تقدّمه من الأئمة، فإن كان قد أخطأ فيها فله أجر المجتهد من العلماء، وإن كان قد أصاب، فله أجران.

وكان قوّالاً بالحق، نهّاءً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ذا سطوةٍ وإقدام، وعدم مداراة الأغيار.

هذا مع ما كان عليه من الكرم الذي لم أشاهد مثله قط، والشجاعة المفرطة التي يضرب بها المثل، والفراغ عن ملاذ النفس من اللباس الجميل، والمأكل الطيب، والراحة الدنيوية.

قال في الأعلام العلية[3]: «وما رأيناه يذكر شيئاً من ملاذ الدنيا ونعيمها، ولا كان يخوض في شيء من حديثها، ولا يسأل عن شيء

---

(١) ترجمة شيخ الإسلام للذهبي ص٨٦.

(٢) المصدر السابق ص٨٥، انظر الدرر الكامنة ١/ ١٦١.

(٣) الأعلام العلية ص٣٣.

من معيشتها، بل جعل همه وحديثه في طلب الآخرة، وما كان يقرّب إلى الله تعالى» اهـ.

وما كان يرضى أن يأخذ من السلطان شيئاً، وكان أخوه يقوم بشئونه، وذكر الحافظ ابن رجب أنه قد عرض عليه قضاء القضاة قبل سنة ٦٩٠هـ ومشيخة الشيوخ، فلم يقبل من ذلك شيئاً[١].

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ مترفّعاً عن الحقد، لا ينتقم لنفسه، ذا مروءة عظيمة، ذكر الحافظ ابنُ كثير أنّ السلطان الناصر استفتاه بعد أن عاد إلى الملك في قتل بعض القضاة والعلماء؛ لأنهم كانوا تكلّموا في السلطان، وأفتوا بعزله، وكان هؤلاء القضاة والعلماء هم الذين حاربوا ابن تيمية وسعوا في قتله.

ولكن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وأنكر عليه أن يفكّر بقتلهم، أو أن ينالهم بسوء، وقال للسلطان: إذا قتلتَ هؤلاء، لا تجد مثلهم.

فقال له السلطان: إنهم قد آذوكَ وأرادوا قتلك مراراً؟!

فقال شيخ الإسلام: مَنْ آذاني فهو في حلّ، ومَنْ آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي.

وما زال به حتى صفح عنهم.

وهذا يدل على سمو خلقه، وما زال هؤلاء العلماء يذكرون هذه الفضيلة للشيخ، فكان زين الدين بن مخلوف قاضي المالكية يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية، حرّضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا.

وجاء الفقهاء يعتذرون مما وقع منهم في حقّه، فقال: قد جعلت الكلّ في حلّ[٢].



---

(١) الذيل على الطبقات ٢/ ٣٩٠.

(٢) البداية والنهاية ١٤/ ٥٤.

شيوخه

سمع شيخُ الإسلام من عدد كثير من العلماء، حتى قال الذهبي: وأكثر وبالغ.

فسمع من أحمد بن عبدالدائم المقدسي، وإسماعيل بن أبي اليسر التنوخي، والكمال عبدالرحيم بن عبدالملك بن يوسف بن قدامة المقدسي المسند، وأحمد بن أبي الخير الدمشقي، ويحيى بن أبي منصور ابن الصيرفي الحراني، والشيخ شمس الدين عبدالرحمن بن أبي عمر بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، والقاسم بن أبي بكر بن قاسم الأربلي، وأبو الغنائم المسلم بن محمد بن علان القيسي، وخلق كثير[1].

قال ابن عبدالهادي في العقود الدرية[2]: «... وخلق كثير، وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ.

وسمع مسند الإمام أحمد مرات، وسمع الكتب الستة الكبار، والأجزاء، ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير...

وهذا كلّه وهو ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه»[3]اهـ.

---

(١) ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية للإمام الذهبي ص٨٠ ـ ٨١.

(٢)(٣) العقود الدرية ص٤، وانظر البداية والنهاية ١٤/ ٥٤.

تلاميذه

ذكر صاحب جلاء العينين تراجم طائفة من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، الذين كانوا من بعده من أشهر رجال الإسلام، بما خلفوا من الآثار التي طار ذكرها في الأمصار، وانتفع بها أبناء الأعصار، ومنهم:

١ ـ أشهر تلاميذه، ووارث علومه، العالم الرباني، شيخ الإسلام الثاني، شمس الدين محمد ابن قيم الجوزية، صاحب الآثار الكثيرة المحررة، الذي حبس مع شيخ الإسلام في قلعة دمشق ولم يفرج عنه إلاّ بعد موت الشيخ.

وقد قال القاضي برهان الدين الزرعي: ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه.

٢ ـ ومنهم الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد الذهبي، صاحب تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، وميزان الاعتدال، وتذكرة الحفاظ، وغيرها من الكتب النافعة العظيمة.

قال عنه تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى: كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد، فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار مَنْ حضرها.

٣ ـ ومنهم الحافظ الكبير، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري، ثم الدمشقي، قال عنه ابن حبيب: انتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير.

ومن تصانيفه، تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وجامع المسانيد، وغيرها.

٤ ـ ومنهم الحافظ شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي، عدّه الذهبي في طبقات الحفاظ، وقد عدّ له الحافظ ابن رجب في طبقاته ما يزيد على سبعين مصنفاً، وتوفي وعمره أربعون سنة أو أقل.

٥ ـ ومنهم قاضي القضاة، شرف الدين، أبو العباس أحمد بن الحسين المشهور بقاضي الجبل، قرأ على الشيخ تقي الدين ابن تيمية عدة تصنيفات في علوم شتى، وأذن له في الإفتاء في شبيبته.

قال الذهبي فيه: هو مفتي الفرق، سيف المناظرين، وبالغ ابن رافع وابن حبيب في مدحه، وله اختيارات في المذهب.

٦ ـ ومنهم زين الدين عمر الشهير بابن الوردي، له تصانيف في النحو والأدب والتاريخ، وقد أطنب في ترجمة شيخ الإسلام في تاريخه.

٧ ـ ومنهم زين الدين أبو حفص عمر الحراني، ولي نيابة الحكم، وقال: لم أقضِ قضية إلاّ وأعددت لها الجواب بين يدي الله تعالى.

٨ ـ ومنهم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح، قال أبو البقاء السبكي: ما رأت عيناي أفقه منه.

وقال ابن القيم: ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح.

وقال ابن كثير: وله مصنفات كثيرة، منها على المقنع نحو ثلاثين مجلداً، وعلى المنتقى. وكتاب «الفروع»، أربع مجلدات، وله كتاب في أصول الفقه، و«الآداب الشرعية» الكبرى، والوسطى، والصغرى.

❁ ❁ ❁

سعة علمه، ومكانته

لقد كان شيخ الإسلام مطّلعاً على فنون الثقافة في عصره من تفسير، وحديث، وتوحيد، وفقه، وأصول، وتاريخ، والعربية بفنونها، وغير ذلك من العلوم التي كانت معروفة.

قال الحافظ الذهبي[1]: ونظر في الرجال والعلل، وصار من أئمة النقد، ومن علماء الأثر، مع التدين والنبالة، ومع الذكر والصيانة.

ثم أقبل على الفقه ودقائقه وقواعده وحججه، والإجماع، والاختلاف، حتى كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف، ثم يستدل ويرجّح ويجتهد، **وحقّ له ذلك؛ فإنّ شروط الاجتهاد كانت قد اجتمعت فيه؛** فإنني ما رأيتُ أحداً أسرع انتزاعاً للآيات ـ الدالة على المسألة التي يوردها ـ منه، ولا أشدّ استحضاراً لمتون الأحاديث وعزوها إلى الصحيح أو إلى المسند، أو إلى السنن منه، كأن الكتاب والسنة نصب عينيه، وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة، وعين مفتوحة، وإفحام للمخالف.

وكان آية من آيات الله تعالى في التفسير، والتوسّع فيه، لعله يبقى في تفسير الآية المجلس والمجلسين.

وأما أصول الديانة ومعرفتها، ومعرفة أحوال الخوارج والروافض والمعتزلة وأنواع المبتدعة، فكان لايُشق فيه غباره، ولا يلحق شأنه.

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن أبي الفتح اليعمري عن ابن سيد الناس الذي أغراه الحافظ المزي برؤية شيخ الإسلام ابن تيمية قوله فيه:

فألفيته ممن أدرك من العلوم حظاً، وكان يستوعب السنن والآثار حفظاً، إنْ تكلّم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر في الملل والنحل، لم يُرَ أوسع من نحلته في ذلك، ولا أرفع من درايته، برز في كلّ فن على أبناء جنسه، ولم ترَ عينُ مَنْ رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه[2].

---

(١) في ترجمة شيخ الإسلام ص٨٢ ـ ٨٣.

(٢) الدرر الكامنة ١/ ١٥٤.

مؤلفاته

تناول شيخ الإسلام علوم عصره بالدرس العميق، ثم بالتأليف والرد على مخالفيه، وخاصة علماء الكلام والمنطق والتصوف والفلسفة برسائل قصيرة أحياناً، وبكتب مطوّلة أحياناً أخرى، وكانت نتيجة ذلك أن ترك عدداً كبيراً من المؤلفات. يقول أكثر من ترجم له: إنها تصل إلى خمسمائة مصنف.

وليس عجباً أن تصل مؤلفاته إلى هذا العدد، فقد كان كما يذكر ابن عبدالهادي[1]: سريع الكتابة وكثيراً ما كان يكتب من حفظه من غير ثقل.

ولقد أطال ابن الكتبي في ذكر مصنّفاته، وذكر مؤلفاته حسب العلوم المختلفة وهي كالتالي:

أ ـ في التفسير:

كتب ابن تيمية في التفسير رسائل كثيرة ومهمة، ومما كتب:

١ ـ رسالة في منهاج التفسير وكيف يكون. وقد طبعت بتحقيقي باسم «مقدمة في أصول التفسير»، صدرت عن دار ابن حزم ـ بيروت.

٢ ـ تفسير سورة الإخلاص. مطبوع ضمن مجموع الفتاوى.

٣ ـ جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن. من أن ﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن. صدر بتحقيقي عن دار الكتاب العربي.

٤ ـ تفسير المعوذتين. مطبوع.

٥ ـ التفسير الكبير، وهو مطبوع.

---

(١) العقود الدرية ص٦٤.

ب ـ العقائد:

وكتبه في العقائد كثيرة منها:

١ ـ الإيمان.

٢ ـ الاستقامة.

٣ ـ اقتضاء الصراط المستقيم.

٤ ـ الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، صدر بتحقيقي بحمد الله صدر عن دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٥ ـ التوسل والوسيلة.

٦ ـ الرسالة الحموية.

٧ ـ الرسالة التدمرية.

٨ ـ العقيدة الواسطية.

٩ ـ رسالة مراتب الإرادة.

١٠ ـ الاحتجاج بالقدر.

١١ ـ بيان الهدى من الضلال.

١٢ ـ الجواب الصحيح.

١٣ ـ معتقدات أهل الضلال.

١٤ ـ معارج الوصول.

١٥ ـ السؤال عن العرش وقد قمت بتحقيقه.

١٦ ـ بيان الفرقة الناجية.

١٧ ـ درء تعارض العقل والنقل.

١٨ ـ منهاج السنّة النبوية.

١٩ ـ إبطال قول الفلاسفة بإثبات الجواهر العقلية.

٢٠ ـ شرح حديث النزول.

٢١ ـ نقض المنطق.

٢٢ ـ الرد على المنطقيين.

٢٣ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

٢٤ ـ الواسطة بين الحق والخلق وقد قمت بتحقيقها.

ج ـ في الفقه:

كتب ابن تيمية في الفقه آثاراً جليلة. منها:

١ ـ رسالة القياس.

٢ ـ القواعد.

٣ ـ رسالة الحسبة. صدر بتحقيقنا.

٤ ـ الأمر بالمعروف، صدر بتحقيقنا عن مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٥ ـ العقود.

٦ ـ المظالم المشتركة.

٧ ـ حقيقة الصيام.

ولقد جمع الأخ علي الشبل مؤلفات ابن تيمية، المطبوعة والمخطوطة، وأبان مكان وجودها في مكتبات العالم في مقدمة تحقيق كتاب: «قاعدة في الرد على الغزالي في التوكل». فانظرها لإتمام الفائدة.

❊ ❊ ❊

ثناء العلماء والأئمة على شيخ الإسلام ابن تيمية

لقد أثنى الأئمة الأعلام، على هذا الإمام، ولقّبوه بشيخ الإسلام، وأفردوا مناقبه بالتصانيف، وتحلّت بذكره التواريخ والتآليف.

ولم ينتقص منه إلا من جهل مقداره وخطره، ومَنْ جهل شيئاً أنكره.

ولقد أنصف العلامة بهاء الدين بن السبكي[1] حيث يقول لبعض من ذكر له الكلام في ابن تيمية فقال:

والله يا فلان، ما يبغض ابنَ تيمية، إلاّ جاهلٌ أو صاحب هوىً؛ فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يَصُدُّه هواه عن الحق بعد معرفته به.

واعلم أيدك الله: أن كثيراً من الأئمة الأماثل، والعلماء الأفاضل، قد أفردوا مناقب الشيخ تقي الدين ابن تيمية في تصانيف مشهورة، وتراجم في التواريخ مذكورة.

وقد ذكر غالب العلماء، الذين أثنوا عليه: صاحبُ كتاب (الرد الوافر) تأليف الإمام العالم، الأوحد، القدوة، الحافظ أبي عبد الله

(١) الشهادة الزكية ص٥٨.

محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن ناصر الدين الشافعي.

ولقد لخّصها وزاد عليها الإمام مرعي بن يوسف الكرمي، في (الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية)، ومن هؤلاء العلماء الذين أثنوا على شيخ الإسلام:

١ ـ ابن سيد الناس:

قد نقلت بعض كلامه فيه فيما سبق. ومما قاله فيه أيضاً حينما روى عنه حديثاً فقال: قرأت على الشيخ الإمام، حامل راية العلوم، ومدرك غاية الفهوم، تقي الدين أبي العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحرّاني بالقاهرة... ثم ذكر سنده إلى الحسن بن عرفة، فروى من جزئه حديثاً[١].

٢ ـ ومنهم: ابن دقيق العيد:

قال بعد سماع كلامه: ما كنت أظن أن الله تعالى: بقي يخلق مثلك[٢]. وقال أيضاً: لما اجتمعتُ بابن تيمية، رأيتُ رجلاً: العلومُ كلُّها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد[٣].

٣ ـ ومنهم: ابن القيم:

قال رحمه الله في ترجمته لابن تيمية: شيخ الإسلام والمسلمين، القائم ببيان الحق ونصرة الدين، الداعي إلى الله ورسوله، المجاهد في سبيله، الذي أضحك الله به من الدين ما كان عابساً، وأحيا من السنّة ما كان دارساً، والنور الذي أطلعه الله في ليل الشبهات، فكشف به غياهب الظلمات، وفتح به من القلوب مقفلها، وأزاح به عن النفوس عللها، فقمع به زيغ الزائغين، وشك الشاكّين، وانتحال المبطلين...

---

(١) الرد الوافر ص٥٧ ـ ٥٩، والشهادة الزكية ص٢٦ ـ ٢٨.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٢.

(٣) الشهادة الزكية ص٢٨ ـ ٢٩.

وهو الشيخ العلامة، الزاهد، العابد، الخاشع الناسك، الحافظ، المتّبع تقي الدين أبو العباس[1].

٤ ـ ومنهم: الحافظ الذهبي:

ترجم الذهبي لابن تيمية في عدّة مواضع، وأثنى عليه ثناءً حسناً.

قال تحت خط شيخ الإسلام: هذا خط شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، فرد الزمان، بحر العلوم، تقي الدين، قرأ القرآن والفقه، وناظر واستدل، وهو دون البلوغ.

برع في العلم والتفسير، وأفتى ودرّس، وله نحو العشرين، وصنّف التصانيف، وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه، وله المصنّفات الكبار، التي سارت بها الركبان... وكان يتوقّد ذكاءً، وسماعاته من الحديث كثيرة. وشيوخه أكثر من مائتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله، وصحته وسقمه فمما لا يلحق فيه، وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين، فضلاً عن المذاهب الأربعة، فليس له فيه نظير، وأما معرفته بالملل والنحل، والأصول والكلام، فلا أعلم فيه نظيراً، ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيته قوية جداً، ومعرفته بالتاريخ والسِّيَر فعجب عجيب، وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف، ويفوق النَّعْت، وهو أحد الأجواد الأسخياء، الذين يُضرب بهم المثل، وفيه زهد وقناعة باليسير في المأكل والمشرب[2].

وقال فيه: الشيخ، الإمام، العالم، المفسّر، المجتهد، الحافظ، المحدّث، شيخ الإسلام، نادرة العصر، ذو التصانيف الباهرة، والذكاء المفرط...

---

(١) الرد الوافر ص١١٩ ـ ١٢١، والشهادة الزكية ص٣٤ ـ ٣٥.

(٢) انظر الرد الوافر ص٦٥ ـ ٧٣.

وأنا أقل من أَنْ ينبِّه على قدره كلمي، أو أن يوضّح نبأه قلمي، فأصحابه وأعداؤه خاضعون لعلمه، مقرّون بسرعة فهمه، وأنه بحر لا ساحل له، وكنز لا نظير له، وأنّ جوده حاتميّ، وشجاعته خالدية[1].

٥ ـ ومنهم: الحافظ المزي:

حدّث غير واحد من الشيوخ عن المزي أنه قال عن ابن تيمية: ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثلّ نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله، وسنّة رسول الله ولا أتبع لهما: منه.

وقال المزي ـ أيضاً ـ عن ابن تيمية: ابن تيمية لم يُرَ مثله منذ أربعمائة سنة[2].

٦ ـ ومنهم: الحافظ البرزالي:

كتب البرزالي بخطه: سماع طبقة على جزء فيه أحاديث منتقاة من جزء الحسن بن عرفة وهي: قرأ هذه الأحاديث الثمانية: شيخنا وسيدنا الإمام العالم العلامة، الأوحد، القدوة، الزاهد العابد الورع الحافظ، تقي الدين، شيخ الإسلام والمسلمين، سيد العلماء في العالمين، حَبْر الأمة، مقتدى الأئمة، حجة المذاهب، مفتي الفرق، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، أدام الله بركته ورفع درجته. وقد ذكره في معجم شيوخه فترجمه ترجمة واسعة[3]

٧ ـ ومنهم: الحافظ ابن رجب الحنبلي:

قال فيه[4]: أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية، الحرّاني، ثم الدمشقي،

---

(١) ترجمة شيخ الإسلام للذهبي.

(٢) الرد الوافر ص٢١٣ ـ ٢١٥، والشهادة الزكية ص٤٤ ـ ٤٦.

(٣) انظر الرد الوافر ص٢٠٢ ـ ٢٠٦، والشهادة الزكية.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٨٧، وانظر الرد الوافر ص١٧٦ ـ ١٧٨، والشهادة الزكية ص٤٩ ـ ٥١.

الإمام، الفقيه، المجتهد، المحدّث، الحافظ، المفسّر، الأصولي، الزاهد تقي الدين، أبو العباس، شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره، والإسهاب في أمره.

ثم ذكر ابن رجب ترجمة ابن تيمية، وفيها ذكر موته ودفنه، ثم قال(١): وصُلِّيَ عليه صلاة الغائبة في غالب بلاد الإسلام، القريبة والبعيدة، حتى في بلاد اليمن والصين، وأخبر المسافرون أنه نودي بأقصى الصين ـ للصلاة عليه يوم الجمعة ـ: الصلاة على ترجمان القرآن.

٨ ـ ومنهم: **الحافظ ابن كثير**:

لقد ترجم ابنُ كثير لشيخ الإسلام ترجمة واسعة مستفيضة وأثنى عليه كثيراً.. منها قوله في البداية والنهاية(٢): «ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، في ذي القعدة، منها، كانت وفاة شيخ الإسلام أبي العباس أحمد ابن تيمية قدّس الله روحه.

٩ ـ ومنهم: **الحافظ العراقي**:

وقد لقّبه بشيخ الإسلام في كثير من كتبه(٣).

١٠ ـ ومنهم: **الحافظ البزار**:

كان لشيخ الإسلام معظماً ولشيخ الإسلام له مترجماً، وجمع له ترجمة مفردة سمّاها: الأعلام العلية في مناقب الإمام ابن تيمية(٤).

١١ ـ ومنهم: **الحافظ ابن حجر**:

حيث أفرد له ترجمة واسعة في (الدرر الكامنة) ومن أقواله:

---

(١) ٢/٤٠٧ وانظر الشهادة الزكية ص٥١.
(٢) ١٤/١٣٢ ـ ١٣٨، وانظر الرد الوافر ص١٥٤ ـ ١٥٨.
(٣) انظر الرد الوافر ص١٧٩ ـ ١٨٠.
(٤) وقد طبعها المكتب الإسلامي.

لا يطلق في ابن تيمية أنه كافر إلا أحد رجلين: إما كافر حقيقة، وإما جاهل بحاله، فإن الرجل كان من كبار المسلمين... إلى أن قال: من أعجب العجب: أن هذا الرجل كان أعظم الناس قياماً على أهل البدع، والحلولية، والاتحادية، وتصانيفه كثيرة شهيرة وفتاويه في ذلك لا تدخل تحت الحصر.

فيا قُرَّة أعينهم إذا سمعوا بكفره، ويا سرورهم إذا رأوا من يُكَفِّر مَنْ لا يكفّره.

فالواجب على من تَلَبَّسَ بالعلم، وكان له عقل، أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة، أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل، فيردّ من ذلك ما ينكر، فيحذّر منه على قدر النصح، ولو لم يكن للشيخ تقي الدين إلا تلميذُه الشيخ شمس الدين، ابنُ القيم الجوزية ـ صاحب التصانيف النافعة السائرة، التي انتفع بها الموافق والمخالف ـ لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته.

فكيف وقد شَهِدَ له بالتقدّم في العلوم، والتمييز في المنطوق والمفهوم، أئمة عصره من الشافعية وغيره، فضلاً عن الحنابلة.

فالذي يُطلق عليه ـ مع هذه الأشياء ـ الكفر، أو على مَنْ سماه شيخ الإسلام: لا يُلْتَفَتُ إليه، ولا يُعَوَّل ـ في هذا المقام ـ عليه، بل يجب رده عن ذلك إلى أن يراجع الحق، ويذعن للصواب، والله يقولُ الحق، وهو يهدي السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وقال في فتح الباري ٦/ ٢٨٩: «نبّه على ذلك العلامة تقي الدين ابن تيمية».

١٢ ـ ومنهم ابن شيخ الحزاميين:

فقد أفرد رسالة يوصي علماء بلده بشيخ الإسلام[١]، ومما جاء

---

(١) طبعت باسم: «التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار في الثناء على شيخ الإسلام والوصاية به» بتحقيق الدكتور الفريوائي، صدرت عن دار العاصمة الرياض.

فيها[1]:

«... فاعرفوا حقّ هذا الرجل الذي هو بين أظهركم وقدره، **ولا يعرف حقّه وقدره إلاّ مَنْ عرف دين الرسول ﷺ وحقّه وقدره،** فمن وقع دينُ الرسول ﷺ، من قلبه بموقع يستحقّه، عرف حق ما قام به هذا الرجل بين أظهر عباد الله، يقوم معوجهم، ويصلح فسادهم، ويلمّ شعثهم جهد إمكانه في الزمان المظلم، الذي انحرف فيه الدين، وجهلت السنن، وعهدت البدع، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والقابض على دينه كالقابض على الجمر، فإنّ أجر مَنْ قام بإظهار هذا النور في هذه الظلمات لا يوصف، وخطره لا يعرف.

هذا إذا عرفتموه أنتم من حيثية أخرى من الأمر الباطن، ومَنْ يقوده إلى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، وعظمة ذاته، واتصال قلبه بأشعة أنوارها، والاحتظاء من خصائصها وأعلى أذواقها ونفوذه من الظاهر إلى الباطن، من الشهادة إلى الغيب، ومن الغيب إلى الشهادة، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر، وغير ذلك مما لا يمكن شرحه في كتاب.

فشيخكم ـ أيّدكم الله تعالى ـ عارف بذلك، عارف بأحكام الله الشرعية، عارف بأحكامه القدرية، عارف بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية، ومثل هذا العارف قد يبصر ببصيرته تنزّل الأمر بين طبقات السماء والأرض....

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أنّ هنا مَنْ سافر إلى الأقاليم[2]، وعرف الناس وأذواقهم وأشرف على غالب أحوالهم، **فوالله، ثم والله، ثم والله، لم يُرَ تحت أديم السماء مثل شيخكم: علماً، وعملاً، وحالاً، وخلقاً،**

---

(١) ص٣٦.

(٢) يريد نفسه ـ رحمه الله تعالى ـ كما هو ظاهر من السياق. قاله محقق كتاب التذكرة والاعتبار.

واتباعاً، وكرماً، وحلماً في حق نفسه، وقياماً في حق الله عند انتهاك حرماته، أصدق الناس عقداً، وأصحهم علماً وعزماً، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة، وأسخاهم كفّاً، وأكملهم اتباعاً لنبيه ﷺ.

ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلي النبوة المحمدية وسنتها من أقواله وأفعاله إلاّ هذا الرجل، بحيث يشهد القلب الصحيح أنّ هذا هو الاتباع حقيقة...

وفي الجملة ـ أيديكم الله ـ إذا رأيتم طاعناً على صاحبكم فافتقدوه في عقله أولاً، ثم في فهمه، ثم في صدقه، ثم في سنّه.

❁ ❁ ❁

جهاده

لم تقعد بابن تيمية كتبه ولا دروسه عن امتشاق الحسام، وخوض غمرات الحروب، فلقد تقدم الصفوف مقاتلاً، بعد أن حرّض المؤمنين على القتال داعياً، وبشّرهم بنصر الله.

ومن الحروب التي أبلى فيها بلاءً حسناً: موقعة شَقْحَب التي وقعت سنة ٧٠٢هـ فقد أعدّ العدة لهذه المعركة، وذهب إلى العساكر المختلفة يأخذ منهم العهود على مقاتلة التتار، ويطلب منهم الأيْمان، ويبشّرهم بالنصر.

ومن هذه الحروب ـ أيضاً ـ غزوة بلاد الجرد، والرفض، والتيامنة، وقد نصره اللَّهُ عليهم.

❁ ❁ ❁

وفاته

أُدخل شيخ الإسلام السجن آخر مرة في شعبان سنة ٧٢٦هـ واعتقل بالقلعة، ومكث في السجن إلى أن توفّاه الله في ٢٦ ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ.

وقال الذهبي: في ليلة الاثنين، العشرين من ذي القعدة.

مرض بضعة وعشرين يوماً، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه، وفوجئوا بموته، ذكر خبر وفاته مؤذّن القلعة على منارة الجامع، وتكلّم به الحرس على الأبراج، فتسامع الناس بذلك، واجتمعوا حول القلعة، حتى أهل الغوطة والمرج، وفتح باب القلعة فامتلأت بالرجال.

وصُلّي عليه بجامع دمشق عقيب الظهر، وامتلأ الجامع بالمصلين كهيئة يوم الجمعة، حتى طلع الناس لتشييعه من أربعة أبواب البلد.

وكانت جنازة عظيمة جداً، وأقلّ ما قيل في عداد من شهده خمسون ألفاً، وقيل أكثر من ذلك، وحمل على الرؤوس إلى مقابر الصوفية. ودفن إلى جانب أخيه الإمام شرف الدين رحمهما الله وإيانا والمسلمين[١].

وقد رثاه كثير من العلماء، وقصائدهم مشهورة معروفة[٢]، ومن ذلك قول الذهبي[٣]:

يا موت خذ من أردت أو فدع	محوت رسم العلوم والورع
أخذت شيخ الإسلام وانفصمت	عرى التقى واشتفى أولو البدع
غيّبت بحراً مفسراً جبلاً	حبراً تقياً مجانب الشبعِ
فإن يحدث فمسلم ثقة	وإن يناظر فصاحب اللمعِ
إن يخض نحو سيبويه يفُهْ	بكل معنى في الفن مخترعِ
وصار عالي الإسناد حافظة	كشعبة أو سعيد الضبعي

---

(١) ترجمة شيخ الإسلام، للإمام الذهبي ص٨٦ ـ ٨٧.

(٢) ذكر في «العقود الدرية» مراثي كثيرة قيلت في شيخ الإسلام، فانظرها ص٢٨٨ وما بعدها.

(٣) ترجمة شيخ الإسلام للذهبي ص٨٧ ـ ٨٨.

والفقه فيه فكان مجتهداً وذا اجتهاد عار من الجزع
وجوده الحاتمي مشتهر وزهده القادري في الطبعِ
أسكنه الله في الجنان ولا زال علينا في أجمل الخلعِ
مع مالك والإمام أحمد والنعـ ـمان والشافعي والنخعي
مضى ابن تيمية وموعده مع خصمه يوم نفخة الفزع

رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد كان عظيماً في حياته، وعظيماً بعد مماته، وجزاه عن الدين خير ما جازى داعية حق مجاهد عن دعوته وجهاده.

والحمد لله رب العالمين.



أبرز مؤرخي حياة
شيخ الإسلام ابن تيمية

لشيخ الإسلام سيرة حافلة بالجهاد، والدعوة، والمحن، عنى بتلك السيرة العديد من المؤرخين، ومن أبرزهم:

١ ـ عمر البزار في «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» طبع في المكتب الإسلامي بيروت.

٢ ـ ابن عبدالهادي في «العقود الدرية»، طبع في دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣ ـ ابن ناصر الدين في «الرد الوافر على مَنْ زعم بأن مَنْ سمى ابن تيمية: شيخ الإسلام كافر». وقد طبع في المكتب الإسلامي.

٤ ـ مرعي بن يوسف في «الكواكب الدرية»، وفي «الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية». وهو مطبوع في مؤسسة الرسالة.

٥ ـ ابن شيخ الحزاميين، في «التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار في الثناء على شيخ الإسلام والوصاية به» طبع في دار العاصمة ـ الرياض.

٦ ـ الإمام الذهبي، ترجم له ترجمة حافلة في ذيله لتاريخ الإسلام، وقد طبعت مفردة في مقدمة رسالة التوكل، لشيخ الإسلام، بتحقيق علي الشبل.

٧ ـ محمد شاكر الكتبي ترجم له ترجمة وافية في «فوات الوفيات».

٨ ـ الحافظ ابن حجر، ترجم له ترجمة واسعة في «الدرر الكامنة».

٩ ـ محمد بهجت البيطار، له «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية»، طبع في المكتب الإسلامي.

١٠ ـ محمد خليل هراس، له «باعث النهضة الإسلامية، ابن تيمية السلفي» طبع في دار الكتب العلمية، بيروت.

١١ ـ مراد شكري، له: «دفع الشبه الغوية عن شيخ الإسلام ابن تيمية» وهو من أنفس الكتب التي دافعت عن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

١٢ ـ محمد الصباغ، ترجم له ترجمة واسعة في مقدمة كتاب «أحاديث القصاص». طبع في المكتب الإسلامي.

❁ ❁ ❁

المنهج المتبع
في تحقيق هذه الرسالة

هذه الرسالة أصلها المخطوط موجود في المكتبة الظاهرية برقم (١٢٩) تصوف، بعنوان فصل في الحب والبغض.

وهي نسخة وحيدة نادرة، وهي مليئة بالأخطاء والتحريف.

وهي تقع ضمن مجموعة في ٥٧ ورقة، من ص١٤٥ إلى ١٩٩.

ومسطرة صفحاتها ٢٣ سطراً تقريباً.

وخطها نسخ معتاد، واضح.

وليس عليها ذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

ولقد قام بتحقيقها قديماً الدكتور محمد رشاد سالم، ضمن جامع الرسائل، المجموعة الثانية، المطبوعة على مطبعة المدني ـ مصر.

ولقد بذل جهده ـ جزاه الله خيراً ـ في ضبط النص وتصحيحه، فلذلك أبقيت على أكثر كلامه في ذلك.

وعز وجود هذه الرسالة، وكانت تحتاج إلى زيادة تحقيق وتعليق، وحكم على الأسانيد، بعد تخريجها تخريجاً علمياً.

فبادرت إلى تحقيقها لإعادة إخراجها ـ مستعيناً بالله سبحانه وتعالى ـ متبعاً المنهج التالي:

١ ـ خرجت آياتها، وأحاديثها، والآثار الواردة فيها، وحكمت على الأسانيد بما تقتضيه الصناعة الحديثية، مستعيناً مستضيئاً بأقوال أهل العلم في ذلك.

٢ ـ علّقت على النص بما يحتاج إليه من توضيح وتفسير وبيان.

٣ ـ ترجمت لبعض الأعلام الذين قد يخفون على القارئ.

٤ ـ نسبت الأقوال إلى قائليها غالباً.

٥ ـ ترجمت في مقدمة التحقيق لشيخ الإسلام ابن تيمية، بما يوضح معالم حياته.

ـ وضعت مقدمة في محبة الله تعالى اشتملت على: معاني المحبة، ودرجاتها، وعلاماتها الصادقة، وأسباب المحبة.

ـ وضعت فهرسة لأحاديثها، وآثارها، وموضوعاتها.

هذا فما كان من صواب فبفضل الله علي ومنته سبحانه وتعالى.

وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان استغفر الله تعالى منه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتب

راجي عفو ربه ورضوانه

أبو عبدالرحمن

فواز أحمد زمرلي

(فصل في الحب والبغض)
لأبي العباس أحمد بن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم على الله توكلي

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
وحبيبه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أما بعد فهذه قاعدة
عظيمة في المحبة وما يتعلق بها من كلام الإمام العلامة شيخ الإسلام ركن الإسلام
بقية السلف الكرام أبي العباس أحمد ابن الشيخ شهاب الدين عبد الحليم ابن
الشيخ مجد الدين أبي البركات عبد السلام ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه قال
رضي الله عنه فصل في الحب والبغض والمحمود من ذلك والمذموم وأصل
كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة فهو أصل كل فعل ومبدأه كما أن البغض
والكراهة مانع وصاد لكل ما انعقد بسببه ومادته فهو أصل كل ترك إذا
فسر الترك بالأمر الوجودي كما يفسره بذلك أكثر أهل النظر وأما إذا عني بالترك
مجرد عدم الفعل فعدم الفعل تارة يكون لعدم مقتضيه من الحب والإرادة لفعله
وقد يكون لوجود مانعه من البغض والكراهة وغيرهما فأما وجود الفعل فلا يكون
إلا عن محبة وإرادة حتى دفعه للأمور التي يكرهها ويبغضها هو إنما يدفعها لأن الحب
أو اللذة التي يجدها بالدفع فيقال شفى صدره وتشفيه والشفاء والعافية يحصل بالمحبة
والإرادة يكون لما يوافقه وأما بغضه وكراهته فمثل فعله للأشياء التي يكرهها كشرب
الدواء الكريه وفعل الأشياء المخالفة لهواه وصبره وخوفه [illegible]
وإن كانت مكروهة من بعض الوجوه فإنما يفعل أيضا لمحبة وإرادة ولكن
للمحبة لنفعها بل للمحبة اللازمة فإنما يفعلها للعافية واللذة والمحبة المتلازمة لإرادته
الأولى حب رحمة الله وخوف من عذابه المستلزم لإرادة ترك ما يهواه كما
قال تعالى ولمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فلا يترك الحب

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة الظاهرية (١٢٩) تصوف.

الوجه فكذلك لا يجب كذلك ولهذا تضرب الأمثال للترغيب والترغيب والترهيب
فإن الأمور الغائبة عن المشاهدة والآخرة لا نعرف [illegible] وبعض الأنواع
من التمثيل والقياس سواء كان الغائب أكمل في الصفات المطلوبة المشتركة
كما يعد به من أمر الجنة والنار وكما يعرف به الرب نفسه سبحانه وتعالى
أو ما كان دون ذلك كمثل من الأمور أو هو أكمل منه ومن هنا ضل من ضل
من المتفلسفة ومن أضلوه من أهل الملاحدة ظنوا أن ما وصف
الله به الجنة والنار إنما هي أمثال مضروبة لتفهيم المعاد الروحاني من
غير أن تكون حقائق وظن [illegible] من أهل الكلام كما أن [illegible]
مثل ذلك في أمر [illegible] الباطنة حيث تأولوا النفي والإثبات وحيث اتفق
[illegible] على مثل هذا [illegible] صفات ذي الجلال [illegible]
[illegible] بالله واليوم الآخر وما ليس هذا موضع بسط الكلام فيه وإن كان
[illegible] مقالة فلا بد [illegible] من [illegible] ولولا ذلك لما [illegible]
[illegible] وإن كانت الإرادة والمحبة [illegible] لما يكون له كالسبب
[illegible] به [illegible] كالسبب [illegible] المفعول
وهذا هو [illegible] حركات العالم [illegible] إرادة [illegible] الإرادة
من [illegible] على [illegible] المحبوب المراد [illegible] الحركات من [illegible]
المعبود المقصود المراد المحبوب [illegible] دالة على الإله الحق [illegible] الوحدانية
[illegible] إلا الله لفسدتا [illegible] الذي دلت منه على [illegible]
الكلام على ذلك في مواضع متعددة [illegible] العلم [illegible] وإنما كان المقصود
هنا التنبيه على أن الإرادة نوعان كالعلم والله أعلم

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

نص الرسالة
قاعدة في المحبة

قاعدة
في الحب والبغض

تأليف

شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، قامع البدعة،

ومحيي السنة

أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية
رحمه الله تعالى



بسم الله الرحمن الرحيم
على الله توكلي

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. ص ١٤٥

أما بعد، فهذه قاعدة عظيمة في المحبة وما يتعلق بها، من جمع الإمام العلَّامة، شيخ الإِسلام، بركة الأنام، بقية السلف الكرام، أبي العباس أحمد، ابن الشيخ شهاب الدين عبدالحليم، ابن الشيخ مجد الدين أبي البركات عبدالسلام، ابن تيميّة رضي الله عنه وأرضاه.

قال رضي الله عنه: فصل في الحب والبغض، والمحمود من ذلك والمذموم، وأصل كلّ فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، فهو أصل كلّ فعل ومبدؤه. كما أنّ البغض والكراهة مانع وصاد لكلّ ما انعقد بسببه ومادته، فهو أصل كلّ ترك، إذا فُسِّر الترك بالأمر الوجودي[1]، كما يفسّره بذلك أكثر أهل النظر[2].

---

(١) في الأصل: الوجود.

(٢) انظر الكليات ص٢٩٨ ـ ٢٩٩ (طبعة مؤسسة الرسالة).

وأما إذا عُني بالترك مجرد عدم الفعل، فعدم الفعل تارة يكون لعدم مقتضيه من المحبة والإرادة ولوازمهما، وقد يكون لوجود مانعه من البغض والكراهة وغيرهما.

فأما وجود الفعل فلا يكون إلاّ عن محبة وإرادة، حتى دفعه للأمور التي يكرهها ويبغضها، هو لما في ذلك من المحبوب أو اللذة يجدها بالدفع، فيقال: شفى صدره وقلبه، والشفاء والعافية بمحبوب.

والمحبة والإرادة تكون إما بواسطة وإما بغير واسطة، مثل فعله للأشياء التي يكرهها، كشرب الدواء المكروه، وفعل الأشياء المخالفة لهواه وصبره، ونحو ذلك.

فإنّ هذه الأمور، وإن كانت مكروهة من بعض الوجوه، فإنما تفعل ـ أيضاً ـ لمحبة وإرادة، وإن لم تكن المحبة لنفسها، بل المحبة لملازمها، فإنه يحب العافية والصحة المستلزمة لإرادة شرب الدواء، ويحب رحمة الله ونجاته من عذابه المستلزم لإرادة ترك ما يهواه، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النازعات: ٤٠]، فلا يترك الحي ما / يحبه ويهواه إلاّ لما يحبه ويهواه، لكن يترك أضعفهما محبة لأقواهما محبة، كما يفعل ما يكرهه لما محبّته أقوى من كراهة ذلك، وكما يترك ما يحبّه لما كراهته أقوى من محبة ذلك.

ظ ١٤٥

ولهذا كانت المحبة والإرداة أصلاً للبغض والكراهة وعلّة لها، ولازماً مستلزماً[1] لها من غير علة.

وفعل البغض في العالم إنما هو لمنافاة المحبوب، ولولا وجود المحبوب لم يكن البغض، بخلاف الحب للشيء، فإنه قد يكون لنفسه، لا لأجل منافاته للبغض[2]، وبغض الإنسان وغضبه مما يضادّ

(١) كلمة مستلزماً ليست واضحة في الأصل المخطوط، وكذا استظهرتها.

(٢) في الأصل: للبغيض.

وجود محبوبه، ومانع ومستلزم لا يكره عليه، ونجد قوة البغض للنافي أشدّ وأحوط.

ولهذا كان رأس الإيمان الحب في الله والبغض في الله، وكان: **مَنْ أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**[1].

فالمحبة والإرادة أصل في وجود البغض والكراهة، والأصل في زوال البغض المكروه، فلا يوجد البغض إلاّ لمحبة، ولا يزول البغيض إلاّ لمحبة.

فالمحبة أصل كلّ أمر موجود، وأصل دفع كلّ ما يطلب الوجود، ودفع ما يطلب الوجود أمر موجود، لكنه مانع من وجود ضدّه، فهو أصل كلّ موجود من بغيض ومانع ولوازمهما.

وهذا القدر الذي ذكرناه من [أنّ][2] المحبة والإرادة أصل كلّ حركة في العالم، فقد بيّنا في القواعد وغيرها أنّ هذا يندرج فيه كلّ

---

(١) لحديث رواه أبو داود، في كتاب السنة، باب (١٦) الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم (٤٦٨١) ٤/ ٢٢٠.
والطبراني في الأوسط، كما في المجمع ١/ ٩٠.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٣٤٦٩) ١٣/ ٥٤ من حديث أبي أمامة.
وسنده حسن.
وفي الباب عن أنس:
رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب (٦٠) اعقلها وتوكل، حديث رقم (٢٥٢١) ٤/ ٦٧١.
وأحمد في المسند ٣/ ٤٣٨ ـ ٤٤٠.
وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (١٤٨٥) ٣/ ٦٠ ـ ٦١.
وحديث رقم (١٥٠٠) ٣/ ٦٨.
والحاكم في المستدرك ٢/ ١٦٤.
وسنده حسن، ويتأيد بما قبله.
(٢) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

حركة وعمل. فإنّ ما في الأجسام من حركة طبعية فإنما أصلها السكون، فإنه إذا خرجت عن مستقرّها[1] كانت بطبعها تطلب مستقرّها، وما فيها[2] من حركة قسرية فأصلها من القاسر القاهر، فلم تَبْقَ حركة اختيارية إلاّ عن الإِرادة.

والحركات: إما إرادية، وإما طبعية، وإما قسريه؛ لأنّ الفاعل المتحرّك إن كان له شعور بها فهي الإِرادية، وإن لم يكن له شعور فإن كانت على وفق طبع المتحرك فهي الطبعية، وإن كانت على خلاف ذلك فهي القسرية.

وبَيّنا أنّ ما في السمٰوات والأرض، وما بينهما من حركة الأفلاك والشمس والقمر والنجوم، وحركة الرياح والسحاب والمطر والنبات وغير ذلك، فإنما هو بملائكة الله تعالى الموكَّلة بالسمٰوات والأرض، الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

ص ١٤٦

/ كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [سورة النازعات: ٥]، ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ [سورة الذاريات: ٤]، وكما دلّ الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وتوكّلهم بأصناف المخلوقات.

ولفظ: «المَلَك»[3] يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره، فليس لهم من الأمر شيء، بل كم من ملك في السمٰوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [سورة مريم: ٦٤، ٦٥].

---

(١) في الأصل: خرج عن مستقره.
(٢) في الأصل: وما فيه.
(٣) انظر في لفظ المَلَك: المفردات ص٤٧٢ ـ ٤٧٣، وعمدة الحفاظ ٤/ ١٢٥ ـ ١٢٧، والكليات ص٨٥٣ ـ ٨٥٤.

وإذا كان كذلك فجميع تلك المحبات والإرادات، والأفعال والحركات، هي عبادة لله رب الأرض والسمٰوات، كما قد بيّناه في غير هذا الموضع.

وإذا كان كذلك فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها، وخلق خَلْقَهُ لأجلها، هي ما في عبادته وحده لا شريك له، **إذ العبادة متضمّنة**[1] **لغاية الحب بغاية الذل.**

والمحبة لما كانت جنساً لأنواع[2] متفاوتة في القدر والوصف كان أغلب ما يذكر منها في حقّ الله ما يختصّ به ويليق به، مثل العبادة والإنابة ونحوهما؛ فإنّ العبادة لا تصلح إلاّ لله وحده، وكذلك الإنابة.

وقد تُذكر المحبة المطلقة[3]، لكن تقع فيها الشركة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

ولهذا كان هذا الحبّ أعظم الأقسام المذمومة في المحبة، كما أنّ حب الله أعظم الأنواع المحمودة، بل **عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل السعادة ورأسها**، التي لا ينجو أحد من العذاب إلاّ بها، وعبادة إله آخر من دونه هو أصل الشقاء ورأسه، الذي لا يبقى في العذاب إلاّ أهله.

فأهل التوحيد الذين أحبّوا الله وعبدوه وحده لا شريك له، لا يبقى منهم في العذاب أحد. والذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبّونهم كحبّه، وعبدوا غيره، هم أهل الشرك، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء: ٤٨].

---

(١) في الأصل: يتضمن.

(٢) في الأصل: أنواع.

(٣) في الأصل: المطلق.

وجماع القرآن هو الأمر بتلك المحبّة ولوازمها، والنهي عن هذه المحبّات ولوازمها[1]، وضرب الأمثال والمقاييس للنوعين، وذكر قصص أهل النوعين.

وأصل دعوة جميع المرسلين، صلى الله عليهم وسلم، قولهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف: ٥٩].

وعلى ذلك قاتل مَنْ قاتل منهم المشركين، كما قال خاتم الرسل ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٓه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**»[2]. / قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ   ظ ١٤٦

---

(١) في الأصل: وتلازمها.

(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب (١) وجوب الزكاة، حديث رقم (١٣٩٩ ـ ١٤٠٠) ٣/٢٦٢. وباب (٤٠) أخذ العناق في الصداق، حديث رقم (١٤٥٦ ـ ١٤٥٧) ٣/٣٢١ ـ ٣٢٢.

وفي كتاب استتابة المرتدين، باب (٣) قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة، حديث رقم (٦٩٢٤) ١٢/٢٧٥.

وفي كتاب الاعتصام بالسنة، باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، حديث رقم (٧٢٨٤ ـ ٧٢٨٥) ١٣/٢٥٠.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٨) الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلاّ الله محمد رسول الله، حديث رقم (٢٠) ١/٥١ ـ ٥٢.

وأبو داود في كتاب الزكاة، في فاتحته، حديث رقم (١٥٥٦) ٢/٩٣ ـ ٩٤.

والترمذي في كتاب الإيمان، باب (١) ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلاّ الله، حديث رقم (٢٦٠٧) ٥/٣ ـ ٤.

والنسائي في كتاب الزكاة، باب (٣) مانع الزكاة، ٥/١٤.

وفي كتاب الجهاد، باب (١) وجوب الجهاد، ٦/٥ ـ ٦.

وفي كتاب تحريم الدم، في فاتحته، ٧/٧٧ ـ ٧٨.

وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (٦٩١٦) ٤/٤٣ ـ ٤٤.

وحديث رقم (١٠٠٢٢) ٦/٦٧.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٢١٦ ـ ٢١٧) ١/٤٤٩ ـ ٤٥١.

والبيهقي في سننه ٤/١٠٤ ـ ١١٤. =

مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ [سورة الشورى: ١٣].

ولهذا قال ﷺ في الحديث المتفق عليه في الصحيحين، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، قال: «**ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حَلَاوَةَ الإيمان**».

وفي رواية في الصحيح: «**لا يجد طعم الإيمان إلاّ مَنْ كان فيه ثلاث: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرءَ لا يحبّه إلاّ لله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله، كما يكره أن يلقى في النار**»[1].

= و٧/٣ ـ ٤.
و٨/١٧٦.
و٩/١٨٢ من طريق عبيد الله بن عبد الله، عن أبي هريرة.
وله طرق أخرى.

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب (٩) حلاوة الإيمان، حديث رقم (١٦) ١/ ٦٠.
وباب (١٤) من كره أن يعود في الكفر، حديث رقم (٢١) ١/ ٧٢.
وفي كتاب الأدب، باب (٤٢) الحب في الله، حديث رقم (٦٠٤١) ١٠/ ٤٦٣.
وفي كتاب الإكراه، باب (١) من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، حديث رقم (٦٩٤١) ١٢/ ٣١٥.
ومسلم في كتاب الإيمان، باب (١٥) بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم(٤٣) ١/ ٦٦ ـ ٦٧.
والترمذي في كتاب الإيمان، باب (١٠)، حديث رقم (٢٦٢٤) ٥/ ١٥.
والنسائي في كتاب الإيمان، باب (٢) طعم الإيمان، ٨/ ٩٤ ـ ٩٥.
وباب (٣) حلاوة الإيمان، ٨/ ٩٦.
وباب (٤) حلاوة الإسلام، ٨/ ٩٧.
وابن ماجه في كتاب الفتن، باب (٢٣)الصبر على البلاء، حديث رقم (٤٠٣٣) بتحقيقنا. =

وفي الصحيح، عن أنس ـ أيضاً ـ، عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[1].

وفي صحيح البخاري: أنّ عمر، قال: يا رسول الله: والله لأنت أحب إليَّ من كلّ شي إلاّ من نفسي.

فقال: «**لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك**».

قال: فوالذي بعثك بالحق لأنت أحب إليَّ من نفسي.

= وأحمد في المسند ٣/١٠٣ ـ ١١٣ ـ ١١٤ ـ ١٧٢ ـ ١٧٤ ـ ٢٣٠ ـ ٢٤٨ ـ ٢٧٥.
والطيالسي في مسنده، حديث رقم (١٩٥٩) ص٢٦٤.
وابن المبارك في الزهد، حديث رقم (٨٢٧) ص٢٨٥.
وابن منده في الإيمان، حديث رقم (٢٨١ ـ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) ١/ ٤٣١ ـ ٤٣٣.
والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٧٢٤) ١/ ٢٥١ ـ ٢٥٢.
وفي المعجم الصغير ١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٢٣٧ ـ ٢٣٨) ١/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم(٢١) ١/ ٤٨ ـ ٤٩.

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب (٨) حب الرسول ﷺ من الإيمان، حديث رقم (١٥) ١/ ٥٨.
ومسلم في كتاب الإيمان، باب (١٦) وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد. . .، حديث رقم (٤٤) ١/ ٦٧.
والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه، باب (١٩) علامة الإيمان، ٨/ ١١٤ ـ ١١٥.
وابن ماجه في المقدمة من سننه، باب (٩) في الإيمان، حديث رقم (٦٧) بتحقيقنا.
والدارمي في كتاب الرقاق، باب (٢٩) لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم (٢٧٤٠ ـ ٢٧٤١) ٢/ ٣٩٧.
وأحمد في المسند ٣/ ٢٠٧ ـ ٢٧٨.
وأبو عوانة ١/ ٣٣.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٧٩) ١/ ٤٠٦.
وابن منده في الإيمان، حديث رقم (٢٨٤ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) ١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٢٢) ١/ ٥٠.

قال: «**الآن يا عمر**»[1].

ولهذا ورد في فضل هذه الكلمة: شهادة أن لا إله إلا الله من الدلائل ما يضيق هذا الموضع عن ذكره[2]، وهي أفضل الكلام، وما فيها من العلم والمحبة أفضل العلوم والمحبات، كالحديث الذي في السنن: «**أفضل الذكر لا إلّه إلا الله**»[3].

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب (٦) مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم (٣٦٩٤) ٧/ ٤٣ بجزء منه.
وفي كتاب الاستئذان، باب (٢٧) المصافحة، حديث رقم (٦٢٦٤) ١١/ ٥٤ بجزء منه.
وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (٣) كيف كانت يمين النبي ﷺ؟، حديث رقم (٦٦٣٢) ١١/ ٥٢٣ بطوله.
وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب (٩) ما جاء في البيعة، حديث رقم (٢٩٤٢) ٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤ بجزء منه.
وأحمد في المسند ٤/ ٢٣٣ بطوله و٥/ ٢٩٣ بطوله.
وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، حديث رقم (٦٧٨ ـ ٦٧٩) ٢/ ١٢ بجزء منه.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٢٣) ١/ ٥١ بطوله.

(٢) انظر كلمة الإخلاص للحافظ ابن رجب.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (٩) ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، حديث رقم (٣٣٨٣) ٥/ ٤٦٢.
وابن ماجه في كتاب الأدب، باب (٥٥) فضل الحامدين، حديث رقم (٣٨٠٠) بتحقيقنا.
والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٨٣١) ص٤٨٠ ـ ٤٨١.
والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٨ ـ ٥٠٣.
وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، حديث رقم (١٠٢) ص١١٣ بتقديم وتأخير.
والطبراني في الدعاء حديث رقم (١٤٨٣) ٣/ ١٤٩٠ وفيه: أفضل الكلام.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٨٤٦) ٣/ ١٢٦.
والبيهقي في الشعب ٤/ ٩٠ بتقديم وتأخير.
وفي الأسماء والصفات ١/ ١٧٩.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٢٦٩) ٥/ ٤٩.
قلت: سنده ضعيف، فيه: =

والآية المتضمّنة لها أعظم آية في القرآن، كما في صحيح مسلم أنّ النبي ﷺ قال لأُبيّ بن كعب: «**يا أبا المنذر: أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾** [سورة البقرة: ٢٥٥].

قال: فضرب بيده صدري، وقال: «**لِيَهْنِك العلم أبا المنذر**»[(١)].

وإذا كانت كلّ حركة فأصلها الحبّ والإرادة من محبوب مراد لنفسه[(٢)]، لا يُحب لغيره، إذ لو كان كلّ شيء محبوباً لغيره لزم الدَّوْر[(٣)] أو التسلسل[(٤)]. والشيء قد يُحبّ من وجه دون وجه، **وليس شيء يحبّ لذاته من كلّ وجه إلاّ الله وحده، ولا تصلح الإلَهية إلاّ له**، و ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

= ١ ـ طلحة بن خراش: صدوق، إلاّ أنّ الأزدي قال: روى عن جابر مناكير. انظر التهذيب ٥/ ١٥، والتقريب ١/ ٣٧٨.
٢ ـ موسى بن إبراهيم: ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: وكان يخطئ.
قال في التقريب ٢/ ٢٨٠: «صدوق يخطئ». وانظر تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٣٣.
وقد صححه شيخنا في صحيحته ٣/ ٤٨٤ (١٤٩٧).

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٤٤) فضل سورة الكهف وآية الكرسي، حديث رقم (٨١٠) ١/ ٥٥٦.
وأبو داود في كتاب الوتر، باب (١٧) ما جاء في آية الكرسي، حديث رقم (١٤٦٠) ٢/ ٧٢ وأحمد ٥/ ١٤١ ـ ١٤٢.
وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم(٦٠٠١) ٣/ ٣٧٠.
والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٥٢٦) ١/ ١٩٧.
والحاكم ٣/ ٣٠٣.

(٢) في الأصل: بنفسه.

(٣) الدور: هو توقف كل واحد من الشيئين على الآخر.
وهو أنواع. انظر الكليات ص٤٤٧ ـ ٤٤٨.

(٤) التسلسل:
والدور قرينة التسلسل غالباً، وقيل: كل منهما بحيث إذا ذكر الآخر معه غالباً يدل أحدهما على الآخر.
انظر الكليات ص٢٩٣ وص٤٤٨.

والإلٰهية المذكورة في كتاب الله هي العبادة والتألُّه، ومن لوازم ذلك أن يكون هو الربّ الخالق. وأما ما يظنه طوائف من أهل الكلام أنّ الألوهية هي نفس الربوبية، وأنّ ما ذكر في القرآن من نفي إلّه آخر، والأمثال المضروبة البيّنة فالمقصود به نفي ربّ يشركه في خلق العالم، كما هو عادتهم في كتب الكلام. / فهذا قصور وتقصير منهم في فهم القرآن، وما فيه من الحجج والأمثال أُتوا فيه من جهة أنّ مبلغ علمهم هو ما سلكوه من الطريقة الكلامية، فاعتقدوا أنّ المقصودَيْن واحد[1]، وليس كذلك، بل القرآن ينفي أن يَعبد غير الله، أو أن يتخذه إلٰهاً[2] يحبّه ويخضع له محبة الإِلّه وخضوعه، كما بيَّنت ذلك عامة آيات القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]. ولهذا قال الخليل: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٦].

ص ١٤٧

ومن المعلوم أنّ كلّ حيّ فله إرادة وعمل بحسبه، وكلّ متحرك فأصل حركته المحبة والإِرادة، ولا صلاح للموجودات[3] إلاّ أن يكون كمال محبتها وحركتها لله تعالى، كما لا وجود لها إلاّ أن يبدعها الله.

ولهذا قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢]، ولم يقل: لعدمتا[4]، إذ هو قادر على أن يبقيها على وِجهة الفساد، لكن لا يمكن أن تكون صالحة إلاّ أن يُعبد الله وحده لا شريك له، فإنّ صلاح الحي إنما هو صلاح مقصوده ومراده، وصلاح الأعمال والحركات بصلاح إرادتها ونياتها.

ولهذا كان من أجمع الكلام وأبلغه قوله ﷺ: «**إنما الأعمال**

---

(١) في الأصل: واجلد، وهو تحريف.

(٢) في الأصل: أو أن يتخذه الله. وهو تحريف. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل: الموجودات.

(٤) انظر في تفسير الآية تفسير الطبري ٩/ ١٥، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٧٥، وزاد المسير ٥/ ٣٤٥.

بالنيات، وإنما لكلّ امرئ ما نوى»[1]، وهذا يعمّ كلَّ عمل وكلَّ نيّة.

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب (١) كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ حديث رقم (١) ١/ ١٥.
وفي كتاب الإيمان، باب (٤١) ما جاء: أن الأعمال بالنية، حديث رقم (٥٤) ١/ ١٦٣ ـ ١٦٤.
وفي كتاب العتق، باب (٦) الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق نحوه...، حديث رقم (٢٥٢٩) ٥/ ١٩٠.
وفي كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٥) هجرة النبي ﷺ، وأصحابه إلى المدينة. حديث رقم (٣٨٩٨) ٧/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧.
وفي كتاب النكاح، باب (٥) مَنْ هاجر أو عمل خيراً ليتزوج امرأة فله ما نوى، حديث رقم (٥٠٧٠) ٩/ ١٧ ـ ١٨.
وفي كتاب الطلاق ـ معلقاً ـ، باب (١١) الطلاق في الإغلاق والكره...، ٩/ ٣٨٨.
وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (٢٣) النية في الأيمان، حديث رقم (٦٦٨٩) ١١/ ٥٨٠.
وفي كتاب الحيل، باب (١) في ترك الحيل، حديث رقم (٦٩٥٣) ١٢/ ٣٤٢.
ومسلم في كتاب الإمارة، باب (٤٥) قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، حديث رقم (١٩٠٧) ٣/ ١٥١٥ ـ ١٥١٦.
وأبو داود في كتاب الطلاق، باب (١٠) فيما عنى به الطلاق والنيات، حديث رقم (٢٢٠١) ١/ ٦٧٠.
والترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب (١٦) فيمن يقاتل رياء وللدنيا، حديث رقم (١٦٤٧) ٤/ ١٥٤.
والنسائي في كتاب الطهارة، باب (٦٠) النية في الوضوء، ١/ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠.
وفي كتاب الطلاق، باب (٢٤) الأيمان الكلام إذا قصد فيما يحتمل معناه، ٦/ ١٥٨ ـ ١٥٩.
وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (١٨) النية في اليمين، ٧/ ١٣.
وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (٢٦) النية، حديث رقم (٤٢٢٧) بتحقيقنا.
وأحمد في المسند ١/ ٢٥ ـ ٤٣.
ومالك في الموطأ، حديث رقم (٩٨٣) برواية محمد بن الحسن.
وتمام في فوائده، حديث رقم (١٦٢ إلى ١٦٨) ١/ ٢١٨ ـ ٢٢٠.
والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٣٧) ص٩.
ووكيع في الزهد، حديث رقم (٣٥١) ٢/ ٦٢٨ ـ ٦٢٩. =

فكلّ عمل في العالم هو بحَسْب نية صاحبه، وليس للعامل[1] إلاّ ما نواه[2] وقصده وأحبّه وأراده بعمله، ليس في ذلك تخصيص ولا تقييد، كما يظنه طوائف من الناس، حيث يحسبون أنّ النية المراد به النية الشرعية المأمور بها، فيحتاجون أن يحصروا[3] الأعمال بالأعمال الشرعية[4]، فإنّ النية موجودة لكلّ متحرّك، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**أصدق الأسماء الحارث وهمام**»[5]، فالحارث: هو

= وهناد في الزهد، حديث رقم (٨٧١) ٢/ ٤٤٠.
والحميدي في المسند، حديث رقم (٢٨) ١/ ١٦ ـ ١٧.
وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم (١٤٢ ـ ١٤٣) ١/ ٧٣ ـ ٧٤.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣٨٨ ـ ٣٨٩) ٢/ ١١٣ ـ ١١٦.
وحديث رقم (٤٨٦٨) ١١/ ٢١٠ ـ ٢١١.
وفي الثقات ٦/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١) ١/ ٥.
وحديث رقم (٢٠٦) ١/ ٤٠١.
وفي تفسيره ١/ ٣٥٩.

(١) في الأصل: وليس للعمل، ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) في الأصل: إلاّ ما هو نواه. ولعل الصواب ما أثبته.
(٣) في الأصل: أن يحصوا. ولعل الصواب ما أثبته.
(٤) قال شيخ الإسلام في رسالته شرح حديث «إنما الأعمال بالنيات» ص ٣٢ بتحقيقنا: «فإنه لم يرد بالنيات الأعمال الصالحة وحدها، بل أراد النية المحمودة والمذمومة، والعمل المحمود والمذموم، ولهذا قال في تمامه: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله» إلخ. فذكر النية المحمودة بالهجرة إلى الله ورسوله فقط، والنية المذمومة وهي الهجرة إلى امرأة أو مال».
(٥) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب (٦١) في تغيير الأسماء، حديث رقم (٤٩٥٠) ٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.
والنسائي في سننه في كتاب الخيل، باب (٣) ما يستحب من شية الخيل، ٦/ ٢١٨ بدون: وأصدقها.
وأحمد في المسند ٤/ ٣٤٥.
والبخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٨١٤) ص٢٧٥.
وفي الكنى ص٧٨.
وابن أبي حاتم في العلل ٢/ ٣١٢. =

العامل[1] الكاسب، والهمام: هو القاصد المريد، وكلّ إنسان متحرّك بإرادته حارث همام.

كما بيّنا أنّ المحبة والإرادة أصل كلّ عمل، فكلّ عمل في العالم فعن إرادة ومحبة صَدَر.

ولهذا كانت المحبة والإرادة منقسمة إلى محبوب لله، وغير محبوب، كما أنّ العمل والحركة منقسم[2] كذلك.

وإذا كان كذلك فالمحبة لها آثار وتوابع ـ سواء كانت صالحة محمودة نافعة / أو كانت غير ذلك ـ، لها وجد وحلاوة وذوق ووصال وصدود، ولها سرور وحزن وبكاء. ظ ١٤٧

والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة، وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه، وهو السعادة.

والضارّة هي التي تجلب لصاحبها ما يضرّه، وهو الشقاء.

ومعلوم أنّ الحي العالم لا يختار أن يحب ما يضرّه، لكن [يكون][3] ذلك عن جهل وظلم؛ فإنّ النفس قد تهوى ما يضرّها ولا ينفعها، وذلك ظلم منها لها، وقد تكون جاهلة بحالها به، بأن تهوى الشيء وتحبّه ـ بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضرة ـ

= وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٧١٦٩ ـ ٧١٧٠) ١٣/ ١١١ ـ ١١٤.
والدولابي في الكنى ١/ ٥٩.
والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٩٤٩) ٢٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١.
والبيهقي في سننه ٩/ ٣٠٦.
وسنده ضعيف، فيه:
عقيل بن شبيب: لا يعرف. انظر التقريب ٢/ ٢٩، والميزان ٣/ ٨٨.
ولكن له شواهد يرتقي بها لدرجة الحسن لغيره، ففي الباب عن ابن عمر، وأبي هريرة، وابن شهاب مرسلاً، وعبد الله بن بخت عند ابن وهب في الجامع.

(١) في الأصل: العمل.
(٢) في الأصل: كما هو العمل بالحركة منقسمة.
(٣) زيادة ليست في المخطوطة.

وتتّبع هواها، وهذا حال مَن اتبع هواه بغير علم.

وقد يكون عن اعتقاد فاسد، وهو حالَ من اتّبع الظنّ وما تهوى نفسه، وكلّ ذلك من أمور الجاهلية، وإن كان كلّ مَنْ جهلها وظلمها لا يكاد يخلو عن شبهة يشتبه بها الحق، وشهوة هي في الأصل محمودة إذا وضعت في محلّها، كحال الذي يحبّ لقاء قريبه؛ فإنّ هذا محمود، وهو[1] أصل صلة الرحم التي هي شجنة من الرحمن.

لكن إذا اتبع هواه، حتى خرج عن العدل بين ذوي القربى وغيرهم، كان هذا ظلماً، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة النساء: ١٣٥].

وكذلك الذي يحب الطعام والشراب والنساء، فإنّ هذا محمود، وبه يصلح حال بني آدم، ولولا ذلك لما استقامت نفس الأنساب، ولا وُجدت الذرية، ولكن يجب العدل والقصد في ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [سورة الأعراف: ٣١]، وكما قال تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٦، ٧].

فإذا تجاوز حدّ العدل، وهو المشروع، صار ظالماً عادياً، بحسب ظلمه وعدوانه.

وقد ذكرنا / في مواضع [أنّ][2] المشروع، والنافع، والصالح، والعدل، والحق، والحسن: أسماء متكافئة، مسمَّاها واحد بالذات، وإن تنوعت صفاته، بمنزله أسماء الله الحسنى، فأسماؤه تعالى، وأسماء كتابه، ودينه، ونبيه، مسمَّى كلّ صنف من ذلك واحد وإن تنوعت صفاته. فكلّ عمل صالح هو نافع لصاحبه وبالعكس، وكلّ

ص ١٤٨

(١) في الأصل: وهي.
(٢) زيادة ليست في المخطوطة.

نافع صالح فهو مشروع وبالعكس، وكلّ ما كان صالحاً مشروعاً فهو حقّ وعدل وبالعكس.

ولكن الناس قد يدركون أحد النعتين فيستدلون به على وجود الآخر[1]، مثل أن يعلم أنّ الله أمر بهذا الفعل وشرعه، فيعلم من هذا وجوب كونه طاعة لله ورسوله، وذلك الفعل بعينه يجب أن يكون عملاً صالحاً، وهو النافع، وأن يكون حقّاً وعدلاً، وهذا استدلال بالنص. وقد يعلم كونه الشيء صالحاً أو عدلاً أو حسناً، ثم يستدلّ بذلك على كونه مشروعاً، وهو الاستدلال بالاستصلاح[2] والاستحسان[3] والقياس على كونه مشروعاً.

وهذه الطريقة فيها خطر عظيم، والغلط فيها كثير، لخفاء صفات الأعمال وأحوالها عنها، وأنّ العالم بذلك، كما ينبغي، ليس هو إلاّ رسول الله ﷺ.

---

(١) في الأصل كأن العبارة: على الذات ووجود الآخر، ورأيت أن ما أثبته يستقيم به الكلام.

(٢) المصلحة المرسلة أو الاستصلاح ـ هي المصالح الملائمة لمقاصد الشارع الإسلامي. ولا يشهد لها أصل خاص بالاعتبار أو الإلغاء، فإن كان يشهد لها أصل خاص دخلت في عموم القياس، وإن كان يشهد لها أصل خاص بالإلغاء فهي باطلة، والأخذ بها مناهضة لمقاصد الشارع.
والإمام مالك هو الذي حمل لواء الأخذ بالمصلحة المرسلة، وقد اشترط للأخذ بها شروطاً ثلاثة.
انظر أصول الفقه لمحمد أبو زهرة ص٢٢١ ـ ٢٢٢، والاعتصام للشاطبي ٣/ ٣٠٧.

(٣) الاستحسان: هو ترك القياس والأخذ بما هو أرفق للناس، وهو اسم لدليل نصاً كان أو إجماعاً، أو قياساً خفياً إذا وقع في مقابلة قياس جلي سبق إليه الفهم حتى يطلق على دليل إذا لم يقصد فيه تلك المقابلة.
وإذا كان الدليل ظاهراً جلياً وأثره ضعيفاً يسمى قياساً، وإذا كان باطناً خفياً وأثره قوياً يسمى استحساناً.
انظر الكليات ص١٠٧، والحدود في الأصول للباجي ص٦٥ ـ ٦٨، وأصول الفقه لمحمد أبو زهرة ص٢٠٧ ـ ٢١٣.

فالاستدلال بالمصالح، التي قد يقال لها: المصالح المرسلة، هو الذي يرى الشيء مصلحة ليس في الشرع ما ينفيه، فيستدل بالمصلحة على أنه من الشريعة.

والاستحسان: أن يرى الشيء حسناً فيستدلّ بحسنه على أنه من الشرع.

والعدل: أن يرى للشيء نظيراً وشبيهاً[1]، فيستدلّ على حكمه بحكم نظيره وشبيهه، وليس هذا موضع الكلام في ذلك.

لكن أعلم الناس مَنْ كان رأيه واستصلاحه واستحسانه وقياسه موافقاً للنصوص، كما قال مجاهد[2]: أفضل العبادة الرأي الحسن، وهو اتباع السنة. ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سورة سبأ: ٦].

ولهذا كان السلف يسمّون أهل الآراء المخالفة للسنة / والشريعة ظ ١٤٨ في مسائل الاعتقاد الخبرية، ومسائل الأحكام العملية يسمّونهم: أهل الأهواء؛ لأنّ الرأي المخالف للسنة جهل لا علم، فصاحبه ممن اتّبع هواه بغير علم.

ولهذا يذكر الله في القرآن مَنْ يتّبع هواه بغير علم، ويذمّ مَنْ يتبع هواه[3] بغير هدى من الله، كما قال تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٩].

---

(١) في الأصل: نظير وشبيه. وهو خطأ.

(٢) هو الإمام مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المخزومي. مولاهم المكي، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى ـ أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ـ ومائة، وله ثلاث وثمانون سنة. رحمه الله. انظر التقريب ص٥٢٠ (طبعة الرسالة).

(٣) في الأصل: وذم لمن يتبع هواه.. وأرجو أن يكون ما أثبته هو الصواب.

وكلّ مَن اتبع هواه [اتبعه][1] بغير علم، إذ لا علم بذلك إلاّ بهدى الله، الذي بعث الله به رسله، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة طه: ١٢٣، ١٢٤] ولهذا ذم الله الهوى في مواضع من كتابه.

واتّباع الهوى يكون في الحب والبغض، كقوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة صٓ: ٢٦].

فهنا يكون اتبّاع الهوى هو ما يخالف الحق في الحكم. قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة النساء ١٣٥].

فهنا يكون اتباع الهوى فيما يُخالف القسط من الشهادة وغيرها. والحقّ: هو العدل، واتّباع الهوى في خلاف ذلك هو من الظلم.

وقد نُهي رسول الله ﷺ عن اتباع أهواء الخلق. وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة البقرة: ١٢٠]، فنهاه عن اتّباع أهواء الذين أوتوا الكتاب يعد ما جاءه من العلم.

ص ١٤٩ وكذلك / قال تعالى في الآية الأخرى[2]: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ﴾ [سورة البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.
(٢) في الأصل: أخرى.

ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ [سورة المائدة: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٥٠].

فقد نهاه عن اتّباع أهواء المشركين واتباع أهواء أهل الكتاب، وحذّره أن يفتنوه عمَّا أنزل الله إليه من الحق، وذلك يتضمّن النهي عن اتّباع أهواء أحد في خلاف شريعته وسنته، وكذا أهل الأهواء من هذه الأمة.

وقد بيَّن ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الجاثية: ١٨ ـ ١٩].

فقد أمره في هذه الآية باتّباع الشريعة التي جعله عليها، ونهاه عن اتّباع ما يخالفها، وهي أهواء الذين لا يعلمون.

ولهذا كان كلّ مَنْ خرج عن الشريعة والسنة من أهل[1] الأهواء، كما سمَّاهم السلف.

وقال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [سورة المؤمنون: ٧١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

---

(١) في الأصل.. والسنة كان من أهل..

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [سورة الأنعام: ١١٩].

ظ ١٤٩ وقال تعالى: / ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة القصص: ٤٨ ـ ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [سورة محمد: ١٦، ١٧].

فذكر الذين أوتوا العلم، وهم الذين يعلمون أنّ ما أُنزل إليه من ربه الحقّ، ويفقهون ما جاء به، وذكر المطبوع على قلوبهم فلا يفقهون إلاّ قليلاً، الذين اتبعوا أهواءهم: يسألونهم ماذا قال الرسول آنفاً؟ وهذه حال مَنْ لم يفقه الكتاب والسنة، بل يستشكل ذلك فلا يفقهه، أو قرأه متعارضاً متناقضاً، وهي صفة المنافقين.

ثم ذكر صفة المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [سورة محمد: ١٧] زيادة الهدى، وهو ضدّ الطبع على قلوب أولئك، ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾، وهو ضدّ اتّباع أولئك الأهواء.

فصاحب التقوى ضد صاحب الأهواء، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ﴾ [سورة الفتح: ٢٦].

ولما كانت كلّ حركة وعمل في العالم فأصلها المحبة والإرادة، وكلّ محبة وإرادة لا يكون أصلها محبة الله وإرادة وجهه فهي باطلة

فاسدة، كان كلّ عمل لا يُراد به وجهه باطلاً، فأعمال الثقلين ـ الجن والإِنس ـ منقسمة: منهم مَنْ يعبد الله، ومنهم [مَنْ][1] لا يعبده، بل قد يجعل معه إلّهاً آخر. وأما الملائكة فهم عابدون لله.

وجميع الحركات الخارجة عن مقدور بني آدم والجن والبهائم فهي من عمل الملائكة، وتحريكها لما[2] في السماء والأرض وما بينهما، / فجميع تلك الحركات والأعمال عبادات لله متضمّنة لمحبته وإرادته وقصده، وجميع المخلوقات عابدة لخالقها إلاّ ما كان من مردة الثقلين، وليست عبادتها إياه قبولها لتدبيره[3] وتصريفه وخلقه، فإنّ هذا عام لجميع المخلوقات، حتى كفَّار بني آدم، فلا يخرج أحد عن مشيئته وتدبيره، وذلك بكلمات الله التي كان النبي ﷺ يستعيذ بها، فيقول: **«أعوذ بكلمات الله التامات، التي لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجر»**[4]،

ص ١٥٠

---

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

(٢) في الأصل: مما.

(٣) في الأصل: التدبير.

(٤) رواه مطولاً النسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٩٥٦) ص٥٣٠.
من طريق محمد بن جعفر، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن عياش، عن عبد الله بن مسعود.
ولكن خالف مالكُ بن أنس محمداً: فرواه عن يحيى بن سعيد مرسلاً:
رواه النسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٩٥٧) ص٥٣١.
وتابع محمداً: داود بن عبد الرحمن العطار فرواه عن يحيى، عن رجل من أهل الشام يقال له: العباس، يحدّث عن ابن مسعود ـ ولم يذكر محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة.
قال حمزة الكناني: هذا ـ أي: الموصول ـ ليس بمحفوظ. والصواب مرسل وانظر تنوير الحوالك ٣/ ١٢٦.
قلت: عياش الشامي: مجهول. انظر التقريب ٢/ ٩٥.
وله شاهد يرتقي به لدرجة الحسن لغيره من حديث عبد الرحمن بن خنبش: رواه أحمد ٣/ ٤١٩.
وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٣٦٠١) ٥/ ١٥. وسنده صحيح.
وله طرق أخرى دون قصة ليلة الجن: انظر الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٣٨٣٨) ٤/ ١١٤ ـ ١١٥، قال في المجمع ١٠/ ١٢٧: «وفيه المسيب بن واضح، =

وهذا من عموم ربوبيته وملكه.

وهذا الوجه هو الذي أدركه كثير من أهل النظر والكلام، حتى فسَّروا ما في القرآن والحديث من عبادة الأشياء وسجودها وتسبيحها بذلك، وهم غالطون في هذا التخصيص شرعاً وعقلاً ـ أيضاً ـ [1].

فإنّ المعقول الذي لهم يعرّفهم أنّ كلّ شيء وكلّ متحرك، وإن كان له مبدأ، فلا بدّ له من غاية ومنتهى ـ كما يقولون: له علتان، فاعلية، وغائية.

والذي ذكروه إنما هو من جهة العلة الفاعلية، وبعض المخلوقين كذلك يجعلونه [من جهة] العلة الغائية[2]، وهذا غلط.

فلا يصلح أن يكون شيء من المخلوقات علّة فاعليّة ولا غائيّة، إذ لا يستقلّ مخلوق بأن يكون علّة تامة قطّ، ولهذا لم يصدر عن مخلوق واحد شيء قط، ولا يصدر شيء في الآثار إلاّ عن اثنين من المخلوقات، كما قد بينا هذا في غير هذا الموضع.

وكذلك لا يصلح شيء من المخلوقات أن يكون علّة غائيّة تامّة؛ إذ ليس في شيء من المخلوقات كمال مقصود حتى من الأحياء[3].

= وقد وثّقه غير واحد، وضعّفه جماعة.
وكذلك الحسن بن علي المعمري، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ.
ورواه الذهبي في السير ١/٣٦٨ ـ ٣٦٩. ورجاله ثقات.
ومن طريق يحيى بن جعده، قال خالد:
رواه ابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٣٥٩٩) ٥/٥٠ ـ ٥١.
فيصح حديث خالد بهذه الطرق. والله تعالى أعلم بالصواب.

(١) انظر في معنى تسبيح غير الإنس والجن والملائكة: تفسير ابن كثير ٣/٤٢ ـ ٤٣، وتفسير الطبري ٨/٨٤ ـ ٨٥.
(٢) في الأصل: بعض. . . يجعلون العلة الغائية. ولعل ما أثبته يستقيم به الكلام.
(٣) في الأصل: من الأحياء مراد.

فالمخلوقات بأسرها يجتمع فيها هذان[1] النقصان:

أحدهما: أنه لا يصلح شيء منها أن تكون علّة تامة؛ لا فاعلية ولا غائية.

والثاني: أنّ ما كان فيها علّة فله علّة، سواء كان علّة فاعلية أو غائية.

فالله سبحانه ربّ كلّ شيء ومليكه، وهو ربّ العالمين، لا ربّ لشيء من الأشياء إلاّ هو، وهو إلٓه كلّ شيء، وهو في السماء / إلٓه، ظ ١٥٠ وفي الأرض إلٓه، وهو الله في السموٰات وفي الأرض، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، وما من إلٓه إلا الله، سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

فعبادة المخلوقات وتسبيحها هو من جهة إلاهيته سبحانه وتعالى، وهو الغاية المقصودة منها ولها.

وأما في الشرع فإنّ الله فصل بين هذا وبين هذا، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحج: ١٨].

فهذا السجود الذي فصّل بين كثير من الناس الذي يفعلونه، وكثير من الناس [الذين لا يفعلونه طوعاً][2]، وهم الذين حق عليهم[3] العذاب، ليس هو ما يشترك فيه جميع الناس من خلق الله وربوبية الله تعالى إياهم وتدبيرهم.

---

(١) في الأصل: يجمع فيها هذا.

(٢) ما بين القوسين زيادة ليستقيم الكلام.

(٣) في الأصل: عليه.

وكذلك فصل بين الصنفين في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٣].

وكذلك في قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الرعد: ١٥].

وهو سبحانه ذكر في الآية الأخرى سجود المخلوقات إلاّ الكثير من الناس، لأنه ذكر الطوع فقط، كما ذكر في التي قبلها أديان الناس، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الحج: ١٧].

فتضمّنت هذه الآية حال المخلوقات إلاّ الجن، فإنهم لم يُذكروا باللفظ الخاص، لكنهم يندرجون في الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين، فإنهم كما قالوا: ﴿مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [سورة الجن: ١١].

وقد ذكر طائفة من أهل العربية أنهم يدخلون في لفظ الناس ـ أيضاً ـ [1].

ص ١٥١ / وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة النحل: ٤٨ ـ ٥٠].

وفي الصحيحين حديث أبي ذر في **سجود الشمس تحت العرش**

---

(١) انظر في لفظ: الناس: المفردات ص٥٠٩، وعمدة الحفاظ ٤/٢٦٩، والكليات ص٩١٢، وبصائر ذوي التمييز ٥/١٣٩ ـ ١٤٠.

إذا غابت[1].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النور: ٤١].

وقال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [سورة الحديد: ١]، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [سورة الحشر: ١]، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [سورة الصف: ١]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [سورة الجمعة: ١]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [سورة التغابن: ١]، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ﴾ [سورة الإسراء: ٤٤].

قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب (٤) صفة الشمس والقمر، حديث رقم (٣١٩٩) ٦/٢٩٧.
وفي كتاب التفسير، باب في تفسير سورة يٓس، حديث رقم (٤٨٠٢ ـ ٤٨٠٣) ٨/ ٥٤١.
وفي كتاب التوحيد، باب (٢٣) قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، حديث رقم (٧٤٣٣) ١٣/ ٤١٦.
ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٧٢) بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، حديث رقم (١٥٩) ١/ ١٣٨ ـ ١٣٩.
والترمذي في كتاب الفتن، باب (٢٢) ما جاء في طلوع الشمس من مغربها، حديث رقم (٢١٨٦) ٤/ ٤٧٩.
وفي كتاب التفسير، باب (٣٧) ومن سورة يٓس، حديث رقم (٣٢٢٧) ٥/ ٣٦٤.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦١٥٢ ـ ٦١٥٣ ـ ٦١٥٤) ـ ١٤/ ٢٠ ـ ٢٥.
وأحمد ٥/ ١٤٥ ـ ١٥٨ ـ ١٧٧.
والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٤٦٠).
والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٩٣.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٤٢٩٣)، وفي تفسيره ٤/ ١٢ ـ ١٣.

عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الأنبياء: ١٩ ـ ٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة فصلت: ٣٧ ـ ٣٨].

وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧٢]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [سورة النساء: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [سورة مريم: ٨٨ ـ ٩٥].

ظ ١٥١

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٩].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ

شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الرعد: ١٢ ـ ١٣].

وقالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةًۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [سورة ص: ١٨، ١٩].

فأما كثير من الناس، وأهل الطبع المتفلسفة وغيرهم، فيعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، ويأخذون[(١)] بظاهر من القول؛ يرون ظاهر الحركات والأعمال التي للموجودات، ويرون بعض أسبابها القريبة، وبعض حكمها وغايتها القريبة: أنَّ ذلك هو العلة لها: فاعلاً وغاية، كما يذكرونه في تشريح الإنسان وأعضائه وحركاته الباطنة والظاهرة، وما يذكرونه من القوى التي في الأجسام، التي هي تكون بها الحركة، وما يذكرونه من كلّ شيء.

ومن ذلك ذكرهم[(٢)] الطبيعة التي في الإنسان، والقوة الجاذبة، والهاضمة الغاذية، والدافعة، والمولِّدة وغير ذلك، وأنّ الرئة تُرَوِّح على القلب لفرط حرارته، وأنّ الدماغ أبرد من القلب[(٣)]، إلى غير ذلك من الأسباب / والحكم التي فيها من شهود ما في مخلوقات الله من الأسباب والحكم ما هو عبرة لأولي الأبصار. ص ١٥٢

لكن يقع الغلط من إضافة هذه الآثار العظيمة إلى مجرد قوة في جسم، ولا يشهدون الحكمة الغائية من هذه المخلوقات، وأنّ ذلك هو عبادة ربها سبحانه وتعالى.

---

(١) في الأصل: ويشترون. ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: وذكرهم.

(٣) بعد كلمة: القلب: توجد عبارة غير واضحة في الأصل كأنها: «لكن والحركات عليه تعديلاً له ولواجه» والكلام يستقيم بدونها.

وقد يعارضهم[1] كلّهم طوائف من أهل الكلام، فينكرون طبائع[2] الموجودات وما فيها من القوى والأسباب، ويدفعون ما أرى الله عباده من آياته في الآفاق وفي أنفسهم، مما شهد به كتابه من أنه خلق هذا بهذا، كقوله ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [سورة الأعراف: ٥٧]، وقوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة الجاثية: ٥].

وكلا الطائفتين قد لا يعلمون ما فيها من الحكمة التي هي عبادة ربها، وهذا هو المقصود الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، بل إنما يتنازعون في فاعل هذه الأمور، وما يتعلّق بتوحيد الربوبية، كما قدَّمناه.

وأما شهادة غاية هذه الأمور، وما يتعلّق بتوحيد الإلٰهية، فقد لا يهتدون له. ولهذا كان في طرقهم من الضلالات والجهالات ما هو مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول.

لكن أهل العلم في إضافة جميع الحوادث إلى خلق الله ومشيئته وربوبيته أصح عقلاً وديناً، ومَنْ أدخل في ذلك كلّ شيء، حتى أفعال الحيوان، فهو المصيب الموافق للسنة والعقل، وهم متكلّمة أهل الإثبات الذين يقرّرون أنّ الله خالق كلّ شيء وربّه ومليكه.

بخلاف القدرية الذين أخرجوا عن ذلك أفعال الحيوان[3]، وبخلاف أهل الطبع والفلسفة الذين يخرجون عن ذلك عامة الكائنات من العلل المولّدات، وكلاهما باطل، كما بُيّن في غير هذا الموضع.

ولهذا تجد هؤلاء إذا تكلّموا في الحركات التي بين السماء والأرض مثل حركة الرياح والسحاب والمطر وحدوث المطر، من

(١) في الأصل: يعاوطهم، وهو تحريف.
(٢) في الأصل: طباع.
(٣) انظر مقالات الإسلاميين.

الهواء الذي بين السماء والأرض تارة، / ومن البخار المتصاعد من الأرض تارة، كما ذكر ذلك ـ أيضاً ـ غير واحد من السلف، وهو حقّ مشهود بالأبصار، كما يُخلق الولد في بطن أمه من المنيِّ، وكما يُخلق الشجر من الحبّ والنّوى، فشهدوا بعض الأسباب المرئية، وجهلوا أكثر الأسباب، وأعرضوا عن الخالق المسبِّب لذلك كلّه، وعما جاء في ذلك من عبادته وتسبيحه والسجود له، الذي هو غاية حكمته. ظ ١٥٢

فإنّ خلق الله سبحانه للسحاب بما فيه من المطر من هذا البحر وبخار الأرض، كخلقه للحيوان والنبات والمعدن من هذه الأمور.

ومعلوم أنّ المنيّ جسم صغير مشابه لهذا الذي في الحيوان من الأعضاء المكسوَّة والمتنوّعة في أقدارها وصفاتها وحكمها وغاياتها، هل يقول عاقل: إنّ هذا مضافٌ إلى عَرَض وصفة؟

حالٌّ في جسم صغير؟

أو يضاف هذا إلى ذلك الجسم الصغير؟ هذا من أفسد الأمور في بديهة العقل.

ومعلوم أنه لا نسبه إلى خلق هذا من هذا، وإلى ما يصنعه بنو آدم من الصور التي يصنعونها من المداد، مثل الكتابة بالمداد، ونسيج الثياب من الغزل، وصنعة الأطعمة والبنيان من موادها[1]، وهم مع ذلك لم يخلقوا المواد ولا يفنونها[2]، وإنما غايتهم حركة خاصة تعين على تلك الصورة، ثم لو أضاف مضيف هذه الكتابة إلى المداد لكان الناس جميعاً يستجهلونه ويستحمقونه. فالذي يضيف خلق الحيوان والنبات إلى مادتها، أو ما في مادتها من الطبع، أليس هو أحمق وأجهل وأظلم وأكفر؟!

وكذلك خلق السحاب والمطر من الهواء والبخار، هو كذلك

(١) في الأصل: من سوادها.

(٢) في الأصل: ينفونها.

إضافة الزلزلة إلى احتقان البخار، وإضافة حركة الرعد إلى مجرد اصطكاك أجرام السحاب، إلى غير ذلك من الأسباب التي يضلّوا فيها ضلالاً مبيناً، حيث جعلوها هي العلّة التامّة فاعلاً، ولم يعرفوا[(١)] الغاية، فجهلوا الوضعين، ونازعهم طوائف من الناس فيما يُوجد من الأسباب والقوى التي في الطباع، وذلك ـ أيضاً ـ جهل.

وإذا كانت المحبة والإرادة أصل كلّ عمل وحركة. وأعظمها في الحق محبة الله / وإرادته بعبادته وحده لا شريك له، وأعظمها في الباطل أن يتخذ الناس من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، ويجعلون له عدلاً وشريكاً ـ عُلم أنّ المحبة والإرادة أصل كلّ دين، سواء كان ديناً صالحاً أو ديناً فاسداً، فإنّ الدين هو من الأعمال الباطنة والظاهرة، والمحبة والإرادة أصل ذلك كلّه، **والدين هو الطاعة والعبادة والخُلُق، فهو الطاعة الدائمة اللازمة التي قد صارت عادة وخُلُقاً**، بخلاف الطاعة مرة واحدة، ولهذا فُسِّر الدين بالعادة والخُلُق، ويفسر الخلق بالدين أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ④﴾ [سورة القلم: ٤][(٢)].

ص ١٥٣

قال ابن عباس: على دين عظيم، وذكره عنه سفيان بن عيينة، وأخذه الإمام أحمد، عن سفيان بن عيينة، وبذلك فسّراه[(٣)].

وكذلك يفسّر بالعادة، كما قال الشاعر[(٤)]:

---

(١) في الأصل: ولم يعرف.

(٢) انظر في معنى الدين: لسان العرب ١٣/١٦٩ ـ ١٧١، والمفردات ص١٧٥، وعمدة الحفاظ ٢/٣٢ ـ ٣٤، والدر المصون ١/٥٣ ـ ٥٤، وبصائر ذوي التمييز ٢/٦١٥ ـ ٦١٧، وتفسير الطبري ١/٩٨ ـ ٩٩، وإعراب ثلاثين سورة ص٢٤ ـ ٢٥، ونزهة الأعين النواظر ص٢٩٥ ـ ٢٩٩، ووضع البرهان ١/٩٣، والكليات ص٤٤٣، والمحرر الوجيز ١/٧٠ ـ ٧٢.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٢/١٧٩ ـ ١٨٠، وتفسير البغوي ٤/٣٧٥، وتفسير ابن كثير ٤/٤٠٢، وتفسير المحرر الوجيز ٥/٣٤٦.

(٤) البيت للمثقب العبدي، وهو في المفضليات ص٢٩٢، والجمهرة ٣/١٠٢، =

ومنه «الدَّيْدَن». يقال: هذا ديدنه، أي: عادته اللازمة، فإنّ «ديدن» من: دَانَ، بمنزلة صلصل من: صَلَّ، وكَبْكَبَ من: كَبَّ، هو تضعيف له، والمضعَّف قد يكون مشدَّداً، وقد يكون حرفَ لِين، وهم يعاقبون في كلامهم كثيراً بين الحرف المشدَّد وحرف المثل، كما يُقال: تَقضِّي البَازِي وتقضَّض، ويُقال: تَسَرَّر وتسرَّى[1].

ودان: يكون من الأعلى القاهر، ويكون من المطيع. يُقال: دِنْتُه فدان، أي: قهرتُه، فذلَّ. كما قال[2]:

هُوَ دَانَ الرِّبابَ إذْ كرهوا الدِّيـ ـنَ، دِراكاً بـعـزة وصـيـال

ويُقال في الأعلى: «كما تدين تدان»[3]. وأما دين المطيع فيستعمل متعدياً ودائماً ولازماً، يقال: دنت الله، ودنت لله. ويقال:

= وتفسير الطبري ٩٨، وتفسير ابن عطية ١/ ٧١، وإعراب ثلاثين سورة ص٢٥، واللسان ١٣/ ١٦٩، والدر المصون ١/ ٥٣، وبصائر ذوي التمييز ٢/ ٦١٦.

وتمام البيت:

تقول إذا دَرَأْتُ لها وَضِيني أهـذا ديـنُـه أبـداً وديـني؟

(١) في الأصل: تسوُّر وتسرر. وهو تحريف.

(٢) البيت في ديوان الأعشى ص١٢. واللسان.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل ٦/ ١٥٨، والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٢٠٢٤) ٢/ ٤٩ عن ابن عمر موصولاً.

وفي سنده: محمد بن عبد الملك: متروك. انظر الكامل ٦/ ١٥٦ ـ ١٥٧، ولسان الميزان ٥/ ٢٦٥.

ورواه أحمد في الزهد برقم (٧٦٤) ص٢٠٦، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ١٤٠ عن أبي قلابة مرسلاً.

وانظر فيض القدير ٣/ ٢١٨ ـ ٢١٩، وكشف الخفاء ١/ ٣٣٦، والمقاصد الحسنة ص٣٢٥، والشذرة ٢/ ٤٨، والجد الحثيث ص٧٤ بتحقيقنا.

فلان لا يدين الله ديناً، ولا يدين لله؛ لأنّ فيه معنى الطاعة والعبادة ومعنى الذلّ.

فإذا قيل: دان الله، فهو كقولك: أطاع الله، وأحبهُ.

وإذا قيل: دان لله، فهو كقولك: ذلَّ لله، وخشع لله.

وقد ذكرت أنّ اسم العبادة يتناول غاية الحب بغاية الذل، وهكذا الدين الذي يدين به الناس في الباطن والظاهر لا بد فيه من الحبّ والخضوع، بخلاف طاعتهم للملوك ونحوهم، فإنها قد تكون خضوعاً ظاهراً فقط.

والله سبحانه وتعالى سمَّى يوم القيامة يوم الدِّين، كما قال: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [سورة الفاتحة: ٤]، وهو كما روي عن ابن عباس وغيره من السلف: «يوم يدين الله العباد بأعمالهم إن خيراً فخيراً، وإن شرًّا فشرًّا»[١]. وذلك يتضمّن جزاءهم وحسابهم.

فلهذا مَنْ قال: هو يوم الحساب، ويوم الجزاء، فقد ذكر بعض صفات الدين، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [سورة الانفطار: ٩ ـ ١٩].

ظ ١٥٣ / وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٨٧﴾ [سورة الواقعة: ٨٦ ـ ٨٧]، أي: مقهورين، ومدبَّرين، ومجزيين[٢].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٥، والدر المنثور ١/ ١٤، وتفسير البغوي ١/ ٤٠ وقد رواه ابن أبي حاتم ١/ ١٩، والطبري ١/ ٩٨، بسند ضعيف.

(٢) انظر زاد المسير ٨/ ١٥٥ ـ ١٥٦، وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٠٠، وتفسير البغوي ٤/ ٢٩١، والتبيان في أقسام القرآن ص١٤٩.

وإذا كان كلّ عمل عن محبة وإرادة، والترك يكون عن بغض وكراهة ـ وكلّ أحد همَّام حارث له حبّ وبغض، لا يخلو الحي عنهما، وعمله يتبع حبه وبغضه، ثم قد يكون ذلك في أمور هي له عادة وخلق، وقد يكون في أمور عارضة لازمة ـ عُلم أنّ [كلّ][1] طائفة من بني آدم لا بدّ لهم من دين يجمعهم، إذ لا غنى لبعضهم عن بعض، وأحدهم لا يستقلّ بجلب منفعته ودفع مضرته، فلا بد من اجتماعهم، وإذا اجتمعوا فلا بد أن يشتركوا في اجتلاب ما ينفعهم كلّهم، مثل: طلب نزول المطر، وذلك محبتهم له، وفي دفع ما يضرهم مثل عدوهم، وذلك بغضهم له، فصار ولا بد أن يشتركوا في محبة شيء عام، وبغض شيء عام، وهذا هو دينهم المشترك العام.

وأما اختصاص كلّ منهم بمحبة ما يأكله ويشربه وينكحه، وطلب ما يستره[2] باللباس، فهذا يشتركون في نوعه لا في شخصه. بل كل منهم يحب نظير ما يحبه الآخر لا عينه. بل كلٌّ منهم لا ينتفع في أكله وشربه ونكاحه ولباسه بعين ما ينتفع به الآخر، بل بنظيره.

وهكذا في الأمور السماوية في الحقيقة، فإنّ عين المطر الذي ينزل في أرض هذا، ليس هو عين الذي ينزل في أرض هذا، ولكن نظيره، ولا عين[3] الهواء البارد الذي يصيب جسد أحدهم، قد لا يكون نفس عين الهواء البارد الذي يصيب جسد الآخر، بل نظيره.

لكن الأمور السماوية تقع مشتركة عامة، ولهذا تعلَّق حبّهم وبغضهم بها عامة مشتركة. بخلاف الأمور التي تتعلّق بأفعالهم كالطعام واللباس. فقد تقع مختصة وقد تقع مشتركة[4].

وإذا كان كذلك فالأمور التي يحتاجون إليها يحتاجون أن

---

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.
(٢) في الأصل: ما يضره. وهو تحريف.
(٣) في الأصل: ولا من.
(٤) في الأصل: فقد يقع مختصاً وقد يقع مشتركاً.

يوجبوها على أنفسهم، والأمور التي تضرّهم يحتاجون أن يحرِّموها على نفوسهم، وذلك دينهم، وذلك لا يكون إلاّ باتفاقهم على ذلك، وهو التعاهد والتعاقد.

ولهذا جاء في الحديث **«لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»**(١).

---

(١) ورد عن عدة من الصحابة منهم:

أنس بن مالك: وقد ورد عنه من طرق:

أ ـ رواه من طريق أبي هلال، عن قتادة، عن أنس:

أحمد في المسند ٣/ ١٣٥ ـ ١٥٤ ـ ٢١٠، وعبد الله في السنة، حديث رقم (٨٠٥).

وعبد بن حميد في المنتخب من المسند، حديث رقم (١١٩٨).

وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٢٨٦٣).

والخلال في السنة، حديث رقم (١٦٢١).

وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٣٠٣٢٠).

وفي الإيمان، حديث رقم (٧).

والمروزي في تعظيم قدر الصلاة، حديث رقم (٤٩٣).

واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، حديث رقم (١٦٦٨).

وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق، حديث رقم (٢٧٨).

والخرائطي في مكارم الأخلاق، حديث رقم (٧٥).

وابن بطة في الإبانة، حديث رقم (٩٦٢).

والبزار في مسنده، حديث رقم (١٠٠) (كشف الأستار).

وابن عدي في الكامل ٦/ ٢١٥.

والطبراني في الأوسط، حديث رقم (٢٦٢٧).

والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (٨٤٩ ـ ٨٥٠).

والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق، ٢/ ١٧٤.

وابن أبي زمنين في أصول السنة، حديث رقم (١٥٠).

والبيهقي في سننه ٦/ ٢٨٨ و٩/ ٢٣١.

وفي شعب الإيمان ٤/ ٧٨.

والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٣٨).

وفي معالم التنزيل ١/ ٤٤٤.

قلت: في سنده: =

فهذا هو من الدين المشترك بين جميع بني آدم: من التزام واجبات ومحرّمات، وهو الوفاء والعهد، وهذا قد يكون باطلاً فاسداً، إذا كان فيه مضرّة لهم راجحة على منفعته، وقد يكون دين حق إذا كانت منفعة خاصة أو راجحة.

= أبو هلال الراسبي، محمد بن سليم: أدخله البخاري في الضعفاء، وقال أبو حاتم: يحول منه.

وقال النسائي: ليس بالقوي. وكان يحيى لا يحدث عنه. وكان عبد الرحمن يحدث عنه.

وقال أبو داود: ثقة. وقال أحمد: يحتمل في حديثه، إلاّ إنه يخالف في قتادة، وهو مضطرب الحديث. انظر تهذيب التهذيب ٩/ ١٩٥ ـ ١٩٦، والكاشف ٢/ ١٧٦، والتقريب ٢/ ١٦٦، وقال: «صدوق، فيه لين» اهـ.

ب ـ ورواه من طريق المغيرة بن زياد، عن أنس:

أحمد في المسند ٣/ ٢٥١.

والمروزي في تعظيم قدر الصلاة، حديث رقم (٤٩٤).

والخلال في السنة، حديث رقم (١١٣٦ ـ ١٥٦٢).

وابن بطة في الإبانة، حديث رقم (٩٦٣).

والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (٨٤٨).

والمغيرة بن زياد: مجهول. انظر تعجيل المنفعة ص٤١٠.

جـ ـ حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس:

رواه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٣٤٤٥).

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٩٤).

قلت: سنده ضعيف، فيه:

١ ـ مؤمل بن إسماعيل: صدوق، سيء الحفظ، انظر تهذيب الكمال ٣/ ١٣٩٥، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨٠ ـ ٣٨١، والتقريب ٢/ ٢٩٠.

٢ ـ خالف فيه مؤمل: عفان، حيث رواه عفان، عن حماد، عن المغيرة بن زياد، عن أنس.

كما سبق في الطريق السابقة. والله تعالى أعلم بالصواب.

قلت: فيرتقي حديث أنس بن مالك بطرق (أ) و(ب) إلى درجة الحسن لغيره والله تعالى أعلم بالصواب.

وفي الباب عن ابن عباس، وعلي، وثوبان، وأبي أمامة، وابن مسعود، وابن عمر، وأبي هريرة، والحسن البصري مرسلاً.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [سورة يوسف: ٧٦].

ص ١٥٤ / وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [سورة التوبة: ٢٩].

والدين الحق: هو طاعة الله وعبادته، كما بيَّنا **أنّ الدين هو الطاعة المعتادة التي صارت خُلُقاً**، وبذلك يكون المطاع محبوباً مراداً[١]، إذ أصل ذلك المحبة والإرادة.

ولا يستحقّ أحد أن يُعبد ويطاع على الإطلاق إلاّ الله وحده لا شريك [له][٢]، ورسله وأولو الأمر أطيعوا لأنهم يأمرون بطاعة الله، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**مَنْ أطاعني فقد أطاع الله، ومَنْ أطاع أميري فقد أطاعني، ومَنْ عصاني فقد عصى الله، ومَنْ عصى أميري فقد عصاني**»[٣].

---

(١) في الأصل: وذلك يكون المطاع محبوب مراد. وهو خطأ.

(٢) ما بين القوسين ليس في المخطوطة.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب (١٠٩) يقاتل من وراء الإمام، ويتقى به، حديث رقم (٢٩٥٧) ٦/١١٦.
وفي كتاب الأحكام، باب (١) قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، حديث رقم (٧١٣٧) ١٣/١١١.
ومسلم في كتاب الإمارة، باب (٨) وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية. حديث رقم (١٨٣٥) ٣/١٤٦٦.
والنسائي في كتاب السير من سننه الكبرى، باب (٩٦) تأويل قول الله تعالى ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.
وفي كتاب البيعة من سننه الصغرى، باب (٢٧) الترغيب في طاعة الأمير، ٧/١٥٤.=

وأما العبادة فلله وحده ليس فيها واسطة، فلا يعبد العبد إلاّ الله وحده، كما قد بيّنا ذلك في مواضع، وبيّنا أنّ كلّ عمل لا يكون غايته إرادة الله وعبادته فهو عمل فاسد غير صالح، باطل غير حق، أي: لا ينفع صاحبه.

وقد قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [سورة البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [سورة البقرة: ١٩٣].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [سورة التوبة: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٦١﴾ [سورة الأنعام: ١٦١].

وقال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ [سورة التوبة: ١٢٢].

وفي الصحيحين، عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين**»[1].

= وفي كتاب الاستعاذة، باب (٤٩) الاستعاذة من فتنة الحياة، ٨/٢٧٦.
وابن ماجه في المقدمة، باب (١) اتباع سنة رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣) وحديث رقم (١٢٣٩).
وأحمد في المسند ٢/٢٤٤ ـ ٢٤٥ ـ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ ٢٧٠ ـ ٣١٣ ـ ٣٨٦ ـ ٤١٦ ـ ٤٦٧ ـ ٤٧١ ـ ٥١١.
والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢٥٧٧) ص٣٣٦. من طرق عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب (١٣) من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث رقم (٧١) ١/١٦٤.
وفي كتاب فرض الخمس، باب (٧) قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾. حديث رقم (٣١١٦) ٦/٢١٧. =

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

وهو الدين الحقّ الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته وطاعة رسوله هو الإسلام العام الذي لا يقبل الله ديناً غيره.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

ظ ١٥٤ / وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٣].

= وفي كتاب الاعتصام، باب (١٠) قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، حديث رقم (٧٣١٢) ١٣/ ٢٩٣.
ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٣٣) النهي عن المسألة، حديث رقم (١٠٣٧) ٢/ ٧١٩.
وابن ماجه في المقدمة من سننه، باب (١٧) فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم (٢٢١) بتحقيقنا.
والدارمي في المقدمة، باب (٢٤) الاقتداء بالعلماء، حديث رقم (٢٢٤) ١/ ٨٥.
وأحمد في المسند ٤/ ١٠١.
ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٠ ـ ٩٠١.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٨٩) ١/ ٢٩١ (الإحسان).
وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ١٨ ـ ١٩.
والقضاعي في مسند الشهاب وحديث رقم (٣٤٦ ـ ٩٥٤).

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [سورة الشورى: ١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩].

فإذا كان لا بدّ لكلّ آدمي من اجتماع، ولا بدّ في كلّ اجتماع من طاعة ودين، وكلّ دين وطاعة لا يكون لله فهو باطل، فكلّ دين سوى الإسلام فهو باطل.

وأيضاً فلا بدّ لكلّ حي من محبوب، هو منتهى محبته وإرادته، وإليه تكون حركة باطنه وظاهره، وذلك هو إلٰهه، ولا يصلح ذلك إلاّ لله وحده لا شريك له، فكلّ ما سوى الإسلام فهو باطل.

والمتفرّقون ـ أيضاً ـ فيه الذين أخذ كلٌّ منهم ببعضه وترك بعضه، وافترقت أهواؤهم، قد بَرِىء الله ورسوله منهم.

ولا بدّ في كلّ دين وطاعة ومحبة من شيئين:

أحدهما: الدين المحبوب المطاع، وهو المقصود المراد.

والثاني: نفس صورة العمل التي تُطاع ويُعبد بها، وهو السبيل والطريق والشريعة والمنهاج والوسيلة.

كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: ٧] قال: أخلصه وأصوبه[(١)].

قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٩٥. وانظر تفسير البغوي ٤/ ٣٦٩.
وانظر في تفسير هذه الآية: تفسير البغوي ٤/ ٣٦٩، وزاد المسير ٤/ ٧٩، والبحر المحيط ٨/ ٢٩٧، وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٩٦، والدر المنثور ٦/ ٢٤٧.

يقبل، [حتى يكون خالصاً صواباً][1]، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنّة.

فهكذا كان الدين يجمع هذين الأمرين: المعبود، والعبادة. والمعبود إله واحد، والعبادة طاعته وطاعة رسوله ﷺ، فهذا هو دين الله الذي ارتضاه، كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [سورة المائدة: ٣]، وهو دين المؤمنين من الأوّلين والآخرين، وهو الدين الذي لا يقبل اللَّهُ من أحد غيره؛ لأنه دين فاسد باطل، كمن عبد مَنْ لا تصلح عبادته، أوعبد بما لايصلح أن يعبد به.

ثم مع اشتراك الأوَّلين والآخرين في هذا الدين فيتنازعون في كلّ منهما، فإنّ الله سبحانه له الأسماء الحسنى، وله المثل الأعلى، فقد تعرف هذه الأمة من أسمائه وصفاته ما لا تعرف به الأمة الأخرى، فهم مشتركون في عبادة نفسه، وإن تنوَّعوا فيما عرفوه وعبدوه به من أسمائه وصفاته.

ص ١٥٥ وقد رفع الله بعضهم فوق / بعض درجات، فهذا تنوّعهم في المعبود وكذلك حالهم في معرفة اليوم الآخر.

وأما تنوعهم في العبادة والطاعة من الأقوال والأفعال؛ فإنهم متنوِّعون في ذلك أيضاً.

وقد قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الجاثية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِۚ﴾ [سورة الحج: ٦٧].

---

(١) ما بين القوسين ليس في المخطوطة.

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [الحج: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [سورة البقرة: ١٤٨].

وهذان الأصلان قد جاءت شريعتنا فيهما بأنواع: فجاءت في أسماء الله وصفاته بأنواع، وجاءت في صفات العبادات بأنواع. والأصل الأول ينضم إليه اليوم الآخر وما جاء في نعته من الأسماء والصفات والوعد والوعيد.

وهذه الأصول الثلاثة: وهي الإيمان بالله، وباليوم الآخر، والعمل الصالح، هي الموجبة[1] **للسعادة في كلّ ملة**؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٦٢]. **والشرع**[2] **ما جاءت به الرسل، وهو الأصل الرابع.**

فإنّ هذه الأصول الأربعة متلازمة، والتفرّق في ذلك بالأمر في بعضه، والنهي عن بعض، هو من التفرّق والاختلاف الذي ذمَّه الكتاب والسنة من المختلفين.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سورة البقرة: ١٧٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩].

---

(١) في الأصل: هو الموجب.

(٢) في الأصل: والنوع.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥].

ولهذا غضب النبي ﷺ لما اختلفوا في القراءة، وقال: «**كلاهما محسن**»[1].

وقال: «**إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤوا منه ما تيسر**»[2]. وكذلك غضب لما تنازعوا في القدر[3]، وأخذوا يعارضون بين الآيات معارضة تفضي إلى الإيمان ببعض دون بعض.

وهذا التفرّق والاختلاف يوجب الشرك، وينافي حقيقة التوحيد الذي هو إخلاص الدين كلّه [لله][4]، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝﴾ [سورة الروم: ٣١ ـ ٣٢].

---

(١) رواه البخاري (٢٤١٠ ـ ٣٤٧٦ ـ ٥٠٦٢)، وأحمد ١/٣٩٣ ـ ٤١١ ـ ٤١٢، والطيالسي (٣٨٧)، والبغوي (١٢٢٩) من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٢٤١٩ ـ ٥٠٤١ ـ ٧٥٥٠)، ومسلم (٨١٨)، وأبو داود (١٤٧٥)، والترمذي (٢٩٤٣)، والنسائي ٢/١٥١ ـ ١٥٢، وفي الكبرى (٧٩٨٥ ـ ١١٣٦٦)، وأحمد ١/ ٤٠ ـ ٤٢ ـ ٤٣، ومالك (٥) ١/ ٢٠١، وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٣٦٩)، والطيالسي ص٩، وابن أبي شيبة (٣٠١٢٥)، وابن حبان (٧٤١)، والبغوي (١٢٢٦).

(٣) روى الإمام أحمد في مسنده ٢/١٧٨ ـ ١٩٦، وابن ماجه في المقدمة من سننه، باب (١٠) في القدر، حديث رقم (٨٥) بتحقيقنا.
وابن أبي عاصم في كتاب السنة، حديث رقم (٤٠٦) ١/ ١٧٧.
عن عبد الله بن عمر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب. فقال: «بهذا أمرتم، أو لهذا خلقتم؟.
تضربون القرآن بعضه ببعض. بهذا هلكت الأمم قبلكم».
وسنده حسن، وفي الباب عن عائشة عند ابن ماجه برقم (٨٤)، وأبي هريرة عند الترمذي، حديث رقم (٢١٣٣) ٤/٤٤٣ وغيرهم.

(٤) ما بين القوسين ليس في المخطوطة.

فإقامة وجهة الدين حنيفاً، وعبادة الله وحده لا شريك له ـ وذلك بجمع الإيمان بكلّ ما أمر الله به وأخبر به ـ أن يكون الدين كلّه لله.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾، وذلك أنه إذا كان الدين كله لله حصل الإيمان والطاعة لكلّ ما أنزله وأرسل به رسله، وهذا يجمع كلّ حق، ويُجمع عليه كلّ حق.

وإذا لم يكن كذلك فلا بدّ أن يكون لكلّ قول ما يمتازون به، مثل معظّم مُطَاع، أو معبود لم يأمر الله بعبادته وطاعته، ومثل قول ودين ابتدعوه لم يأذن الله به، ولم يشرعه، فيكون كلّ من الفريقين مشركاً من هذا الوجه.

وأيضاً ففي قلوب بني آدم محبة وإرادة لما يتألهونه ويعبدونه، وذلك هو قوام قلوبهم وصلاح نفوسهم، كما أنّ فيهم محبة وإرادة لما يطعمونه وينكحونه، وبذلك تصلح حياتهم، ويدوم شملهم. وحاجتهم إلى التألّه أعظم من حاجتهم إلى الغذاء، فإنّ الغذاء إذا فُقد يفسد الجسم، وبفقد التألّه تفسد النفس، ولن يصلحهم إلاّ تألّه الله وعبادته وحده لا شريك له، وهي الفطرة التي فطروا عليها، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**»[1].

وفي صحيح مسلم، عن عياض بن حمار، عن النبي ﷺ فيما

(١) رواه البخاري (١٣٥٨ ـ ١٣٥٩ ـ ١٣٨٥ ـ ٤٧٧٥ ـ ٦٥٩٩)، ومسلم (٢٦٥٨)، وعبد الرزاق (٢٠٠٨٧).
والطحاوي ٢/ ١٦٢، وأحمد ٢/ ٢٥٣ ـ ٢٨٢ ـ ٣١٥ ـ ٣٤٦ ـ ٣٩٣ ـ ٤١٠.
وابن حبان (١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠) ١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٩.
والطيالسي (٢٤٣٣)، والآجري ص١٩٤.
وأبو نعيم في الحلية ٩/ ٢٦، والبغوي في شرح السنة (٨٤ ـ ٨٥) ١/ ١٥٤ ـ ١٦١.

يروي عن ربه أنه قال: «**إنني خلقت عباDي حنفاء فاجتالتهم الشياطين**[1]**، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزِّل به سلطاناً**»[2].

لكن أكثر الشرك في بني آدم بإيجاد إِلٰه آخر مع الله، ودان بذلك كثير منهم في أنواع كثيرة.

فصار كلّ طائفة من بني آدم لا بد لهم من دين لهذين الأمرين: لحاجة نفوسهم إلى الإله الذي هو محبوب مطلوب لذاته ولأنه ينفع ويضر، ولحاجتهم إلى التزام ما يحبونه من الحاجات ويدفعونه من المضرات.

وهم مشركون في المحبة للأمور المنزَّلة: أعيانها وأنواعها، فهم مشركون في محبة الإله الذي يعبدونه وتعظيمه، ومحبة من يبلِّغ عنه ما يختص به، ومحبة أوامره ونواهيه. مشركون / في محبة غير ذلك، ومشركون ـ أيضاً ـ في محبة جنس ما التزموه من الواجبات والمحرَّمات العامة، التي هي جلب المنفعة لهم جميعاً، ودفع المضرة عنهم جميعاً.

ص ١٥٦

فهذه المحبة هي المحبة الدينية، كحب الدين الذي هم عليه: حقّاً كان أو باطلاً، وكذلك محبة ما يعين على ذلك ويوصل إليه لأجل ذلك، فهي[3] أيضاً محبة دينية.

---

(١) في الأصل: الشيطان، وهو تحريف.

(٢) رواه مسلم في كتاب صفة الجنة، باب (١٦) الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم (٢٨٦٥) ٤/ ٢١٩٧ ـ ٢١٩٩.
وأحمد في المسند ٤/ ١٦٢ ـ ٢٦٦، وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (٢٠٠٨٨).
والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٩٨٧) ٧/ ٣٥٨.
وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، حديث رقم (١١٩٦) ٢/ ٤٠١.

(٣) في الأصل: هي.

وليس المقصود بالدين الحق مجرد المصلحة الدنيوية من إقامة العدل بين الناس في الأمور الدنيوية، كما يقوله طوائف من المتفلسفة في مقصود النواميس والنبوات: إنّ المراد بها مجرد وضع ما يحتاج إليه معاشهم في الدنيا من القانون العدلي الذي ينتظم به معاشهم، لكن هذا قد يكون المقصود في أديان مَنْ لم يؤمن بالله ورسوله من أتباع الملوك المتفلسفة ونحوهم، مثل: قوم نوح، ونمرود، وجنكيزخان وغيرهم[1].

فإنّ كلّ طائفة من بني آدم محتاجون إلى التزام واجبات، وترك محرَّمات، يقوم بها معاشهم وحياتهم الدنيوية. وربما جعلوا مع ذلك ما به يستولون به على غيرهم من الأصناف ويقهرونه، كفعل الملوك الظالمين مثل جنكيزخان.

فإذا لم يكن مقصود الدين والناموس الموضوع إلاّ جلب المنفعة في الحياة الدنيا، ودفع المضرة فيها، فليس لهؤلاء في الآخرة من خلاق، ثم إن كان مع ذلك جعلوه ليستولوا به على غيرهم من بني آدم ويقهرونهم، كفعل فرعون وجنكيزخان ونحوهما، فهؤلاء من أعظم الناس عذاباً في الآخرة.

كما قال تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ٣ ـ ٤]. ظ ١٥٦

وقد قصَّ اللَّهُ سبحانه قصة فرعون في غير موضع من القرآن، وكان هو وقومه على دين لهم من دين الملوك، كما قال تعالى في قصة يوسف: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة يوسف: ٧٦] وهذا الملك كان فرعون يوسف، وكان قبل

(١) في الأصل: وغيرها.

فرعون موسى. وفرعون اسم لمن يملك مصر من القِبْط، وهو اسم جنس كقيصر وكسرى والنجاشي ونحو ذلك.

وهؤلاء المتفلسفة الصابئة المبتدعة من المشَّائين، ومَنْ سلك مسلكهم من المنتسبين إلى الملل في المسلمين واليهود والنصارى، يجعلون الشرائع والنواميس والديانات من هذا الجنس، لوضع قانون تتمّ به مصلحة الحياة الدنيا، ولهذا لا يأمرون فيها بالتوحيد، وهو عبادة الله وحده، ولا بالعمل للدار الآخرة، ولا ينهون فيها عن الشرك، بل يأمرون فيها بالعدل والصدق والوفاء بالعهد، ونحو ذلك من الأمور التي لا تتم مصلحة الحياة الدنيا إلاّ بها، ويشرعون التألّه للمخلصين والمشركين.

وقد تكلّمت على أقسام الديانات في غير هذا الموضع، وبيّنت الطبعي، والملِّي، والشرعي. وإنما جاء ذكر هذا هنا مطرداً.

ولهذا يقيمون النواميس بأنواع من الحيل والسحر والطلسمات، كما وضعوه في كتب ذلك، ويقولون في بعض الطيالسم: هذا يصلح لوضع النواميس، كما تواصت القرامطة والباطنية، وكما كان يفعله سحرة فرعون وغيرهم ـ وآثارهم موجودة بذلك إلى اليوم ـ، وكما يفعله المشركون من الترك والهند في بلادهم.

والمتفلسفة الصابئة تجعل ذلك جنساً لما بُعثت به الرسل من الآيات، ويجعلون موسى والسحرة والذين عارضوه من جنس واحد.

وهؤلاء كما قال تعالى فيهم: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢] هم مقرُّون بأنّ منفعة ذلك لا تكون في الآخرة، وإنما يرجون منفعته في الدنيا، وإن كان فيه بلوغ بعض الأعراض من رئاسة أو شهوة[1].

---

(١) توجد في أعلى الصفحة كلمات كتب بعضها فوق بعض، غير واضحة، وكأنها: لدى غير الله شر كبير كله.

فهو كما قال الله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢] إذ ما فيه من المضرة يربو[١] على ما فيه من الخير[٢]. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة البقرة: ١٠٣]، ولهذا كان ما نهى عنه من هذا الجنس إنما هو / لكون الضرر فيه أغلب من المنفعة، فأما ما ينفع الناس فلم ينه الله عنه. ص ١٥٧

ولهذا لما عرض على النبي ﷺ الرقى قال: «**من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل**»[٣].

وقال: «**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[٤].

---

(١) في الأصل: يزكي.

(٢) في الأصل: الخط. وهو تحريف.

(٣) رواه مسلم في كتاب السلام، باب (٢١) استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، حديث رقم (٢١٩٩) ٤/١٧٢٦ ـ ١٧٢٧.
وابن ماجه في سننه، حديث رقم (٣٥١٥).
وأحمد في المسند ٣/٣٠٢ ـ ٣٣٤ ـ ٣٨٢ ـ ٣٩٣.
وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (١٩١٣ ـ ١٩١٤) ٣/٤٢٣ ـ ٤٢٤.
والطحاوي في شرح المعاني ٤/٣٢٨.
والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٧٤) ١٧/٣٧.

(٤) رواه مسلم في كتاب السلام، باب (٢٢) لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، حديث رقم (٢٢٠٠) ٤/١٧٢٧.
وأبو داود في كتاب الطب، باب (١٨) ما جاء في الرقى، حديث رقم (٣٨٨٦) ٤/١٠ ـ ١١.
والبخاري في التاريخ الكبير، ٤/١/٥٦.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦٠٩٤) (الإحسان).
والطحاوي في شرح المعاني ٤/٣٢٨.
والحاكم في المستدرك ٤/٢٨٢.
والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٨٨) ١٨/٤٩.
وابن عبد البر في التمهيد ٢/٢٧٢.
والبيهقي في سننه ٩/٣٤٩.

وذكر البخاري في صحيحه في استخراج السحر عن قتادة، قال: «قلت لسعيد بن المسيب: رجل به طب أو يُؤَخَّذُ عن امرأته: أَيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإِصلاح، فأما ما ينفع الناس فلم يُنْهَ عنه»[1].



(١) رواه البخاري معلقاً في كتاب الطب، باب (٤٩) هل يستخرج السحر؟ ١٠/ ٢٣٢.
وقال في الفتح ١٠/ ٢٣٣: «وصله أبو بكر الأثرم في كتاب السنن من طريق أبان العطار، عن قتادة.
ومثله من طريق هشام الدستوائي، عن قتادة» اهـ.
وانظر شرح السنة ١٢/ ١٩٠.

فصل
[الحب أصل كلّ عمل]

وإذا كان الحب أصل كلّ عمل من حقّ وباطل، وهو[1] أصل الأعمال الدينية وغيرها، وأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله، كما أنّ أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله، فالتصديق بالمحبة هو[2] أصل الإيمان، وهو قول وعمل[3]، كما قد بُيِّن في غير هذا الموضع.

ومعلوم أنّ قوة[4] المحبة لكلّ محبوب يتفاوت الناس فيها تفاوتاً عظيماً، ويتفاوت حال الشخص الواحد في محبة[5] الشيء الواحد،

---

(١) في الأصل: وهي.
(٢) في الأصل: هي.
(٣) الإيمان قول وعمل يزيد وينقص: من الأمور التي أَجمعت عليها الأمة. انظر الأدلة لهذه العقيدة والرد على أهل الأهواء والبدع في صريح السنة ص٤٢ ـ ٤٥، والشريعة للآجري ص١٠٣ ـ ١١٨، وص١٣٠ ـ ١٣٢، والسنة لابن أبي عاصم ص٤٤٩ ـ ٤٥١، وشرح أصول الاعتقاد ٤/ ٨٣٠ و٥/ ٨٩٠ ـ ٩٦٤، والاعتقاد للبيهقي ص١٧٤ ـ ١٨٥، والحجة للأصبهاني ١/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦، والإيمان لأبي عبيد ص٧٢، وعقائد أئمة السلف ص١٤٢.
(٤) كلمة (قوة) غير واضحة في الأصل. وكذا استظهرتها.
(٥) في الأصل: المحبة.

بحيث يقوى الحب تارة ويضعف تارة، بل قد يتبدل أقوى [الحب][1] بأقوى البغض وبالعكس.

قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ إلى قوله: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [سورة الممتحنة: ١ ـ ٤]، وإبراهيم هو إمام الحنفاء الذين يحبّهم الله ويحبونه، وهو خليل الله.

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الشعراء: ٧٥ ـ ٧٧].

وقال تعالى أيضاً: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٦] وقال بعد ذلك: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ٧٩].

وقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

ولا ريب أنّ محبة المؤمنين لربهم أعظم المحبات، وكذلك محبة الله لهم هي محبة عظيمة جداً، كما في صحيح البخاري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت**

---

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعل. ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه»[1].

وقد تأوَّل الجهمية ـ ومَن اتبعهم من أهل الكلام ـ محبة الله لعبده على أنها الإِحسان إليه، فتكون من الأفعال.

وطائفة أخرى من الصفاتية قالوا: هي إرادة / الإحسان. وربما قال كلاً من القولين بعض المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإِمام أحمد وغيرهم. ظ ١٥٧

وسلف الأمة وأئمة السنة على إقرار المحبة على ما هي عليه.

وكذلك محبة العبد لربه يفسّرها كثير من هؤلاء بأنها أرادة العبادة له، وإرادة التقرب إليه، لا يثبتون أنّ العبد يحب الله.

وسلف الأمة، وأئمة السنة، ومشايخ المعرفة، وعامة أهل الإيمان: متّفقون على خلاف قول هؤلاء المعطّلة لأصل الدين، بل هم متفقون على أنه لا يكون شيء من أنواع المحبة أعظم من محبة العبد ربه.

كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة: ٤٥]،

---

(١) رواه البخاري، في كتاب الرقاق، باب (٣٨) التواضع، حديث رقم (٦٥٠٢) ١١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣٤٧) ٢/ ٥٨.
والبيهقي في سننه ٣/ ٣٤٦.
والأسماء الصفات ٢/ ٢٥١.
وفي الباب عن عائشة، وأبي أمامة وعلي، وابن عباس، وأنس، وميمونة، انظر تخريجها في تخريجنا لكتاب الفرقان ص٢٨ ـ ٢٩.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاۤؤُكُمْ وَأَبْنَاۤؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة التوبة: ٢٤]، فلم يرض [إلا][(١)] بأن يكون الله ورسوله أحب إليهم من الأهلين والأموال، حتى يكون الجهاد في سبيل الله الذي هو من كمال الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

ولهذا وصف الله المحبيِّن له الذين يحبهم هو بالجهاد، فقال تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وأما تنازع الناس في لفظ «العشق»[(٢)]: فمن الناس من أهل التصوف والكلام وغيرهم مَنْ أطلق هذا اللفظ في حق الله، كما روى عبدالواحد بن زيد فيما يؤثره عن [أحد أنبياء] الله أنه قال: «عشقني وعشقته»[(٣)].

---

(١) ما بين القوسين ليس في المخطوطة.

(٢) العين والشين والقاف أصل صحيح يدل على تجاوز حد المحبة. كما في معجم مقاييس اللغة ٤/ ٣٢١، وانظر الكليات ص٣٩٨، ولسان العرب ١٠/ ٢٥١ ـ ٢٥٢. وفيه: سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن الحبّ والعشق: أيهما أحمد؟ فقال: الحب؛ لأن العشق فيه إفراط، وسمي العاشق عاشقاً لأنه يذبل من شدة الهوى، كما تذبل العشقة إذا قطعت.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٦/ ١٦٥ عن الحسن مرسلاً.
وسنده ضعيف جداً، فيه:
١ ـ عبد الواحد بن زيد: شيخ الصوفية وواعظهم: قال يحيى: ليس بشيء. وقال البخاري: تركوه. انظر الميزان ٢/ ٦٧٢ ـ ٦٧٣، ولسان الميزان ٤/ ٨٠ ـ ٨١.
٢ ـ محمد بن الفضل بن عطية: كذّبوه. انظر التقريب ٢/ ٢٠٠.
٣ ـ مرسل.

وقال هؤلاء: العشق هو المحبة الكاملة التامة، وأَوْلى الناس بذلك هو الله، فإنه هو الذي يجب أن يُحب أكمل محبة، وكذلك هو يحب عبده محبة كاملة.

ولو قيل: إنّ العشق هو منتهى المحبة أو أقصاها، أو نحو ذلك، فهذا المعنى حق من العبد، فإنه يحب ربه منتهى المحبة وأقصاها، والله يحب عبده، مثل إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم تسليماً، أقصى محبة تكون لعباده ومنتهاها، وهما خليلا الله.

كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنّ الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً**»[1].

وقال: «**لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله**»[2].

وذهب طوائف من أهل العلم والدين إلى إنكار ذلك في حق الله. ولا رَيْب أنّ هذا اللفظ ليس مأثوراً عن أئمة السلف.

والذين أنكروه لهم من جهة اللفظ / مأخذان، ومن جهة المعنى مأخذان: ص ١٥٨

أما من جهة اللفظ: فإنّ هذا اللفظ ليس مأثوراً عن السلف. وباب الأسماء والصفات يُتَّبع فيها الألفاظ الشرعية، فلا نطلق [إلاّ][3] ما يرد به

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد، باب (٣) النهي عن بناء المساجد، حديث رقم (٥٣٢) ١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦٤٢٥) ١٤/ ٣٣٣ ـ ٣٣٥.
وابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٤٠.
والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (١٦٨٦).
والبيهقي في الدلائل ٧/ ١٧٦ ـ ١٧٧ ضمن حديث طويل من حديث جندب رضي الله عنه.

(٢) انظر الحديث السابق.

(٣) زيادة ليست في المخطوطة.

الأثر. والأوّلون يستدلون بمثل قول عبدالواحد بن زيد ونحوه.

وهؤلاء يقولون: هذا من الإسرائيليات التي لا يجوز الاعتماد عليها في شرعنا، فإنّ ثبوت مثل هذا الكلام عن الله لا يُعلم إلاّ من جهة نبينا ﷺ، وذلك غير مأثور عنه. ونحن لا نصدِّق بما ينقل عن الأنبياء المتقدمين، إلاّ أن يكون عندنا ما يصدِّقه، كما لا نكذِّب إلاّ بما نعلم أنه كذب. وقد قال النبي ﷺ: «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم، فإما أن يحدثوكم بباطل فتصدِّقوه، وإما يحدثوكم بحق فتكذّبوه**»[1].

وهذا الوجه يقتضي الامتناع من الإطلاق، إلاّ [عند][2] الجزم بتحريمه في جميع الشرائع.

المأخذ الثاني: أنّ المعروف من استعمال هذا اللفظ في اللغة

---

(1) رواه أبو داود (٣٦٤٤)، وأحمد في المسند ٤/١٣٦، وعبد الرزاق (٢٠٠٥٩)، والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٨٧٤ ـ ٨٧٩) ٢٢/٣٤٩ ـ ٣٥١.
وابن حبان (٦٢٥٧)، والبيهقي في سننه ٢/١٠ من حديث أبي نملة الأنصاري.
قلت: سنده ضعيف، فيه:
نملة بن أبي نملة: لم يوثقه غير ابن حبان.
ولهذا قال الحافظ ابن حجر عنه في تقريبه ٢/٣٠٧: «مقبول» اهـ وسكت عنه الذهبي في الكاشف ٢/٣٢٦.
ويغني عنه ما رواه البخاري (٤٤٨٥ ـ ٧٣٦٣ ـ ٧٥٤٢) وغيره بلفظ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم».
وقد قسّم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ـ هذه الأحاديث الإسرائيلية إلى ثلاثة أقسام:
أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.
والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.
والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذّبه، وتجوز حكايته، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.
انظر مقدمة في أصول التفسير ص٩٠ ـ ٩١، وتفسيره الكبير ١/٢٣١ ـ ٢٤٨، وفتح الباري ٦/٤٩٨ ـ ٤٩٩، وتفسير ابن كثير ١/٤.

(2) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

إنما هو في محبة جنس النكاح، مثل حب الإنسان الآدمي مثله ممن يستمتع به من امرأة أو صبي. فلا يكاد يُستعمل هذا اللفظ في محبة الإنسان لولده وأقاربه ووطنه وماله ودينه وغير ذلك، ولا في محبته لآدمي لغير صورته: مثل محبة الآدمي لعلمه، ودينه، وشجاعته، وكرمه، وإحسانه، ونحو ذلك. بل المشهور من لفظ «العشق» هو محبة النكاح ومقدماته، فالعاشق يريد الاستمتاع بالنظر إلى المعشوق، وسماع كلامه أو مباشرته بالقبلة والحس والمعانقة أو الوطء، وإن[1] كان كثير من العشاق لا يختار الوطء، بل يحب [تقبيل ومعانقة] موطوءته[2]، فهو يحبّ مقدمات الوطء. وكم ممن اشتغل بالوسيلة عن المقصود.

ثم لفظ «العشق» قد يُستعمل في غير ذلك، إما على سبيل التواطؤ، فيكون حقيقة في القدر المشترك وإما على سبيل المجاز.

لكن استعماله في محبة الله إما أن يُفهم أو يُوهم المعنى الفاسد، وهو أنّ الله يُحِبّ ويُحَبّ، كما تحبّ صور الآدميين التي نستمتع بمعاشرتها ووطئها، وكما[3] تحب الحور العين التي في الجنة.

وهذا المعنى من أعظم الكفر، وإن كان قد بلغ إلى هذا الكفر الاتحادية، الذين يقولون: «إنه عين الموجودات»[4]، ويقولون: «ما نكح سوى نفسه، وهو الناكح والمنكوح»[5].

وكذلك الذين يقولون بالحلول العام، / والذين يقولون بالاتحاد ظ ١٥٨

(١) في الأصل: إن.
(٢) في الأصل: بل يحب رطوبته. ولعل ما أثبته يستقيم به الكلام.
(٣) في الأصل: كما.
(٤) انظر جامع الرسائل، المجموعة الأولى ص١٠٤ ـ ١٠٥ و٢٠٤.
(٥) انظر جامع الرسائل، المجموعة الثانية ١/ ١٦٥.

في صور معينة[1]، أو بحلوله فيها[2]، كما يقوله الغالية من النصارى، والرافضة وغالية النسَّاك، فإنّ هؤلاء يصفونه بما يوصف به البشر من النكاح، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً، هو الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

ومن هؤلاء مَنْ يعشق الصور الجميلة، ويزعم أنه يتجلى فيها[3]، وأنه إنما يحب مظاهر جماله. وقد بسطنا الكلام في كفرهم وضلالهم في غير هذا الموضع. فمن زعم أنّ الله يحب أو يعشق وأشار إلى هذا المعنى، فهو أعظم كفراً من اليهود والنصارى.

وأما المأخذ المعنوي: فهو أنّ العشق: هل هو فساد في الحب والإِرادة، أو فساد في الإدراك والمعرفة؟

قيل: إنّ العشق هو الإِفراط في الحب حتى يزيد على القصد الواجب، فإذا أفرط كان مذموماً فاسداً، مفسداً للقلب والجسم، كما قال تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٢]، فمن صار [مُفرِطاً صار مريضاً][4]، كالإفراط في الغضب والإِفراط في الفرح وفي الحزن.

وهذا الإِفراط قد يكون في محبة الإنسان لصورته، وقد يكون في محبته لغير ذلك، كالإِفراط في حب الأهل والمال، والإفراط في الأكل والشرب وسائر أحوال الإنسان، وهذا المعنى ممتنع في حق الله من الجهتين، فإنّ الله لا يُحِبُّ محبة زيادة على العدل. ومحبة عباده المؤمنين له ليس لها حدّ تنتهي إليه، حتى تكون الزيادة إفراطاً وإسرافاً ومجاوزة للقصد. بل الواجب أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

---

(١) في أعلى هذه الصفحة إلى اليسار كتب عبارة كأنها: أصحاب الإمام كذلك التقرّب.
(٢) في الأصل: أو ماكوله فيها. وهو تحريف. وأحسب أنّ الصواب ما أثبته.
(٣) في الأصل: يتلجى، وهو تحريف.
(٤) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

كما ثبت في الصحيح، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: مَنْ كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه منه كما يكره أن يلقى في النار**».

وفي رواية في الصحيح: «**لا يجد عبد / حلاوة الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...**» إلى آخره[1]. ص ١٥٩

وقال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[2].

وفي الصحيح أنّ عمر قال له: يا رسول الله، والله لأنت أحب إليَّ من كلّ شيء إلاّ من نفسي.

فقال: «**لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك**».

قال: فلأنت أحب إليَّ من نفسي.

قال: «**الآن يا عمر**»[3].

وقد تقدّم دلالة القرآن على هذا الأصل بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

وقيل: إنّ العشق هو فساد في الإدراك والتخيل والمعرفة؛ فإنّ العاشق يخيّل له المعشوق على خلاف ما هو به حتى يصيبه ما يصيبه من داء العشق، ولو أدركه على الوجه الصحيح لم يبلغ إلى حدّ العشق، وإن حصل له محبة وعلاقة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

ولهذا يقول الأطباء: العشق مرض وسواسي شبيه بالمالنخوليا، فيجعلونه من الأمراض الدماغية التي تفسد التخيّل كما يفسده المالنخوليا.

وإذا كان الأمر كذلك امتنع في حقّ الله من الجانبين. فإنّ الله بكلّ شيء عليم. وهو سميع بصير، مقدَّس منزَّه عن نقص أو خلل في سمعه وبصره وعلمه. والمحبّون[1] له عباده المؤمنون الذين آمنوا به وعرفوه بما تعرَّف به إليهم من أسمائه وآياته، وما قذفه في قلوبهم من أنوار معرفته، فليست محبتهم إياه عن اعتقاد فاسد.

لكن قد يقال: إنّ كثيراً[2] ممن يكون فيه نوع محبة لله، قد يكون معها اعتقاد فاسد، إذ الحب يستتبع الشعور، لا يستلزم صريح المعرفة، لا سيما من كان من عقلاء المجانين، الذين عندهم محبة لله وتألّه، وفيهم فساد عقل، فهؤلاء قد يصيب أحدهم ما يصيب العشاق في حقّ الله، ومعهم حب شديد، ونوع من الاعتقاد الفاسد.

وكثيراً[3] ما يعترى أهل المحبة من السكر والفناء، أعظم ما يصيب السكران بالخمر، والسكران بالصور، كما قال تعالى في قوم لوط: ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة الحجر: ٧٢]، فالحبّ له سكر أعظم من سكر الشراب، كما قيل:

سُكْرانِ: سكر هوىً وسكر مدامة ... ومتى إفاقة مَنْ به سكران

ومعلوم أنه في حال السكر والفناء تنقص المعرفة والتمييز، ويضطرب العقل والعلم، / فيحصل في ضمن ذلك من الاعتقادات والتخيلات الفاسدة، ما هو من جنس العشق الذي فيه فساد الاعتقاد. ظ ١٥٩

وهؤلاء محمودون على ما معهم من محبة الله والأعمال الصالحة

(١) في الأصل: والمحبوب.
(٢) في الأصل: كثير. وهو خطأ.
(٣) في الأصل: وكثير.

والإِيمان به، وأمّا ما معهم من اعتقاد فاسد وعمل فاسد لم يشرعه الله ورسوله، فلا يُحمدون على ذلك. لكن إن كانوا مغلوبين على ذلك، بغير تفريط[1] منهم ولا عدوان، كانوا معذورين، وإن كان ذلك لتفريطهم فيما أمروا به، وتعدّيهم حدود الله، فهم مذنبون في ذلك، مثل ما يصيب كثيراً ممن يهيج حبه عند[2] سماع المكاء والتصدية والأشعار الغزلية، فتتولد لهم أنواع من الاعتقادات والإرادات التي فيها الحق والباطل، وقد يغلب هذا تارة وهذا تارة.

فباب محبة الله ضلَّ فيه فريقان من الناس: فريق من أهل النظر والكلام والمنتسبين إلى العلم، جحدوها وكذَّبوا بحقيقتها.

وفريق من أهل التعبّد والتصوف والزهد، أدخلوا فيها من الاعتقادات والإِرادات الفاسدة ما ضاهوا بها المشركين.

فالأولون يشبهون المستكبرين، وهؤلاء يشبهون المشركين.

ولهذا يكون الأول في أشباه اليهود، ويكون الثاني في أشباه النصارى.

وقد أمرنا الله تعالى أن نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].



(١) في الأصل: تفرط.

(٢) في الأصل: عن.

فصل
[الحب والبغض يتبعهما لذة وألم]

ومن المعلوم أنّ كلَّ محبّة وبغضة فإنه يتبعها لذة وألم، ففي نيل المحبوب لذة، وفراقه يكون فيه ألم، وفي نيل المكروه ألم، وفي العافية منه تكون فيه لذة. فاللذة تكون بعد إدراك المشتهى، والمحبة تدعو إلى إدراكه.

فالمحبة: العلة الفاعلة لإدراك الملائم المحبوب المشتهى. واللذة والسرور هي الغاية.

واللذات الموجودة في الدنيا ثلاثة أجناس:

فجنس بالجسد تارة: كالأكل والنكاح ونحوهما مما يكون بإحساس الجسد، فإنّ [أنواع][1] المأكول والملبوس يباشرها الجسد.

و[جنس][2] يكون مما يتخيّله ويتوهمه بنفسه ونفس غيره: كالمدح له، والتعظيم له، والطاعة له. / فإنّ ذلك لذيذ محبوب له، كما أن فوات الأكل والشرب يؤلمه، وأكل ما يضرّه يؤلمه. وكذلك فوات الكرامة ـ بحيث لا يكون له قدر عند أحد ولا منزلة ـ يؤلمه، كما يؤلمه ترك الأكل والشرب. ويؤلمه الذم والإهانة، كما يؤلمه الأكل والشرب الذي يضره.

ص ١٦٠

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

(٢) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

فالمأكول والمنكوح هي أجساد تُنال بالجسد، يتلذّذ بوجودها، ويتألّم بفقدها ولحصول ما يضرّ منها. وأما الكرامة فهي في النفوس إذا كانت النفوس ملائمة له وموافقة له، بأن يعتقد فيه ما يسرّه ويوافقه بالمحبة والتعظيم، كان ذلك مما يوجب لذّته، ولذّته بإدراكه ذلك الملائم من الناس، ومدحهم المظهر لاعتقادهم، ومن طاعتهم وموافقتهم المظهرة لمحبّتهم[1] وتعظيمهم.

والجنس الثالث: أن يكون ما يعلمه بقلبه وروحه وبعقله كذلك[2]: كالتذاذه بذكر الله، ومعرفته، ومعرفة الحق، وتألّمه بالجهل: إما البسيط[3]، وهو عدم الكلام والذكر، وإما المركّب وهو اعتقاد الباطل، كما يتألّم الجسد بعدم غذائه تارة، وبالتغذي بالمضار أخرى.

كذلك النفس تتألّم بعدم غذائها، وهو[4] موافقة الناس وإكرامهم تارة، وبالتغذي بالضدّ، وهو[5] مخالفتهم وإهانتهم. فكذلك القلب يتألّم بعدم غذائه، وهو العلم الحق وذكر الله تارة، والتغذّي بالضد، وهو ذكر الباطل واعتقاده أخرى.

قال النبي ﷺ: «**إنّ كلّ أحد يحب أن تؤتى مأدبته، وإنّ مأدبة الله هي القرآن**»[6].

وهذه اللذات الثلاث: اللذات الحسية، والوهمية، والعقلية. وقد

---

(١) في الأصل: المظهر ومحبتهم.
(٢) في الأصل: بذلك.
(٣) في الأصل: البسيطة.
(٤) في الأصل: وهي.
(٥) في الأصل: وهي.
(٦) رواه البيهقي شعب الإيمان، حديث رقم (٢٠١٢)، ٢/ ٣٥٢. وفيه غياث بن كلوب: مجهول وضعفه الدارقطني، وقال: له نسخة عن مطرف بن سمرة. انظر الميزان ٣/ ٣٣٨، ولسان الميزان ٤/ ٤٢٣.

علمت أنّ كلّ ما خلقه الله في الحي من قوى الإدراك والحركة فإنما خلقه لحكمة، وفي ذلك من جَلْب المنفعة للحي، ودفع المضرّة عنه، ما هو من عظيم نعم الله عليه.

والله سبحانه بعث الرسل لتكميل الفطرة وتقريرها، لا بتحويلها وتغييرها، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، والله شرع من الدين ما فيه استعمال هذه القوى على وجه العدل والاعتدال، الذي فيه صلاح الدنيا والآخرة.

ومن المعلوم أنّ قوى الحركة في الجسد، التي هي حركات طبعية، متى لم تكن[1] على وجه الاعتدال، وإلاّ فسد الجسد. وكذلك قوى الإدراك والحركة التي فيه وفي النفس متى لم تكن[2] على وجه الاعتدال، وإلاّ فسد الجسد. والحركة الطبعية ليس فيها حس ولا إرادة، وهذه / لا تكون عن حركة إرادية كما تقدم، لكن لا يكون ذلك في نفس المتحرّك بطبعه[3]، كحركة الغذاء قبل أن يصرفه الخارج من السبيلين وغير ذلك. ظ ١٦٠

والله سبحانه قد شرع من هذه اللذات ما فيه صلاح حال الإنسان في الدنيا[4]، وجعل اللذة التامة بذلك في الدار الآخرة، كما أخبر الله بذلك على ألسن رسله بأنها هي دار القرار، وإليها تنتهي حركة العباد.

واللذّة هي الغاية من الحركات الإرادية، فتكون الغاية من اللذات عند الغاية من الحركات، ولا يخالف ما يوجد في الوسيلة والطريق، فإنّ الموجود فيها من اللذات بقدر ما يعين على الوصول إلى المقصود التام، وكلّ لذة، وإن جلّت، هي في نفسها مقصودة لنفسها، إذ المقصود لنفسه هو اللذة. لكن من اللذات ما يكون عوناً على ما هو

---

(١) في الأصل: يكن.
(٢) في الأصل: في من لم يكن.
(٣) في الأصل: بطبعية.
(٤) في الأصل: قد شرع الدنيا من... في الدنيا. ولعل الصواب ما أثبته.

أكثر منه أيضاً، فيكون مقصوداً لنفسه بقدره، ويكون مقصوداً لغيره بقدر ذلك الغير، وهذا من تمام نعمة الله على عباده، وكلّ ما يتنعمون به، إذا استعملوه على وجه العدل الذي شرعه، أوصلهم به إلى ما هو أعظم نعمة منه.

ولذات الجنة ـ أيضاً ـ تتضاعف وتتزايد كما يشاء الله تعالى، فإنّ الله يقول، كما ذكره النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**» وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [سورة السجدة: ١٧][1].

ولهذا بعث اللَّهُ الرسلَ مبشِّرين ومنذرين: مبشِّرين بنعمة الله التامّة في جنته لمن أطاعهم، فاتّبع الذكر الذي أنزل عليهم، واستعمل القسط الذي بعثوا به. ومنذرين بتعظيمهم عقاب الله لمن أعرض عن ذلك وعصاهم فكان من الظالمين.

قال تعالى: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب (٨) ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (٣٢٤٤) ٦/٣١٨.
وفي كتاب التفسير، باب (١) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، حديث، رقم (٤٧٧٩ ـ ٤٧٨٠) ٨/ ٥١٥ ـ ٥١٦.
وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾، حديث رقم (٧٤٩٨) ١٣/ ٤٦٥.
ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم (٢٨٢٤).
والترمذي في كتاب التفسير، باب سورة السجدة، حديث رقم (٣١٩٧).
وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (٣٩) صفة الجنة، حديث رقم (٤٣٢٨) بتحقيقي.
وأحمد ٢/٣١٣ ـ ٤٦٦ ـ ٤٩٥.
والحميدي في مسنده، حديث رقم (١١٣٣) ٢/ ٤٨٠.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣٦٩) ٢/ ٩١.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٤٣٧٠ ـ ٤٣٧١ ـ ٤٣٧٢).

مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ [سورة طه: ١٢٣ - ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٣٩﴾ [سورة البقرة: ٣٨ - ٣٩].

وقد غلطت المتفلسفة من الصابئة والمشركين ونحوهم، ومَنْ حذا حذوهم ممن صنَّف في أصناف هذه اللذات، كالرازي وغيره في أمر هذه اللذات في الدنيا والآخرة، حتى جرَّهم ذلك الغلط إلى الدين الفاسد في الدنيا بالاعتقادت الفاسدة، والعبادات والزهادات الفاسدة، وإلى التكذيب بحقيقة ما أخبر الله به على ألسن رسله من وعده ووعيده، / فصاروا تاركين لما ينفعهم من لذات الدنيا، معرضين عما خلقوا له من لذات الآخرة، ومعتاضين عن ذلك بأخذ ما يضرّهم مما يظنون أنه لذة في الدنيا، أو موصل للذة في الدنيا، وهم في ذلك: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [سورة النجم: ٢٣]، فجهلوا المقاصد والوسائل، فكانوا ضالين يقصدون ما ينفعهم ويلذذهم، وهم لا يعرفون عين مقصودهم ولا الطريق إليه، وصار عامتهم غواة منهمكين في اللذات التي تضرّهم.

ص ١٦١

والنصارى ضارعوهم في بعض ذلك حين كذَّبوا بكثير مما وعدوا به في الآخرة من اللذات، وضلّوا بما ابتدعوه من العبادت، فكانوا ضالّين، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة: ٧٧]، ولهذا يغلب على عوامّهم الغيّ واتباع شهوات الغي، إذ لم يحرموا عليهم شيئاً من المطاعم والمشارب.

وأما اليهود فهم أعلم بالمقصود وطريقه، لكنهم غواة قساة، مغضوب عليهم.

ويتبيّن ذلك بأصلين:

أحدهما: أنهم اعتقدوا أنّ اللذات الحسية والوهمية ليست لذّات في الحقيقة، وإنما هي دفع آلام، وربما حسَّنوا العبارة[1]، فقالوا: ليس المقصود بها التنعّم، وإنما المقصود بها دفع الألم، بخلاف اللذات العقلية الروحانية،، فإنها هي اللذات فقط، وهي المقصودة[2] لذاتها فقط، وعن هذا يدفعون أن تكون للنفوس بعد مفارقة الدنيا لذات حسية، أو وهمية، وإنما يكون لها لذات روحانية فقط.

ثم إنّ مَنْ دخل مع أهل الملل منهم وافق[3] المؤمنين بإظهاره للإقرار بما جاءت به الرسل، وقال: إنّ ما[4] أخبرت به الرسل من الوعد والوعيد إنما هو أمثال مضروبة لتفهم العامة المعاد الروحاني، وما فيه من اللذة والألم الروحانيين، وربما يغرب بعضهم فأثبت اللذات الخيالية، بناءً على أنّ النفوس يمكن أن يحصل لها من إشراق الأفلاك [عليها][5] ما يحصل لها به من اللذة ما هو من أعظم اللذات الخيالية، التي قد يقولون: هي أعظم من الحسية.

الأصل الثاني: / أنّ اللذات العقلية التي أقرُّوا بها لم تحصل لهم، ولم يعرفوا الطريق إليها، بل ظنوا أنّ ذلك إنما [هو][6] إدراك الوجود المطلق بأنواعه وأحكامه، وطلبوا اللذة العقلية في الدنيا بما هو من هذا النمط من الأمور العقلية، وتكلّموا في الإلٰهيات بكلام حقّه قليل وباطله كثير، فكانوا طالبين للذة العقلية التي أثبتوها بالأغذية الفاسدة التي تضرّ وتؤلم، أكثر من طلبها بالأغذية النافعة، بل كانوا ظ ١٦١

---

(١) في الأصل: العارة.
(٢) في الأصل: المقصود.
(٣) في الأصل: باسو (بدون نقط، ولعل الصواب ما أثبته).
(٤) في الأصل: وقال بما.
(٥) في الأصل: يمكن أن يجعل لها من احترام الأفلاك.
(٦) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

فاقدين لغذائها الذي لا صلاح لها إلاّ به، وهو إخلاص الدين لله، بعبادته[1] وحده لا شريك له، فإنّ هذا هو خاصة النفس التي خلقت له، لا تصلح [إلاّ][2] به، ولا تفسد فساداً مطلقاً مع وجوده قط، بل مَنْ بات وهو يعلم أنه لا إله إلاّ الله دخل الجنة.

كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال ـ من وجوه متعددة من حديث عثمان بن عفان، وأبي ذر، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وعتبان بن مالك، وعبادة بن الصامت، وغيرهم ـ: «**ولا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، بل يخرج من النار مَنْ كان في قلبه مثقال دينار من إيمان أو مثقال شعيرة من إيمان أو مثقال ذرة من إيمان**»[3].

---

(١) في الأصل: بعبادة.

(٢) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب (٣٣) زيادة الإيمان ونقصانه. . ، حديث رقم(٤٤) ١/ ١٠٣. وفي كتاب التفسير، باب (٢) سورة البقرة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، حديث رقم (٤٤٧٦) ٨/ ١٦٠.

وفي كتاب التوحيد، باب (١٩) قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، حديث رقم (٧٤١٠) ١٣/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

وباب (٣٧) ما جاء في قول الله عز وجلّ ـ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، حديث رقم (٧٥١٦) ١٣/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٨٤) في أدنى أهل الجنة منزلة، حديث رقم (٣٢٣ ـ ٣٢٥) ١/ ١٨١ ـ ١٨٢.

والترمذي في كتاب صفة جهنم، باب (٩) ما جاء أنّ للنار نفسين، حديث رقم (٢٥٩٣) ٤/ ٧١١ ـ ٧١٢.

والنسائي في كتاب التفسير من سننه الكبرى، باب (٢) قوله تبارك وتعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، حديث رقم (١٠٩٨٤) ٦/ ٢٨٤.

وباب (١٨٥) قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، حديث رقم (١١٢٤٣) ٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (٣٧) ذكر الشفاعة، حديث رقم (٤٣١٢) بتحقيقنا.

وأحمد في المسند ٣/ ١١٦ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

=

وقد تكلّمتُ على رسالة المبدأ والمعاد التي صنفها أبو علي بن سينا[1]، وزعم أنّ فيها من الأسرار المخزونة من فلسفتهم بما يناسب هذا مما ليس هذا موضعه، وبيّنت ما دخل عليهم من الجهل والكفر في ذلك من وجوه بيّنة من لغاتهم ومعارفهم التي يفقهون بها، ويعلمون صحة ما عليه أهل الإيمان بالله ورسوله، وبطلان ما هم عليه مما يخالف ذلك من الحقيقة، وإنْ زعموا أنهم موافقون لأهل الإيمان.

نعم هم مؤمنون ببعض، وكافرون ببعض، كما قد بيّنت أيضاً مراتب ما معهم ومع غيرهم من الكفر والإيمان في غير هذا الموضع، وذكرت ما كفروا به مما خالفوا به الرسل، وما آمنوا به مما وافقوهم [فيه][2].

فإنّ الله أمرنا بالعدل، وأمرنا / أن نعدل بين الأمم، كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [سورة الشورى: ١٥]. ص ١٦٢

= والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢٠١٠) ص٢٦٨ ـ ٢٦٩.
وابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (٨٠٩ ـ ٨١٠) ص٣٦٤ ـ ٣٦٥.
وعبد بن حميد في المنتخب من المسند، حديث رقم (١١٨٦) ص٣٥٧ ـ ٣٥٨.
واللالكائي في أصول الاعتقاد، حديث رقم (٢٠٦١ ـ ٢٠٦٢) ٦/١٠٩٨ ـ ١١٠٠.
وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٣١٦٧٧) ٦/٣٠٩.
وابن خزيمة في التوحيد ص٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٣.
والبيهقي في الشعب ١/٢٨٥ ـ ٢٨٦.
وفي الأسماء والصفات ١/٣١٣ ـ ٣١٤ و٢/٤٣.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٤٣٣٤) ١٥/١٦٠ ـ ١٦٣.
من طريق سعيد وهشام، عن قتادة، عن أنس مطولاً ومختصراً.
وله طرق أخرى، انظرها في تخريجنا لسنن ابن ماجه (٤٣١٢).

(١) وهي «الرسالة الأضحوية في أمر المعاد». حققها الدكتور سليمان دنيا، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة سنة ١٣٦٨هـ.
وقد تكلّم عليها ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ١/٩ و٥/ ـ ١٠ ـ ١٧.

(٢) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [سورة الحديد: ٢٥].



فصل
[حب الله تعالى أصل التوحيد العملي]

وإذا كان أصل الإيمان العملي هو حبّ الله تعالى ورسوله ﷺ، وحبّ الله أصل التوحيد العملي، وهو أصل التأليه، الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، **فإنّ العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة، مع أكمل أنواع الخضوع**، وهذا هو الإسلام.

وأعظم الذنوب عند الله الشرك به، وهوسبحانه لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك: منه جليل ودقيق، وخفي وجلي.

كما في الحديث: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل**».

فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله: إذا كان أخفى من دبيب النمل فكيف نصنع به؟ أو كما قال.

فقال: «**ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من قليله وكثيره؟ قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما [لا][1] أعلم**»[2].

(١) ما بين القوسين ليس في المخطوطة.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٥٨) ١/ ٦٠ ـ ٦١. =

= وابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٢٨٦) ص١٠٤.
والمروزي في مسند أبي بكر، حديث رقم (١٧) ص٥٣ ـ ٥٥.
من طريق ابن جريج، عن ليث، عن أبي محمد، عن حذيفة، عن أبي بكر به.
قلت: سنده ضعيف، فيه:
١ ـ أبو محمد: مجهول.
٢ ـ ليث: صدوق، اختلط جداً فلم يتميز حديثه فترك. انظر التقريب ٢/١٣٨، وتهذيب التهذيب ٨/٤٦٥ ـ ٤٦٨، والمغني ٢/٥٣٦، والكاشف ٣/١٣.
ـ وقد اضطرب فيه ليث كثيراً، فقد رواه ليث واختلف عنه:
أ ـ فرواه ابن جريج، عن ليث، عن أبي محمد، عن حذيفة، عن أبي بكر: وقد سبق تخريجه.
ب ـ ورواه عبد الواحد، عن ليث، عن رجل من أهل البصرة، عن معقل، عن أبي بكر:
رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد، حديث رقم (٢١٧) ص٢٥٠.
جـ ـ ورواه عبد العزيز بن مسلم القسلمي، عن ليث، عن أبي محمد، عن معقل، عن أبي بكر:
رواه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٥٩ ـ ٦٠ ـ ٦١) ١/٦١ ـ ٦٢.
د ـ ورواه عبد الوارث بن سعيد، عن ليث، قال: حدثني صاحب لي، عن معقل، عن أبي بكر: ذكره الدارقطني في العلل ١/١٩٢.
هـ ـ ورواه أبو جعفر الرازي، عن ليث، عن معقل، عن أبي بكر:
رواه ابن بطة في الإبانة، حديث رقم (٩٨١) ٢/٧٢٣ ـ ٧٢٤ (الكتاب الأول).
و ـ ورواه ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد، عن أبي بكر:
رواه هناد في الزهد، حديث رقم (٨٤٩) ٢/٤٣٤.
وابن الجوزي في العلل، حديث رقم (١٣٧٩) ٢/٨٤٢.
ز ـ ورواه أبو إسحاق الفزاري، عن ليث، عن رجل، عن معقل، عن أبي بكر:
رواه ابن بطة في الإبانة، حديث رقم (٩٨٢) ٢/٧٢٤ (الكتاب الأول).
حـ ـ ورواه جرير بن عبد الحميد، عن ليث، عن شيخ من عنزة، عن معقل بن يسار، عن أبي بكر:
رواه المروزي في مسند أبي بكر الصديق، حديث رقم (١٨) ص٥٥ ـ ٥٦.
ط ـ ورواه عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون، عن ليث، عن عثمان بن رفيع، عن معقل، عن أبي بكر:
ذكره الدارقطني في العلل ١/١٩١. =

فمعلوم أنّ أصل الإشراك العملي بالله الإشراك في المحبة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ

= وابن الجوزي في العلل ٢/ ٨٤٢.
ي ـ ورواه يحيى بن أبي كثير، عن سفيان الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر:
رواه أبو نعيم في الحلية ٧/ ١١٢.
وابن حبان في المجروحين ٣/ ١٣٠.
وابن عدي في الكامل ٧/ ٢٤٠.
والدارقطني في العلل ١/ ١٩٢ ثم قال ١/ ١٩٢ ـ ١٩٣: «ولا يصح عن إسماعيل ولا عن الثوري، ويحيى بن كثير هذا: متروك الحديث.
وانظر العلل للدارقطني ١/ ١٩١ ـ ١٩٣.
قلت: وفي الباب:
١ ـ عن أبي موسى الأشعري:
رواه أحمد في المسند ٤/ ٤٠٣.
والبخاري في الكنى ص٥٨.
والطبراني في الأوسط، حديث رقم (٣٥٠٣) ٤/ ٢٨٤.
وفي سنده أبو علي الكاهلي: مجهول. انظر الكنى للبخاري ص٥٨، وتعجيل المنفعة ص٥٠٧، والثقات ٥/ ٥٦٢، والجرح والتعديل ٤/ ٢/ ٣٠٩.
٢ ـ عن عائشة: بلفظ: **«الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن نحب على شيء من الجور، ونبغض على شيء من الحق، وهل الدين إلاّ الحب والبغض، قال الله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾**.
رواه الحاكم ٢/ ٢٩١.
والعقيلي في الضعفاء ٣/ ٦٠ ـ ٦١ ثم قال: «ولا يتابع عليه ولا يعرف إلاّ به».
وقال: «جاء بأحاديث منكرة ليس منها شيء محفوظ». وانظر المجروحين ٢/ ١٥٦، والميزان ٢/ ٥٢٩، ومجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٣، في ترجمة عبد الأعلى ابن أعين.
والبزار في مسنده، حديث رقم (٣٥٦٦) ٤/ ٢١٧ كشف الأستار (بأوله فقط)
وأنت ترى أنّ أوله فقط **«الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء»**. هو الذي يرتقي بحديث أبي موسى، وعائشة، وبما في الباب عن ابن عباس عند أبي نعيم في الحلية ٣/ ٣٦.
أما بقية الحديث فيبقى على حاله من الضعف والله أعلم.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]، فأخبر أنّ من الناس من يشرك بالله، فيتخذ أنداداً يحبونهم كما يحبون الله، وأخبر أنّ الذين آمنوا أشدّ حبًّا لله من هؤلاء، والمؤمنون أشدّ حباً لله من هؤلاء لأندادهم ولله، فإنّ هؤلاء أشركوا بالله في المحبة، فجعلوا المحبة مشتركة بينه وبين الأنداد، والمؤمنون أخلصوا دينهم لله الذي أصله المحبة لله، فلم يجعلوا لله عدلاً في المحبة، بل كان الله ورسوله أحب إليهم[1] مما سواهما، ومحبة الرسول هي من محبة الله، وكذلك كلّ حب في الله، هو [من][2] الحب لله.

كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **«ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان»**.

وفي رواية في الصحيح **«لا يجد حلاوة الإيمان إلاّ مَنْ كان فيه ثلاث خصال: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبّه إلاّ لله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار»**[3].

ظ ١٦٢ ولهذا / في الحديث: **«مَنْ أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»**[4].

وفي الأثر: **«ما تحابّ رجلان في الله إلاّ كان أفضلهما أشدّهما حباً لصاحبه»**[5].

---

(١) في الأصل: إليه.
(٢) في الأصل: وهو.
(٣)(٤) سبق تخريجه.
(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٥٤٤) ص١٩١.
وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٣٤١٩) ٦/ ١٤٣.
والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢٠٥٣) ص٢٧٣.
والحاكم في المستدرك ٤/ ١٧١.
والبزار في مسنده، حديث رقم (٣٦٠٠) ٤/ ٢٣١ (كشف الأستار). =

لأنّ هذه المحبة من محبة الله، وكلّ مَنْ كانت محبته لله أشدّ كان أفضل.

وخير الخلق محمد رسول الله ﷺ، وخير البرية بعده إبراهيم، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، وكلّ منهما خليل الله.

والخُلَّة تتضمّن كمال المحبة ونهايتها[1]، ولهذا لم يصلح لله شريك في الخلة، بل قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**لو كنت متخذاً**

= وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٥٦٦) ٢/ ٣٢٥.
وابن عدي في الكامل ٦/ ٣٢١.
والخطيب في تاريخ بغداد ١١/ ٣٤١.
وأبي القاسم البغوي في مسند ابن الجعد، حديث رقم (٣١٩١ ـ ٣١٩٢) ص٤٦٣.
وابن عبدالبر في التمهيد ١٧/ ٤٣٧.
والبيهقي في الشعب ٦/ ٤٩٩.
وفي الآداب، حديث رقم (٢٣٣) ص١٤٩ ـ ١٥٠.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٣٤٦٦) ١٣/ ٥٢.
من طريق مبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس.
ومبارك بن فضالة: صدوق، يدلّس، ويسوي.
انظر التقريب ٢/ ٢٢٧، وطبقات المدلسين ص١٠٤، والكاشف ٣/ ١٠٤.
وتابعه عبد الله بن الزبير:
عند الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم (٢٩٢٠) ٣/ ٤٢٦.
وذكره البيهقي في الشعب ٦/ ٤٩٩.
وعبد الله بن الزبير: قال أبو حاتم: مجهول لا يعرف.
وذكره ابن حبان في الثقات.
وقال الدارقطني: بصري صالح. انظر التهذيب ٥/ ٢١٦، والكامل ٤/ ١٧٥، والتقريب ١/ ٤١٥.
قلت: وفي الباب:
١ ـ **عن قتادة مرسلاً**: رواه البيهقي في الشعب ٦/ ٤٩٩.
وذكره في الآداب ص١٥٠.
٢ ـ **أبي فزارة قوله**: رواه هناد في الزهد ١/ ٢٧٥.
٣ ـ **مطرف قوله**: رواه البيهقي في الشعب ٦/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠.

(١) انظر فتح الباري ٧/ ٢٣.

من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله»[1].

وفي لفظ: «**أنا أبرأ إلى كلّ خليل من خلّته**»[2].

فمحبة ما يحبه الله من الأعيان والأعمال من تمام محبة الله، وهو الحب في الله ولله، وإن كان كثير من الناس يغلط في معرفة كثير من ذلك أو وجوده، فيظنّ في أنواع من المحبة أنها محبة لله، ولا تكون لله، ويظن وجود المحبة لله في أمور، ولا تكون المحبة لله موجودة، بل قد يعتقد وجود المحبة لله وتكون معدومة، وقد يعتقد في بعض الحب أنه لله، ولا يكون لله، كما يعتقد وجود العلم أو العبادة أو غير ذلك من الصفات في بعض الأشخاص والأحوال، ولا يكون ثابتاً، وقد يعتقد في كثير من الأعمال أنه معمول لله، ولا يكون لله.

فمحبة ما يحبه الله من الأعمال الباطنة والظاهرة، وهي الواجبات والمستحبات: إذا أحببت لله كان ذلك من محبة الله، ولهذا يوجب ذلك محبة الله لعبده.

وكما في الحديث الصحيح عن الله تعالى: «**مَنْ عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به**[3]**، وبصره الذي يبصر به**[4]**، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش / وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره** ص ١٦٣

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في الأصل: بها.

(٤) في الأصل: بها.

الموت، وأكره مساءته، ولا بدّ له منه»[1].

وكذلك محبة كلام الله وأسمائه وصفاته، كما في الحديث الصحيح: في الذي كان يصلّي بأصحابه فيقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾: إما أن يقرأها وحدها، أو يقرأ بها مع سورة أخرى. فأخبروا بذلك النبي ﷺ.

فقال: «**سلوه: لِمَ يفعل ذلك؟**».

فقال: لأني أحبها.

فقال: «**[إنّ] حبّك [إياها أدخلك الجنة]**[2]»[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب (١) ما جاء في دعاء النبي ﷺ، حديث رقم (٧٣٧٥) ١٣/ ٣٤٧، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب (٤٥) فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، حديث رقم (٨١٣) ١/ ٥٥٧.
والنسائي في كتاب الصلاة، باب الفضل في قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ ٢/ ١٧١.
وفي عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٧٠٣) ص٤٣٠.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٧٩٣) ٣/ ٧٣.
والبيهقي في الأسماء الصفات / وفي الشعب ٥/ ٤٨١ من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.
وفي الباب عن أنس، وفيه: حبها أدخلك الجنة. أو حبك إياها أدخلك الجنة: رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب (١١) ما جاء في سورة الإخلاص، حديث رقم (٢٩٠١) ٥/ ١٦٩ ـ ١٧٠.
ورواه أحمد ٣/ ١٤١ ـ ١٥٠، وعبد بن حميد (١٣٠٦)، وابن السني (٦٩٠)، وابن الضريس (٢٧٨ ـ ٢٨٠) والدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب (٢٤) فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، حديث رقم (٣٤٣٥) ٢/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣.
وابن حبان، حديث رقم (٧٩٢ ـ ٧٩٤) ٣/ ٧٢ ـ ٧٤.
وابن خزيمة ١/ ٢٦٩.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٢١٠) ٤/ ٤٧٥، والرازي في فضائل القرآن (١٠٨) ص١٣٩، والبيهقي في سننه ٢/ ٦١، وفي الشعب ٦٥/ ٤٨٢، وبيبي في جزئها (٨٣).
وقد علقه البخاري برقم (٧٧٤) ٢/ ٢٥٥.
وفي سنده مبارك بن فضالة إلا أنه صرّح بالتحديث عند الدارمي وغيره.

(٣) في الأصل: فقال: حبكا. وما أثبتناه من المصادر المخرجة للحديث.

وكذلك محبة ملائكة الله وأنبيائه وعباده الصالحين، كما كان عبد الله بن عمر يدعو بالمواقف في حجه فيقول: «اللهم اجعلني أحبّك، وأحبّ ملائكتك، وأنبياءك[1] وعبادك الصالحين، اللهم حبّبني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك وعبادك الصالحين».

بل محبة الله مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]، فإنّ اتباع رسوله هو من أعظم ما أوجبه الله تعالى على عباده وأحبه، وهو سبحانه أعظم شيء بغضاً لمن لم يتبع رسوله. فمن كان صادقاً في دعوى محبة الله اتّبع رسوله لا محالة، وكان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما.

والذنوب تنقص من محبة الله تعالى بقدر ذلك، لكن لا تزيل المحبة لله ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب، ولم تكن الذنوب عن نفاق. كما في صحيح البخاري، عن عمر بن الخطاب، حديث حمار الذي كان يشرب الخمر، وكان النبي ﷺ يقيم عليه الحد، فلما كثر ذلك منه لعنه رجل، فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله**»[2].

ظ ١٦٣ **وفيه دلالة على أنّا منهيون / عن لعنة أحد بعينه، وإن كان مذنباً، إذا كان يحب الله ورسوله.**

فكما أن المحبة الواجبة تستلزم لفعل الواجبات، وكمال المحبة المستحبة تستلزم لكمال فعل المستحبات، والمعاصي تنقض المحبة، وهذا معنى قول الشبلي[3] لما سئل عن المحبة، فقال ما غنّت به جارية فلان:

---

(١) في الأصل: وأنبيائك. وهو خطأ.

(٢) رواه البخاري في كتاب الحدود، باب (٥) ما يكره من لعن شارب الخمر، حديث رقم (٦٧٨٠) ١٢/ ٧٥.
وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (١٧٦ ـ ١٧٧) ١/ ١٦١.

(٣) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي، من أئمة الصوفية. انظر حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦ ـ ٣٧٥، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٩ ـ ٣٩٧.

تعصي الإله وأنت تزعم حبه   هذا محال في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته   إنّ المحب لمن أحب مطيع[1]

وهذا كقوله ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»**[2] وقد تكلّمنا على هذا في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا أن نفرّق بين الحب في الله ولله، الذي هو داخل في محبة الله، وهو من محبته، وبين الحب لغير الله الذي فيه شرك في المحبة لله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]، فإنّ هؤلاء يشركون بربّهم في الحب، عادلون به، جاعلون له أنداداً. وأولئك أخلصوا دينهم لله، فكان حبهم الذي هو أصل دينهم كلّه لله، وهذا هو الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، وأمر بالجهاد عليه.

كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٩٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم

---

(١) عزاه في شعب الإيمان ١/ ٣٨٦ لرابعة، وأبي العتاهية.

(٢) رواه البخاري (٢٤٧٥ ـ ٥٥٧٨ ـ ٦٧٧٢ ـ ٦٨١٠)، ومسلم (٥٧)، وأبو داود (٤٦٨٩)، والترمذي (٢٦٢٥)، والنسائي ٨/ ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٣١٣، وفي الكبرى (٧١٢٦ إلى ـ ٧١٣٣)، وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٣ ـ ٣١٧ ـ ٣٧٦ ـ ٣٨٦، وابن ماجه (٣٩٣٦)، والدارمي (٢١٠٦)، والحميدي (١١٢٨)، وتمام في فوائده (١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠)، وعبد الرزاق في المصنف (١٣٦٨٠ ـ ١٣٦٨٢ ـ ١٣٦٨٣ ـ ١٣٦٨٤ ـ ١٣٦٨٨)، وابن عدي في الكامل ٢/ ٧٤ و٥/ ٢٣٤ و٦/ ١٩٩
وأبو نعيم في الحلية ٣/ ١٦٣ ـ ١٦٤، و٨/ ٢٥٧ و٩/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.
والخطيب في تاريخه ٢/ ١٤٢ و٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ و١٠/ ٤٥٦ و١١/ ١٧٠.
والبيهقي في سننه ١٠/ ١٨٦ ـ ١٨٧.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

وقد علم أنّ محبة المؤمنين لربهم أشدّ من محبة هؤلاء المشركين لربهم ولأندادهم، ثم إنّ اتخاذ الأنداد هو[1] من أعظم الذنوب، كما في الصحيح، عن عبد الله بن مسعود، قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟

قال: **«أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك»**.

قلت: ثم أي؟

قال: **«ثم أن تقتل ولدك خشية أن يَطْعَمَ معك»**.

قلت: ثم أي؟.

قال: **«ثم أن تزاني بحليلة جارك»**، فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [سورة الفرقان: ٦٨][2].

---

(١) في الأصل: هي.

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب (٣) قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، حديث رقم (٤٤٧٧) ٨/ ١٦٣.
وفي كتاب الأدب، باب (٢٠) قتل الولد خشية أن يأكل معك، حديث رقم (٦٠٠١) ١٠/ ٤٣٣.
وفي كتاب الحدود، باب (٢٠) إثم الزناة، حديث رقم (٦٨١١) ١٢/ ١١٤.
وفي كتاب الديات، باب (١) قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾، حديث رقم (٦٨٦١) ١٢/ ١٨٧.
وفي كتاب التوحيد، باب (٤٠) قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، حديث رقم (٧٥٢٠) ١٣/ ٤٩١.
ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٣٧) كون الشرك أقبح الذنوب، حديث رقم (٨٦) ١/ ٩٠ - ٩١.
وأبو داود في كتاب الطلاق، باب (٥٠) في تعظيم الزنا، حديث رقم (٢٣١٠) ٢/ ٢٩٤.
والترمذي في كتاب التفسير، سورة الفرقان، حديث رقم (٣١٨٢ - ٣١٨٣) ٥/ ٣٣٦ - ٣٣٧.
=

فدعاء إلٰهٍ[1] آخر مع الله هو اتخاذ نِدٍّ من دون الله، يحبّه كحبّ الله، إذ أصل العبادة المحبة.

والمحبّة وإن كانت جنساً تحته أنواع، فالمحبوبات المعظَّمة لغير الله قد أثبت الشارع فيها اسم التعبد، كقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**تعس عبدالدرهم، تعس عبدالدينار، تعس عبدالقطيفة، تعس عبدالخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، إن أُعطِيَ رضي، وإن مُنع سخط**»[2].

= والنسائي في كتاب التفسير من سننه الكبرى، سورة البقرة، باب (٤) ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، حديث رقم (١٠٩٨٧) ٦/ ٢٨٥.

وفي سورة الفرقان، باب (٢٦٢) قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾، حديث رقم (١١٣٦٨ ـ ١١٣٦٩) ٦/ ٤٢٠ ـ ٤٢١.

وفي المجتبى في كتاب تحريم الدم، باب (٤) ذكر أعظم الذنب ٧/ ٨٩ ـ ٩٠.

وأحمد في المسند ١/ ٣٨٠ ـ ٤٣١ ـ ٤٣٤ ـ ٤٦٢.

والحميدي في مسنده، حديث رقم (١٠٣) ١/ ٥٧.

وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٥٠٩٨) ٩/ ٣٢ ـ ٣٣.

وحديث رقم (٥١٣٠) ٩/ ٦٤ ـ ٦٥.

وحديث رقم (٥١٦٧) ٩/ ١٠١.

وأبو عوانة في مسنده ١/ ٥٥.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٤٤١٤ ـ ٤٤١٥ ـ ٤٤١٦) ١٠/ ٢٦١ ـ ٢٦٥.

والطحاوي في المشكل ١/ ٣٨٩.

والبيهقي في سننه ٨/ ١٨.

وأبو نعيم في الحلية ٤/ ١٤٥ ـ ١٤٦.

والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٤٢) ١/ ٨٢.

(١) في الأصل: الهاً وهو خطأ.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب (٧٠) الحراسة في الغزو في سبيل الله، حديث رقم (٢٨٨٦ ـ ٢٨٨٧) ٦/ ٨١.

وفي كتاب الرقاق، باب (١٠) ما يتقى من فتنة المال، حديث رقم (٦٤٣٥) ١١/ ٢٥٣.

وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (٨) في المكثرين، حديث رقم (٤١٣٥).

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣٢١٨) ٨/ ١٢. =

فسمَّى هؤلاء: إن أُعطوا رضوا، وإن مُنِعوا سخطوا ـ؛ لأنّ محبتهم ومرضاتهم إلى هذه الأربعة عبادة لها[1] ـ، حيث قال: عبدالدرهم، وعبد الدينار، وعبد القطيفة، وعبد الخميصة.

فإذا كان الإنسان مشغوفاً بمحبة بعض المخلوقات لغير الله، الذي يرضيه وجوده، ويسخطه عدمه ـ كان فيه من التعبّد بقدر ذلك. ولهذا يجعلون العشق مراتب مثل: العلاقة، ثم الصبابة، ثم الغرام، ويجعلون آخره التتيم: والتتيم: التعبّد، وتيم الله: هو عبد الله، فيصير العاشق لبعض الصور عبداً لمعشوقه.

والله سبحانه إنما ذكر هذا العشق في القرآن عن المشركين، فإنّ العزيز وامرأته وأهل مصر كانوا مشركين، كما قال لهم يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ [سورة يوسف: ٣٧ ـ ٤٠]. ظ ١٦٤

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا

= وابن الأعرابي في المعجم، حديث رقم (٨٨٩) ٤/ ١٧٨.
والبيهقي في سننه ٩/ ١٥٩، و١٠/ ٢٤٥.
والخطابي في العزلة (٤٤).
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٤٠٥٩) ١٤/ ٢٦١.

(١) في الأصل: فسمى هؤلاء إن أعطوا رضوا وإن منعوا سخطوا لأنها محبتهم ومرضاهم إلى هذه الأتبعة عباداً لها.
ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة غافر: ٣٤ ـ ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة يوسف: ٣٠].

وأما يوسف عليه السلام فإنّ الله ذكر أنه عصمه بإخلاصه الدين لله، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يوسف: ٢٤]، فأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء والفحشاء. ومن السوء عشقها ومحبتها، ومن الفحشاء الزنا، وقد يزني بفرجه مَنْ لا يكون عاشقاً، وقد يعشق مَنْ لا يزني بفرجه، والزنا بالفرج أعظم من الإلمام بصغيرة كنظرة وقبلة.

وأما الإصرار على العشق ولوازمه: من النظر ونحوه، فقد يكون أعظم من الزنا الواحد بشيء كثير، والمخلصون يصرف الله عنهم السوء والفحشاء، ويوسف عليه السلام كان من المخلصين، حيث كان يعبد الله، لا يشرك به شيئاً، وحيث توكَّل على الله، واستعان به، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة يوسف: ٣٣ ـ ٣٤].

وهذا تحقيق قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة النحل: ٩٨ ـ ١٠٠].

فأخبر سبحانه أنّ المتوكلين على الله ليس للشيطان عليهم سلطان، وإنما سلطانه على المتولِّين له، والمتولّي من الولاية، وأصله

المحبة والموافقة، كما أنّ العداوة أصلها البغض والمخالفة. فالمتولُّون[1] له هم الذين يحبون ما يحبه الشيطان ويوافقه، فهم مشركون[2] به حيث أطاعوه وعبدوه بامتثال أمره، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [سورة يس: ٦٠ ـ ٦١].

والشياطين شياطين الإنس والجن، والعبادة فيها الرغبة والرهبة. قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة صٓ: ٧٥ ـ ٨٥] فأقسم الشيطان ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

ص ١٦٥

وقد أخبر الله أنه ليس له سلطان على هؤلاء، فقال في الحجر: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الحجر: ٣٤ ـ ٣٥]، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحجر: ٣٩ ـ ٤٠] قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الحجر: ٤٢].

وقوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ استثناء منقطع في أقوى القولين، إذ العباد هم العابدون، لا المعبودون. كما قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٣].

---

(١) في الأصل: فالمتولين. وهو خطأ.

(٢) في الأصل: مشركين. وهو خطأ.

وقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [سورة الإنسان: ٦].

وقال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الزخرف: ٦٧ ـ ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [سورة الجن: ١٩].

وقال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [سورة الإسراء: ١].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة صٓ: ٤٥].

وإذا كان عباد الله المخلصون ليس له عليهم سلطان، وأنّ سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون، وقد أقسم أن يغويهم إلاّ عباد الله المخلصين، وأخبر الله أنّ سلطانه ليس على عباد الله، بل على مَن اتبعه من الغاوين.

والغيُّ: اتّباع الأهواء والشهوات، وأصل ذلك أنّ الحب لغير الله كحب الأنداد، وذلك هو الشرك، قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة النحل: ١٠٠].

فبيّن أنّ صاحب الإخلاص، مادام صادقاً في إخلاصه، فإنه يعتصم من هذا الغي وهذا الشرك، وإنّ الغي هو يضعف الإخلاص، ويقوّي هواه الشرك.

فأصحاب العشق، الذي يحبه الشيطان، فيهم مَنْ تولّى الشيطان، والإشراك به بقدر ذلك، لما فاتهم من إخلاص المحبة لله، والإشراك بينه وبين غيره في المحبة، حتى يكون فيه نصيب / من اتّخاذ الأنداد، وحتى يصيروا عبيداً لذلك المعشوق، فيفنون فيه[1] ويصرحون ظ ١٦٥

(١) في الأصل: فينمي فيه.

بأنّا عبيد له[1]، فيوجد في هذا الحب والهوى، واقتراف[2] ما يبغضه الله، وما حرَّمه من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق، وأن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون، فيوجد فيه من الشرك الأكبر والأصغر، ومن قتل النفوس بغير حق، ومن الزنا، ومن الكذب، ومن أكل المال بالباطل، إلى غير ذلك ما ينتظم هذه الأصناف التي يكرهها[3] الله تعالى؛ لأنّ أصله أن يكون حبّه كحبّ الله، وهو من ترك[4] إخلاص المحبة، ومن الإشراك بينه وبين غيره، أو من جعل المحبة لغير الله، فإذا عمل موجب ذلك، كان ذلك هو اتّباع الهوى بغير هدىً من الله.

وفي الأثر: «**ما تحت أديم السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع**»[5]. قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الفرقان: **٤٣ ـ ٤٤**].

---

(١) في الأصل: بأنا عبيداً له. وهو خطأ.
(٢) في الأصل: واجتناب.
(٣) في الأصل: التي يكرهه.
(٤) في الأصل: لأن أصله ما حبه كحب الله هو من شرك.
(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٧٥٠٢) ٨/١٢٢ ـ ١٢٣.
وابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (٣) ١/٨.
وابن عدي في الكامل ٢/٣٠١.
وابن بطة في الإبانة، حديث رقم (٢٨٠) ١/٣٨٨.
وأبو نعيم في الحلية ٦/١١٨.
وابن الجوزي في الموضوعات ٣/١٣٩.
والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٦٦٧٤) ٤/٣٩٤.
من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.
وهو حديث موضوع، فيه:
الحسن بن دينار، والخصيب بن جحدر: كذّابان، وانظر اللآلئ المصنوعة ٢/٣٢٢ ـ ٣٢٣، وتنزيه الشريعة ٢/٣٠٤.

ولهذا لا يبتلى بهذا العشق إلاّ مَنْ فيه نوع شرك في الدين، وضعف إخلاص لله. وسبب هذا ما ذكره بعضهم فقال: إنه ليس شيء من المحبوبات يستوعب محبة القلب إلاّ محبة الله أو محبة بشر مثلك:

أما محبة الله فهي التي خُلق لها العباد، وهي سعادتهم، وقد تكلّمنا عليها في غير هذا الموضع.

وأما البشر المتماثل، من ذكر أو أنثى، فإنّ فيه من المشاكلة والمناسبة ما يوجب أن يكون لكلّ شيء من الحبّ نصيب من المحبوب يستوعبه حبّه، ولهذا لا يُعرف لشيء[1] من المحبوبات التي تُحَبُّ لغير الله من الاستيعاب بما يعرف لذلك، حتى يُزيل العقل، ويُفقد الإدراك، ويُوجب انقطاع الإِرادة لغير ذلك المحبوب، ويوجب مرض[2] الموت، **وإنما يعرض هذا بكلّه لضعف ما في القلب من حب الله وإخلاص الدين له، عبادةً واستعانةً، فيكون فيه من الشرك ما يسلِّط الشيطان عليه، حتى يغويه بهذا الغي، الذي فيه من تولّى الشيطان والإِشراك به، ما يتسلط به الشيطان.**

ولهذا قد يطيع هذا المحبّ لغير الله محبوبه أكثر[3] مما يطيع الله، حتى يطلب القتل في سبيله، كما يختار المؤمن القتل في سبيل الله، وإذا كان محبوبه مطيعه من وجه وعبداً له، [فهو أولى][4] بأن / يكون هو مطيعه وعبداً له من وجه آخر. ص ١٦٦

وإذا كان النبي ﷺ قال: «**شارب الخمر كعابد وثن**»[5].

---

(١) في الأصل: شيء.
(٢) في الأصل: لمرض.
(٣) في الأصل: لمحبوبه أو أكثر.
(٤) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.
(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٤٠٧٠) ٥/٩٧.
وابن ماجه في سننه، حديث رقم (٣٣٨٥).
والبخاري في التاريخ الكبير ١/١/١٢٩. =

= وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٢٩.
وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان.
والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ١٢ ـ ١٣.
وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٦٧١.
قلت: في سنده:
١ ـ محمد بن سليمان بن الأصبهاني: قال ابن عدي: مضطرب الحديث، قليل الحديث، ومقدار ماله قد أخطأ في غير شيء منه.
وقال النسائي: ضعيف.
وقال أبو حاتم: لا بأس به، يكتب حديثه، ولا يحتج به.
وذكره ابن حبان في الثقات.
انظر الكامل ٦/ ٢٢٩، وتهذيب التهذيب ٩/ ٢٠١، وتهذيب الكمال ٣/ ١٢٠٥ ـ ١٢٠٦.
٢ ـ وقد خولف محمد عليه:
خالفه سليمان بن بلال: فرواه عن سهيل بن أبي صالح، عن محمد بن عبد الله، عن أبيه، عن النبي ﷺ، به:
رواه البخاري في التاريخ الكبير ١/ ١/ ١٢٩.
والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ١٢ ـ ١٣.
قلت: ورجّح الإمام البخاري رواية سليمان، فقال: «ولا يصح حديث أبي هريرة في هذا» اهـ.
أي: الرواية التي رواها محمد بن سليمان بن الأصبهاني.
قال الدارقطني: خالفه سليمان بن بلال: فرواه عن سهيل، عن محمد بن عبد الله، عن أبيه، عن النبي ﷺ. قاله ابن مريم عنه.
قال: ورواه حماد بن سلمة، عن عاصم، عن أبي صالح، عن عبد الله بن عمرو من قوله.
قال ابن الجوزي في العلل ٢/ ٦٧٢: «وهذا هو الصحيح، فالطريق التي قبله لا يثبت» اهـ.
وقال ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٢٩: «وهذا الخطأ من ابن الأصبهاني حيث قال: عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، كأنّ هذا الطريق أسهل عليه.
وقد روي عن سهيل بإسنادٍ آخر مرسلاً» اهـ.
ومع هذا فقد قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في تخريجه للكشاف ٤/ ٥٨: «وإسناده جيد» اهـ. =

= **قلت**: وفي الباب عن:

١ ـ **عبد الله بن عمرو**: من طريق سفيان، عن محمد بن المنكدر، عنه:

رواه ابن أبي حاتم في العلل ٢/ ٣٧، ولكنه قال: «سمعت أبي يقول: هذا خطأ، إنما هو كما رواه حسن بن صالح، عن محمد بن المنكدر، قال: حُدِّثتُ عن ابن عباس، عن النبي ﷺ» اهـ.

فرجع الحديث ـ إذن ـ إلى حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

وسيأتي إن شاء الله تعالى. وانظر مجمع الزوائد ٥/ ٧٠.

٢ ـ **جابر بن عبد الله**: من طريق سعيد بن خالد الخزاعي، عن محمد بن المنكدر، عنه:

رواه البخاري في التاريخ الكبير، ٢/ ١/ ٥١٥.

وابن حبان في المجروحين ١/ ٣٢٤.

وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٦٧٣.

وفي سنده: سعيد بن خالد: ضعيف. انظر المجروحين ١/ ٣٢٤، والتقريب ١/ ٢٩٤، والعلل المتناهية ٢/ ٦٧٣.

وانظر تكملة الحكم عليه، فيما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٣ ـ **عبد الله بن عباس**: وقد ورد من طرق عنه:

أ ـ حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس:

رواه ابن أبي حاتم في العلل ٢/ ٢٦.

والبزار في مسنده، حديث رقم (٢٩٣٤) ٣/ ٣٥٦ ثم قال: «لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلاّ بهذا الإسناد، ولا نعلمه عن غيره من وجه صحيح.

وحكيم بن جبير: غال في التشيع، وتوقَّف بعض أهل العلم في الرواية عنه، وحدّث بغير حديث لم يتابع عليه، وروى عنه الأعمش والثوري وإسرائيل وغيرهم» اهـ.

ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٦٧٢ ثم قال: «قال الدارقطني: تفرّد به حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، ولم يرو عنه غير المعلى بن هلال.

قال ابن الجوزي: هذا القول من الدارقطني وهم، فإنّا قد رويناه عن العوام، عن سعيد.

وهذا الحديث لا يصح.

قال أحمد: حكيم بن جبير: ضعيف الحديث، مضطرب.

وقال السعدي: هو والمعلى: كذابان.

قال ابن المديني والنسائي: المعلى بن هلال: كان يضع الحديث» اهـ. =

= **قلت**: ستأتي طريق العوام، عن سعيد - إن شاء الله تعالى -.
وحكيم بن جبير: ضعيف، كما في التقريب ١/١٩٣، وقد توبع عليه - كما سيأتي - إن شاء الله تعالى -.
ب - العوام بن حوشب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس:
رواه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٥٣٤٧) ١٢/١٦٧.
وابن عدي في الكامل ٤/٢٠٩.
وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/٦٧٢.
والعوام: ثقة، ثبت، فاضل، انظر التقريب ٢/٨٩، إلاّ أنّ الراوي عنه هو عبد الله بن خراش: منكر الحديث، كما قال البخاري. وضعّفه أبو زرعة والدارقطني.
انظر التهذيب ٥/١٧٣، وابن عدي في الكامل ٤/٢٠٨ - ٢١٠.
جـ - ثوير بن أبي فاختة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس:
رواه ابن أبي حاتم في العلل ٢/٢٦ - ٢٧.
والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (١٢٤٢٨) ١٢/٤٥.
وأبو نعيم في الحلية ٩/٢٥٣.
وابن الجوزي في العلل ٢/٦٧٢.
وفي هذه الطريق وهم: فقد اختلف فيه على إسرائيل:
١ - فقد رواه الحسن بن عطية، وعبيد الله بن موسى: عن إسرائيل، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.
٢ - وروواه أحمد بن يونس، فقال: عن إسرائيل، عن ثوير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.
قال أبو حاتم - كما في العلل لابنه ٢/٢٦ -: «حديث حكيم عندي أصح».
وسأله ابنه: «فحكيم بن جبير أحبّ إليك أو ثوير؟
قال: ما فيهما إلاّ ضعيف، غال في التشيّع.
قلت: فأيهما أحب إليك؟
قال: هما متقاربان» اهـ.
وقال أبو زرعة: «هكذا رواه أحمد بن يونس، وإنما هو إسرائيل، عن حكيم بن جبير» انظر العلل لابن أبي حاتم ٢/٢٦ - ٢٧.
د - الحسن بن صالح، عن محمد بن المنكدر، قال: حُدِّثْتُ عن ابن عباس:
رواه أحمد في المسند ١/٢٧٢.
وعبد بن حميد في المنتخب من المسند، حديث رقم (٧٠٨) ص٢٣٤. =

ومرّ عليّ ـ رضي الله عنه ـ [1] بقوم يلعبون بالشطرنج فقال: «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون»؟ وأظنه قلب الرقعة[2].

وذلك أنّ الله جمع بين الخمر والميسر، وبين الأنصاب والأزلام في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة المائدة: ٩٠ ـ ٩١].

مع أنّ الخمر إذا سكر بها الشارب كان سكره يوماً أو قريباً من يوم أو بعض يوم، وأما سكر الشهوة والمحبة الفاسدة من العشق ونحوه فسكره قوي دائم. قال تعالى في قوم لوط: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الحجر: ٧٢].

فكيف إذا خرج عن حدّ السكر إلى حدّ الجنون، بل كان الجنون

= وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٦٧١.

قلت: سنده ضعيف، فيه

١ ـ الانقطاع بين ابن المنكدر، وابن عباس.

٢ ـ وقع فيه خلاف: فقد رواه البخاري في التاريخ الكبير ٢/ ١/ ٥١٥، وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (١٧٠٧٠) ٩/ ٢٣٩ وعندهما: عن ابن المنكدر، عن ابن عباس. وليس فيه: حُدِّثت.

٤ ـ **أنس**: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده ضعيف، كما في المجمع ٤/ ٥٩.

وانظر الصحيحة لشيخنا الألباني حفظه الله تعالى ٢/ ٢٩٢.

(١) في الأصل: ومر علي عليلم. ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٦١٥٨) ٥/ ٢٨٧.

والبيهقي في سننه ١٠/ ٢١٢.

ورجاله ثقات إلاّ أنه منقطع؛ ميسرة بن حبيب لم يدرك علياً. انظر جامع التحصيل ص٢٨٨، والتهذيب ١٠/ ٣٨٦.

ورواه البيهقي ١٠/ ٢١٢ من طريق الأصبغ بن نباتة، عن علي.

والأصبغ: متروك. انظر التهذيب ١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣، والتقريب ١/ ٨١.

المطبق لا الحمق[1]، كما أنشد محمد بن جعفر في كتاب «اعتلال القلوب»[2] قال: أنشدني الصيدلاني:

قالت: جُنِنْتُ على رأسي فقلت لها: العشق أعظم مما بالمجانين
العشق ليس يفيق الدهر صاحبُه وإنما يصرع المجنون في الحين[3]

وقال الآخر:

سُكرانِ: سكرُ هوىً وسكر مُدَامة ومتى إفاقة مَن به سكرانِ

فصاحبه أحقّ بأن يشبه بعابد الوثن والعاكفين على التماثيل يعملونها[4] على صورة آدمي.

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [سورة يوسف: ٣٠] أي: شغفها حبه، أي: وصل حبُّه إلى شغاف القلب، وهي جلدة في داخله، فهذا يكون قد اتخذ نداً يحبّه كحبّ الله.

وإذا كان الشيطان يريد أن يوقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدّهم عن ذكر الله وعن الصلاة، فالعداوة والبغضاء التي يريد أن يوقعها بالعشق، وصدّه عن ذكر الله وعن الصلاة بذلك أضعاف غيره، كما قد تكلّمنا عليه في غير هذا الموضع، وبيّنا أنّ جميع المعاصي يجتمع فيها هذان الوصفان، وأنّ ذكر ذلك في الخمر والميسر اللذين هما من أواخر المحرمات ـ ينبّه على ما في غيرهما من ذلك مما حُرِّم / قبلهما: كقتل النفوس بغير حق، والفواحش، ونحو ذلك. ظ ١٦٦

(١) في الأصل: الحامق.
(٢) وهو صاحب كتاب «مكارم الأخلاق»، «ومساوئ الأخلاق» الإمام الخرائطي.
(٣) انظر ذم الهوى ص٣١٧.
(٤) في الأصل: يعملونه.

ومما يبين هذا أنّ الفواحش التي أصلها المحبة لغير الله، سواء كان المطلوب المشاهدة أو المباشرة أو الإنزال أو غير ذلك، هي في المشركين أكثر منها في المخلصين، ويوجد فيهم ما لا يوجد في المخلصين لله.

قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٢٨) قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ [سورة الأعراف: ٢٧ ـ ٣٠].

فأخبر سبحانه أنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون، وهو قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [سورة الكهف: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ (١٠٠)﴾ [سورة النحل: ١٠٠].

وإذا كان سلطانه على أوليائه الذين تولّوه والذين هم به مشركون، وهم الذين لا يؤمنون بالله ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ (٤٢)﴾ [سورة الحجر: ٤٢] ـ فيكون هؤلاء هم الغاوين، وهم الذين قال الشيطان: لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين.

ولهذا أخبر سبحانه عن أوليائه أنهم ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٢٨)﴾ [سورة الأعراف: ٢٨].

فأخبر عن أولياء الشيطان، وهم الذين يتولونه، والذين هم به مشركون: أنهم إذا فعلوا فاحشة احتجوا بالتقليد لأسلافهم، وزعموا مع

ذلك أنّ الله أمرهم [بها][1]، فيتّبعون الظن - في قولهم: إنّ الله أمرهم بها - وما تهوى الأنفس في تقليد أسلافهم واتباعهم.

وهذا الوصف فيه بسط كثير لكثير من المنتسبين إلى القبلة من الصوفية والعبَّاد، والأمراء والأجناد، والمتكلّمة والمتفلسفة، والعامة وغيرهم، يستحلُّون من الفواحش ما حرَّمه الله ورسوله، وأصله العشق الذي يبغضه الله.

ص ١٦٧ / وكثير منهم يجعل ذلك ديناً، ويرى أنه يتقرّب بذلك إلى الله، إما لزعمه أنه يزكّي النفس ويهديها، وإما لزعمه أنه يجمع بذلك قلبه على آدمي، ثم ينتقل إلى عبادة الله وحده، وإما لزعمه أنّ الصور الجميلة مظاهر الحق ومشاهده، وربما اعتقد حلول الرب فيها واتحاده بها، ومنهم مَنْ يخصّ ذلك بها، ومنهم مَنْ يقول بإطلاق. وهؤلاء إذا فعلوا فاحشة قالوا: وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها.

وكلّ هؤلاء فيهم من الإشراك بقدر ذلك، ولهذا يظهر الافتتان بالصور وعشقها فيمن فيهم شرك: كالنصارى والرهبان والمتشبهين بهم من هذه الأمة: من كثير من المتفلسفة والمتصوفة الذين يفتنون بالأحداث وغيرهم، فتجد فيهم قسطاً عظيماً من اتخاذ الأنداد من دون الله، يحبّونهم كحبّ الله، إما تديّناً، وإما شهوة، وإما جمعاً بين الأمرين. ولهذا تجد بين أغنيائهم وفقرائهم، وبين ملوكهم وأمرائهم تحالفاً على اتخاذ أنداد[2] من دون الله من هذين الوجهين.

ولهذا تجدهم كثيراً ما يجتمعون على سماع الشعر والأصوات التي تهيج الحبّ المشترك: الذي يجتمع فيه محبّ الرحمٰن، ومحبّ الأوثان، ومحبّ الصلبان، ومحبّ الإخوان، ومحبّ الأوطان، ومحبّ المردان، ومحبّ النسوان.

---

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

(٢) في الأصل: أنداداً. وهو خطأ.

وهذا السماع هو سماع المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [سورة الأنفال: ٣٥].

وسبب ما ذكرنا أنّ الله خلق عباده لعبادته التي تجمع محبته وتعظيمه، فإذا كان في القلب ما يجد حلاوته من الإيمان بالله والتوحيد له، احتاج إلى أن يستبدل بذلك ما يهواه، فيتّخذ إلٰهه هواه فيتّخذ الشيطان وذريته أولياء من دون الله، وهم لهم عدو، بئس للظالمين بدلاً.

ولهذا كان هذا ونحوه من تبديل الدين، وتغيير فطرة الله التي فطر الناس عليها. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [سورة الروم: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء: ١١٦ ـ ١١٩].

قال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الروم: ٣٠]. ونفس ما خلقه الله لا تبديل له: لا يمكن أن توجد المخلوقات على غير ما يخلقه الله عليها[١]، ولا أن تخلق على غير الفطرة التي خلقها[٢] الله عليها، لكن بعض الخلق قد يغيّر بعضها، كما قال النبي ﷺ: «**كلّ مولود يولد على الفطرة / فأبواه يهوّدانه وينصرّانه ويمجّسانه، كما تُنتج البهيمة [بهيمة]**[٣] **جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**»[٤]. ظ ١٦٧

(١) في الأصل: عليه.

(٢) في الأصل: خلقهم.

(٣) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

(٤) سبق تخريجه.

ومما يبيّن ذلك أنّ أصل العبادة هي المحبة، وأنّ الشرك فيها أصل الشرك، كما ذكره الله في قصة إمام الحنفاء إبراهيم الخليل، حيث قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الأنعام: ٧٦].

وقال في القمر: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٧] فلما أفلت الشمس قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ٧٨ ـ ٧٩].

ولهذا تبرأ إبراهيم من المشركين وممن أشركوا[1] بالله، قال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٧٧].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة: ٤].

ومما يوضح ذلك أنه قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [سورة البقرة: ١٩٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الأنفال: ٣٩] فأمر بالجهاد حتى لا تكون فتنة وحتى يكون الدين كلّه لله، فجعل المقصود عدم كون الفتنة، ووجود كون الدين كلّه لله، وناقض بينهما، فكون الفتنة ينافي كون الدين لله، وكون الدين لله ينافي كون الفتنة. والفتنة قد فُسِّرت بالشرك، فما حصلت به فتنة القلوب

(١) في الأصل: أشركوه. وهو تحريف.

ففيه شرك، وهو ينافي كون الدين كلّه لله.

والفتنة جنس تحته أنواع من الشبهات والشهوات، وفتنة الذين يتّخذون من دون الله أنداداً يحبّونهم كحبّ الله من أعظم الفتن. ومنه فتنة أصحاب العجل، كما قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة طه: ٨٥].

قال موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ٩٣].

قيل لسفيان بن عيينة: إنّ أهل الأهواء يحبون ما ابتدعوه من أهوائهم حباً شديداً، فقال: أنسيت قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ٩٣] أو كلاماً هذا معناه.

وكلّ ما أُحِب لغير الله فقد يحصل به من الفتنة ما يمنع / أن يكون الدين لله. ص ١٦٨

وعشق الصور من أعظم الفتن، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [سورة التغابن: ١٥]. ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

وقد قال سبحانه: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [سورة النعكبوت: ١ ـ ٣].

ومما يبيّن ذلك أنّ رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت.

فقال: «أجعلتني لله نداً؟!! بل ما شاء الله وحده»[1].

---

(١) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٩٨٧ مكرر) ص٥٤٥.
من طريق القاسم بن مالك، عن الأجلح، عن أبي الزبير، عن جابر به.
قلت؛ سنده ضعيف، فيه:
١ ـ الأحلج بن عبد الله الكندي: قال أبو حاتم: ليس بالقوي، يكتب حديثه، ولا يحتج به.
وقال النسائي: ضعيف، ليس بذاك. له رأي سوء.
وقال الجوزجاني: مفتري.
وقال أحمد: أجلح ومجالد متقاربان في الحديث. وقد روى الأجلح غير حديث منكر.
وقال أبو داود: ضعيف.
وقال العقيلي: روى عن الشعبي أحاديث مضطربة.
أما ابن معين فقال: صالح. وكذا وثقه العجلي.
وقال ابن عدي: له أحاديث صالحة، ولم أر له حديثاً منكراً مجاوزاً للحد، لا إسناداً ولا متناً، إلاّ أنه يعدّ في شيعة الكوفة، وهوعندي مستقيم الحديث، صدوق. انظر التهذيب ١/١٨٩، والتقريب ١/٤٩.
وقال الحافظ في التقريب ١/٤٩: «صدوق» اهـ.
٢ ـ خالف القاسمُ جماعة من الثقات:
عيسى بن يونس، وهشيماً، وأبا معاوية، والثوري، ويحيى القطان، وشيبان النحوي، والمحاربي، وعلياً بن مسهر، وجعفر بن عون: كلهم رووه عن الأجلح، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس به:
رواه النسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٩٨٨) ص٥٤٥ ـ ٥٤٦ من طريق عيسى بن يونس.
وابن ماجه، حديث رقم (٢١١٧) من طريق عيسى بن يونس.
وأحمد في المسند ١/٢١٤ من طريق هشيم.
و ١/٢٢٤ من طريق أبي معاوية.
و١/٢٨٣ من طريق سفيان.
و١/٣٤٧ من طريق يحيى.
والبخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٧٨٣) ص٢٧٤ من طريق سفيان.
وابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٦٦٧) ص٢٣٥ من طريق الثوري.
والطحاوي في شرح مشكل الآثار، حديث رقم (٢٣٥) ١/٢١٨ من طريق شيبان النحوي.
=

فأنكر عليه أن جعله نداً لله في هذه الكلمة التي جمع فيها بينه وبين الله في المشيئة، إذ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، فلا يكون شريكه، لما يُعلم أن كون الشيء نداً لله قد يكون بدون أن يُعبد العبادة التامة، فإنّ ذلك الرجل ما كان يعبد رسول الله تلك[1] العبادة.



= وابن أبي الدنيا في الصمت، حديث رقم (٣٤٢) ص١٩٢ ـ ١٩٣ من طريق المحاربي.
وتمام في فوائده، حديث رقم (٣٧) ١/١٠٢ من طريق سفيان.
وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٦٦٩١) ٥/٣٤٠ من طريق علي بن مسهر.
وأبو نعيم في الحلية ٤/٩٩ من طرق سفيان، وعلي بن مسهر.
والخطيب في تاريخ بغداد ٨/١٠٤ ـ ١٠٥ من طريق سفيان.
والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (١٣٠٠٥ من طريق سفيان ـ ١٣٠٠٦ من طريق علي بن مسهر) ١٢/٢٤٤.
وابن عدي في الكامل ١/٤٢٩ من طريق سفيان.
والبيهقي في سننه ٣/٢١٧ من طريق جعفر بن عون.
وفي الأسماء والصفات ١/٢٣٧ ـ ٢٣٨ من طريق جعفر بن عون.
وروايتهم أولى بالصواب، إلاّ أن فيه الأجلح، وقد سبق ذكر أقوال العلماء فيه.
ولقد صححه شيخنا في صحيحته ١/٢١٦ ـ ٢١٧. والله تعالى أعلم بالصواب.

(١) في الأصل: ذلك.

فصل

[محبة الله توجب المجاهدة في سبيله]

وبهذا يتبيّن أنّ محبة الله توجب المجاهدة في سبيله قطعاً، فإنّ مَنْ أحب الله وأحبه الله أحب ما يحبه الله، وأبغض ما يبغضه الله، ووالى مَنْ يواليه الله، وعادى من يعاديه الله. لا تكون[1] محبة قطّ إلاّ وفيها[2] ذلك بحسب قوتها وضعفها، فإنّ المحبة توجب الدنو من المحبوب ومحابّه، والبعد عن مكروهاته، ومتى كان مع المحبة نبذ[3] ما يبغضه المحبوب فإنها تكون تامة.

وأما موادّة عدوه فإنها تنافي المحبة، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]، فأخبر أنّ المؤمن ـ الذي لا بدّ أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، كما في الحديث المتفق عليه: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى**

---

(١) في الأصل: يكون.

(٢) في الأصل: وفيه.

(٣) نبذ: ليست واضحة بالأصل، وكذا استظهرتها.

أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[١] ـ لا تجده[٢] موادّاً لمن حادّ اللَّهَ ورسولَه، فإنّ هذا جمع بين الضدّين لا يجتمعان. ومحبوب الله ومحبوب معاديه لا يجتمعان.

فالمحبّ له[٣] لو كان موادّاً لمحادّه لكان محباً لاجتماع مراد المتحادّين المتعاديين وذلك ممتنع، ولهذا لم تصلح هذه الحالة إلاّ لله ورسوله، فإنه يجب على العبد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ولا يكون مؤمناً إلاّ بذلك. ولا تكون هذه المحبة مع محبة من يحاد الله ورسوله ويعاديه أبداً، **فلا ولاء لله إلاّ بالبراءة من عدو الله ورسوله.**

وأما المؤمنون الذين قد يقاتل بعضهم بعضاً، فأولئك ليسوا متحادّين من كلّ وجه، فإنّ مع كلّ منهما من الإيمان ما يحب عليه الآخر، وإن كان يبغضه أيضاً، فيجتمع فيهما المحبة والبغضة، وكذلك كلّ منهما / لا يجب أن تكون جميع أفعاله موافقة لمحبة [الله][٤] ظ ١٦٨ وجميع أفعال الآخر موافقة لبغض الله، بل لا بد أن يفعل أحدهما ما لا يحبه الله وإن لم يبغضه، ولا بد أن يكون في الآخر ـ أيضاً ـ ما يحبه الله إذ هو مؤمن، فيجب أن يعطى كلّ واحد من المحبة بقدر إيمانه، ولا يجب أن يحبّ من أحدهما ما لا يحبه وإن كان لا يبغضه بل ولا يحب [من] واحدهما[٥] ما كان خطأً أو ذنباً مغفوراً، وإن كان لا يبغض على ذلك، فلا يحب إلاّ ما أحبّه الله ورسوله، فيحبّ ما كان من اجتهاده من عمل صالح.

وهذا الذي ذكرناه أمر يجده الإنسان من نفسه ويحسّه: أنه إذا

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) في الأصل: لا يجد. ولعل الصواب ما أثبته.
(٣) في الأصل: فالحب له. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.
(٤) ما بين القوسين زيادة على الأصل.
(٥) في الأصل: بل ولا يحبه واحدهما. ولعل الصواب ما أثبته.

أحب الشيء لم يحبّ ضدّه، بل يبغضه. فلا يتصوّر اجتماع إرادتين تامّتين للضدين، لكن قد يكون في القلب نوع محبة وإرادة لشيء، ونوع محبة وإرادة لضدّه، فهذا كثير[1]، بل هو غالب على بني آدم، لكن لا يكون واحد[2] منهما تاماً، فإنّ المحبة والإرادة التامّة توجب[3] وجود المحبوب المراد مع القدرة، فإذا كانت القدرة حاصلة ولم يوجد المحبوب المراد لم يكن الحب والإرادة تامة. وكذلك البغض التام يمنع وجود البغيض مع القدرة، فمتى[4] وجد مع إمكان الامتناع لم يكن البغض تاماً.

ومن هنا يعرف أنّ قول النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[5] على بابه: لو كان بغضه لما أبغضه الله من هذه الأفعال تاماً لما فعلها. فإذا فعلها فإمّا أن يكون تصديقه بأنّ الله يبغضها فيه ضعف، أو نفس بغضه لما يبغضه الله فيه ضعف، وكلاهما يمنع تمام الإيمان الواجب.

ومحبة الله ورسوله على درجتين:

واجبة: وهي درجة المقتصدين.

ومستحبة: وهي درجة السابقين.

فالأولى تقتضي أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، بحيث لا يحب شيئاً يبغضه، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]، وذلك يقتضي محبة جميع ما أوجبه الله تعالى، وبغض ما

---

(١) في الأصل: كثيراً، وهو خطأ.

(٢) في الأصل: واحداً.

(٣) في الأصل: توجد.

(٤) في الأصل: فمن.

(٥) سبق تخريجه.

حرَّمه الله تعالى، وذلك واجب، فإنّ إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضي وجود ما أوجبه[1]، [كما تقتضي عدم الأشياء التي نهى الله عنها][2]، وذلك مستلزم لبغضها التام.

فيجب على كلّ مؤمن أن يحبّ ما أحبّه[3] الله، ويبغض ما أبغضه الله. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة محمد: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [سورة التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ [الرعد: ٣٦].،

وأما محبة السابقين بأن يحبّ ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة. وهذه حال المقرَّبين الذين قرَّبهم الله إليه. فإذا كانت محبة الله ورسوله الواجبة تقتضي بغض ما أبغضه الله ورسوله، كما في سائر أنواع المحبة، فإنها توجب بغض الضد، **عُلم أنّ الجهاد من موجب محبة الله ورسوله، فإنّ مقصود الجهاد تحصيل[4] ما أحبه الله، ودفع ما أبغضه الله.**

فمن لم يكن فيه داع إلى الجهاد، فلم يأتِ بالمحبة الواجبة قطعاً، كان فيه نفاق[5]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

---

(١) في الأصل: ما واجبه.
(٢) ما بين القوسين زيادة على الأصل.
(٣) في الأصل: ما أوجبه. ولعل الصواب ما أثبته.
(٤) في الأصل: يحصل.
(٥) في الأصل: فيكن فيه نفاقاً.

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من [مات] ولم يغز**[1] **ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق**»[2].

وكذلك جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٩ ـ ٢٢].

فقرنه بالمحبة في الآيتين من قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ﴾ [التوبة: ٢٤].

وفي قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المائدة: ٥٤].

فأخبر أنّ القوم الذين يحبّهم الله ورسوله هم أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]، فوصفهم بالذلة والرحمة لأوليائه[3] إخوانهم،

---

(١) في الأصل: لفظ الحديث: من لم يغز. والمثبت من المصادر المخرجة للحديث.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم(١٩١٠) ٣/١٥١٧.
وأبو داود، حديث رقم (٢٥٠٢) ٣/١٠.
والنسائي ٦/٨.
وأحمد في المسند ٢/٣٧٤.

(٣) في الأصل: لأولياة. وهو تحريف.

والعزة والشدة على أعدائه أعدائهم، وأنهم يجاهدون في سبيل الله.

والجهاد من الجُهد وهو الطاقة، وهو أعظم من الجَهد الذي هو المشقة، فإنّ الضم أقوى من الفتح، وكلما كانت الحروف أو الحركات أقوى كان المعنى أقوى.

ولهذا كان الجُرح أقوى من الجَرح، / فإنْ الجُرْح هو المجروح نفسه، وهو غير[1] الجَرْح، مصدر، وهو فعل. ظ ١٦٩

وكذلك الكُره، والمكروه، والمكره، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥].

فالجُهد: نهاية الطاقة والقدرة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٧٩].

وفي الحديث: «**أفضل الصدقة جُهد من مُقل يُسرّه إلى فقير**»[2]. ولهذا قال النبي ﷺ: «**الجهاد سنام العمل**»[3]، فإنه أعلى الإرادات في

---

(١) في الأصل: عين.

(٢) جزء من حديث طويل رواه النسائي في سننه، في كتاب الاستعاذة، باب (٤٨) الاستعاذة من شر شياطين الإنس، ٨/ ٢٧٥ مختصراً.
وأحمد في المسند ٥/١٧٨ ـ ١٧٩.
والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٤٧٨) ص٦٥.
والبيهقي في الشعب ٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.
قلت: سنده ضعيف، فيه.
١ ـ عبيد بن الخشخاش: ضعّفه الدارقطني.
٢ ـ قال البخاري: لم يذكر ـ عبيد ـ سماعاً من أبي ذر.
انظر تهذيب التهذيب ٧/ ٦٤ ـ ٦٥، والتقريب ١/ ٥٤٣، وتهذيب الكمال ٢/ ٨٩٣.
٣ ـ أبو عمر الشامي: ضعيف. انظر الجرح ٩/ ٤٠٧، والتقريب ٢/ ٤٥٤.
ولبعضه شواهد. انظر تخريجنا لسنن ابن ماجه برقم (٣٨٢٥).

(٣) رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب (٢٢) ما جاء أي العمل أفضل، حديث رقم (١٦٥٨) ٤/ ١٨٥. =

نهاية القدرة، وهذا هو أعلى ما يكون من الإيمان، كالسنام الذي هو أعلى ما في البعير، وقد يكون بمشقة، وقد لا يكون.

وأما الجَهد فهو المشقة، وإن لم يكن تمام القدرة.

فالجهاد في سبيل الله تعالى من الجُهد، وهي المغالبة [في سبيل] الله[1] بكمال القدرة والطاقة، فيتضمن شيئين:

أحدهما: استفراغ الوسع والطاقة.

والثاني: أن يكون ذلك في تحصيل محبوبات الله ودفع مكروهاته، والقدرة والإرادة بهما يتم الأمر.

وهنا[2] انقسم الناس أربعة أقسام: فقوم لهم قدرة، ولهم إرادة ومحبة غير مأمور بها، فهم يجاهدون، ويستعملون جهدهم وطاقتهم، لكن لا في سبيل الله، بل في سبيل آخر: إما محرمة، كالفواحش ما ظهر منها وبطن، والإثم والبغي بغير الحق، والإشراك بالله ما لم ينزل به سلطاناً، والقول على الله بغير علم الحق.

وإما في سبيل لا ينفع عند الله، مما جنسه مباح، لا ثواب فيه، لكن الغالب [أنّ][3] مثل هذا كثيراً ما يقترن[4] به من الشُّبه ما يجعله

= وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٧.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٤٥٩٨) ١٠/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩.

ومحمد بن عمرو: صدوق، له أوهام، انظر التقريب ٢/ ١٩٦، والكاشف ٣/ ٧٥، والتهذيب ٩/ ٣٧٥ ـ ٣٧٧.

والثقات رووه بدون قوله: سنام العمل.

وأصله عند البخاري (٢٦ ـ ١٥١٩)، ومسلم (٨٣)، والنسائي ٥/ ١١٣ و٦/ ١٩، و٨/ ٩٣.

والبيهقي ٥/ ٢٦٢، و٩/ ١٥٧، والبغوي (١٨٤٠).

(١) وهي الغالبة لله، ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: هنا.

(٣) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

(٤) في الأصل: يفترون. وهو تحريف.

في سبيل الله أو في سبيل الشيطان.

وقوم لهم إرادة صالحة، ومحبة كاملة الله، ولهم ـ أيضاً ـ قدرة كاملة، فهؤلاء سادة المحبين المحبوبين، المجاهدين في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم، كالسابقين[1] الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم القيامة.

والقسم الثالث: قوم فيهم إرادة صالحة، ومحبة لله قوية تامة، لكن قدرتهم ناقصة، فهم يأتون بمحبوبات الحق من مقدورهم ولا يتركون مما يقوون عليه شيئاً[2]، لكن قدرتهم قاصرة، ومحبّتهم[3] كاملة، فهو مع القسم الذي قبله.

وما زال في المؤمنين على عهد النبي ﷺ وبعده من هؤلاء خلق كثير. وفي مثل هؤلاء قال النبي ﷺ: «**إنّ بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا سلكتم وادياً إلاّ كانوا معكم**».

قالوا: وهم بالمدينة؟

قال: «**وهم بالمدينة، حبسهم العذر**»[4].

---

(١) في الأصل: فالسابقين. ولعل الصواب ما أثبته..

(٢)(٣) في الأصل: ولا يأتون يتركون ما يقوون عليه شيئاً، لكن قلوبهم قاصرة، ومحبة كاملة، ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب من حبسه العذر عن الغزو، حديث رقم (٢٨٣٨ ـ ٢٨٣٩) ٦/٤٦ ـ ٤٧.
وفي كتاب المغازي، باب (٨١)، حديث رقم (٤٤٢٣).
وأبو داود في كتاب الجهاد، باب في الرخصة في القعود من العذر، حديث رقم (٢٥٠٨).
وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب من حبسه العذر عن الجهاد، حديث رقم (٢٧٦٤).
وأحمد في المسند ٣/١٠٣.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٤٧٣١) ١١/٣٣.
والبيهقي في سننه ٩/٢٤.

وقال له سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم يسهم له مثلما يسهم لأضعفهم؟

فقال: «**يا سعد وهل تنصرون إلا بضعفائكم؟ بدعائهم وصلواتهم واستغفارهم**»[1].

ص ١٧٠ وروي أنّ النبي ﷺ كان يستفتح / بصعاليك المهاجرين، وقال: «**رب أشعث أغبر، ذي طمرين، مدفوع بالأبواب، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرّه**»[2] وهذا كثير.

والقسم الرابع: مَنْ قدرته قاصرة وإرادته للحق قاصرة، وفيه من إرادة الباطل ما الله به عليم، فهؤلاء ضعفاء المجرمين، ولكن قد يكون لهم من التأثير بقلوبهم نصيب وحظ مع أهل باطلهم، كما يوجد في العلماء والعبّاد والزاهدين من المشركين وأهل الكتاب[3] ومنافقي هذه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب من استعان بالضعفاء، والصالحين في الحرب، حديث رقم (٢٨٩) ٦/٨٨.
والنسائي في كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف، ٦/٤٥.
وأبو نعيم في الحلية ٥/١٠ ـ ٢٦ و٨/٢٩٠.
والبيهقي في سننه ٣/٣٤٥.
والدورقي في مسند سعد، حديث رقم (٥١) ص١٠٥.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٤٠٦١) ١٤/٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب (٤٠) فضل الضعفاء والخاملين، حديث رقم (٢٦٢٢) ٤/٢٠٢٤.
وكتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب (١٣) النار يدخلها الجبارون، حديث رقم (٢٨٥٤) ٤/٢١٩١.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦٤٨٣) ١٤/٤٠٣.
والحاكم في المستدرك ٤/٣٢٨.
والطحاوي في المشكل ١/٢٩٢.
والبغوي في شرح السنة (٤٠٦٩).

(٣) في الأصل: الكتب.

الأمة ما فيه مضاهاة لعلماء المؤمنين وعُبَّادهم[١]، وذلك أنّ الشيطان جعل [لكلّ] شيء[٢] من الخلق نظيراً في الباطل، فإنّ أصل الشرّ هو الإشراك بالله، كما أنّ أصل الخير هو الإخلاص لله.

فإنّ الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا يشركوا به شيئاً، وبذلك أرسل الرسل، وبه أنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل، فالعابد محب خاضع، بخلاف مَنْ يحب مَنْ لا يخضع له، بل يحبه ليتوسل به إلى محبوب آخر؛ وبخلاف مَنْ يخضع لمن لا يحبه، كما يخضع للظالم، فإنّ كُلًّا من هذين ليس عبادة محضة. وإنّ كلّ محبوب لغير الله، ومعظم لغير الله، ففيه شوب من العبادة، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**تعس عبدالدرهم، تعس عبدالدينار، تعس عبدالقطيفة، تعس عبدالخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»[٣].

وذلك كما جاء في الحديث: «**إن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل**»[٤] مع أنه ليس في الأمم أعظم تحقيقاً للتوحيد من هذه الأمة، ولهذا كان شدَّاد بن أَوْس يقول: يا نعايا العرب، يا نعايا العرب، إنّ أخوف ما أخوف عليكم الرياء والشهوة الخفية».

قال أبو داود: الشهوة الخفية: حب الرياسة.

وفي حديث الترمذي، عن كعب بن مالك أنّ النبي ﷺ قال: «**ما**

---

(١) في الأصل: وعبادتهم. وهو تحريف.

(٢) في الأصل: لشيء. ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[1] قال الترمذي: حديث حسن صحيح. والحرص يكون على [قدر][2] قوة الحب والبغض.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يوسف: ١٠٦].

وروي أنّ أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال للنبي ﷺ: إذا كان الشرك أخفى من دبيب النمل فكيف نتجنبه؟ فقال النبي ﷺ: «**ألا أعلمك/ كلمة إذا قلتها نجوت من قليله وكثيره، قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، واستغفرك لما لا أعلم**»[3]. فأمره مع الاستعاذة من الشرك المعلوم بالاستغفار، فإنّ الاستغفار والتوحيد بهما يكمل الدين.

ظ ١٧٠

كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب (٤٣) حديث رقم (٢٣٧٦) ٤/ ٥٨٨.
وأحمد في المسند ٣/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧ ـ ٤٦٠.
والنسائي في الرقاق، كما في التحفة ٨٧/ ٤١٦.
والدارمي في سننه، في كتاب الرقاق، باب (٢١) ما ذئبان جائعان، حديث رقم (٢٧٣٠) ٢/ ٣٩٤.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣٢٢٨) ٨/ ٢٤.
وابن المبارك (زيادات نعيم ص٥٠) (١٨١).
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٤٠٥٤) ١٤/ ٢٥٨.
والبخاري في التاريخ ١/ ١/ ١٥٠.
وابن أبي الدنيا في إصلاح المال، حديث رقم (١٤) ص١٤٥ ـ ١٤٦ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.
وسنده صحيح. وفي الباب عن ابن عمر، وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم.
(٢) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.
(٣) سبق تخريجه.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [سورة محمد: ١٩]. وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [سورة هود: ١ ـ ٣].

وفي الحديث: **«إنّ الشيطان قال: أهلكت بني آدم بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا والله والاستغفار، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يستغفرون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً»**[1] وهذا كذلك، فإنّ من اتخذ إلٰهه هواه صار يعبد ما يهواه، وقد زُيِّن له سوء عمله فرآه حسناً.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الكهف: ١٠٢ ـ ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم (١٣٦) ١/ ١٢٣ ـ ١٢٤.
وابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (٧) ١/ ٩.
قلت: سنده واه بمرة، فيه:
١ ـ عبد الغفور بن عبد العزيز الواسطي: متروك. انظر الكامل ٥/ ٣٢٩.
٢ ـ عثمان بن مطر: ضعيف. انظر الكامل ٥/ ١٦٣ ـ ١٦٤.
٣ ـ أبو رجاء: مجهول، كما في التقريب ٢/ ٤٢١.

دِينُهُمْۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٨ ـ ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

وكمال الدين هو أداء الواجبات وترك المحرَّمات، والفعل والترك أصلهما الحب والبغض، فإذا ترك مأموراً أو فعل محظوراً[١]، فإنما هو لنقص الإيمان الذي هو التصديق، وحبّ ما يحبّه الله وبغض ما يبغضه الله.

والمحبوبات على قسمين:

قسم يُحب لنفسه.

وقسم يُحب لغيره: إذ لا بد من محبوب يحبُّ[٢] لنفسه، وليس شيء شُرع أن يحبّ لذاته إلاّ الله تعالى، وكذلك التعظيم[٣]، تارة يعظم الشيء لنفسه، وتارة يعظم لغيره، وليس شيء يستحق التعظيم [لذاته][٤] إلاّ الله تعالى.

وكلّ ما أمر الله أن يُحبّ ويُعظم فإنما محبته لله وتعظيمه عبادة لله، فالله هو المحبوب المعظَّم في المحبة والتعظيم، المقصود المستقر الذي إليه المنتهى. وأما ما سوى ذلك فيحبّ لأجل الله، أي: لأجل محبة العبد لله: يحبّ ما أحبه الله، فمن تمام محبة الشيء محبة محبوب المحبوب، وبغض بغيضه، ويشهد لهذا الحديث: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله**»[٥].

---

(١) في الأصل: فعلاً محصوراً. وهو تحريف.
(٢) في الأصل: يحبه. وهو تحريف.
(٣) في الأصل: وكذلك التعظيم لذاته ولعل ما أثبتناه هو الصواب.
(٤) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.
(٥) سبق تخريجه.

وفي السنن: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»[1].

فمن أحبّ شيئاً لذاته / أو عظَّمه لذاته غير الله فذاك شرك به، ص ١٧١ وإن أحبه ليتوصّل به إلى محبوب آخر وتعظيم آخر سوى الله فهو من فروع هذا. والله سبحانه لم يشرع أن يعبد [الإنسان][2] شيئاً من دونه، أو يتخذ إلٰهاً ليتوصل بعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران: ١٥١].

فمن أحبّ شيئاً كما يحبّ الله، أو عظَّمه كما يعظّم الله فقد جعله لله نداً، وإن كان [يقول:][3] إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، وإنهم شفعاؤنا عند الله.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

أي: يحبونهم كما يحبّون الله، والذين آمنوا أشد حباً لله منهم؛ لأنهم أخلصوا لله، فلم يجعلوا المحبة مشتركة بينه وبين غيره، فإنّ الإشراك فيها يوجب[4] نقصها، والله لا يتقبّل ذلك، كما في الحديث الصحيح: «**يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو كلّه للذي أشرك**»[5].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

(٣) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

(٤) في الأصل: توجب.

(٥) رواه مسلم في كتاب الزهد، باب (٥) من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم (٢٩٨٥) ٤/٢٢٨٩. =

فالمؤمن ـ الذي يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ـ، لا بدّ أن يكون ما أحبه الله ورسوله أحب إليه مما لم يحبه الله ورسوله، وأن يبغض ما يبغضه الله ورسوله، فلا يكون ذلك البغيض أحب إليه من محبوب الله ورسوله.

والحب التامّ منّا مستلزم للإرادة التامة الموجبة للفعل مع القدرة، والبغض التام منا مستلزم للكراهة التامة المانعة للقدرة. فإن كان العبد قادراً على محبات الحق ولا يفعلها فلضعف محبتها في قلبه، أو وجود ما يعارض الحق، مثل محبته لأهله وماله، فإنّ ذلك قد يمنعه عن فعل محبوب الحق.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**(١).

وقال له عمر: والله يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كلّ شيء إلاّ من نفسي.

= وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (٢١) الرياء والسمعة، حديث رقم (٤٢٠٢) بتحقيقي.
وأحمد في المسند ٢/ ٣٠١ ـ ٤٣٥.
وفي الزهد، حديث رقم (٢٤٣) ص٧٦.
والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢٥٥٩) ص ٣٣٣.
والأصبهاني في طبقات المحدثين ٤/ ٢٧٥.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣٩٥) ٢/ ١٢٠ ـ ١٢١.
وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم (٩٣٨) ١/ ٦٧ ـ ٦٨.
وابن طهمان في مشيخته ص١٥٧.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٤١٣٦ ـ ٤١٣٧) ١٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

(١) سبق تخريجه.

فقال: **«لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك»**.

قال: فأنت أحب إليَّ من نفسي.

قال **«الآن يا عمر»[1] وهذان الحديثان في الصحيح.**

فإنْ كانت واجبات نقص من درجة[2] المقتصدين من أصحاب اليمين حتى يتوب أو يمحوها بشيء آخر، وإن كانت نوافل - فإنها[3] من القُرَب - بحسب ذلك. وإذا فعل مكروهات الحق فلضعف بعضها في قلبه، أو لقوة محبتها التي تغلب بعضها. **فالإنسان لا يأتي شيئاً من المحرَّمات - كالفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق، والشرك بالله ما لم ينزل به سلطاناً، والقول على الله بغير علم - إلاّ لضعف الإيمان في أصله أو كماله، أو ضعف / العلم والتصديق، وإما ضعف المحبة والبغض.** ظ ١٧١

لكن إذا كان أصل الإيمان صحيحاً، وهو التصديق، فإنّ هذه المحرمات [يفعلها المؤمن مع كراهته] وبغضه لها[4]، فهو إذا فعلها لغلبة الشهوة عليه، فلا بد أن يكون مع فعلها فيه بغض لها، وفيه خوف من عقاب الله عليها، وفيه رجاء لأن يخلص من عقابها، إما بتوبة، وإما حسنات، وإما عفو، وإما دون ذلك، وإلاّ فإذا لم يبغضها، ولم يخف الله فيها، ولم يرج رحمته، فهذا لا يكون مؤمناً بحال، بل [هو][5] كافر أو منافق.

فكلّ سيئة يفعلها المؤمن لا بدّ أن تقترن بها حسنات له، لكن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في الأصل: من حد. ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل: يانه.

(٤) في الأصل جاءت هذه العبارات محرفة هكذا: لكن إذا كان إيمانكم صحيحاً وهو تصديقه. فإنّ هذه المحرمات وبغضه لها.
ولعل ما أثبته يستقيم به الكلام.

(٥) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

قوة شهوته للسيئة وما زُيِّن له فيها، حتى ظنّ أنها مصلحة له، أوجب وقوعها، وهو اتبّاع الظنّ وما تهوى الأنفس، وهذا القدر عَارَض بعض إيمانه فترجَّح عليه، حتى ما هو ضدّ لبعض الإيمان، فلم يبق مؤمناً الإيمان الواجب. كما قال النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[1]، وهو فيما يفعله متّبع للشيطان فيما زيَّنه له حتى رآه حسناً، وفيما أمره به فأطاعه، وهذا من الشرك بالشيطان، كما قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [سورة الكهف: **٥٠**].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦١].

ولهذا لم يخلص من الشيطان إلاّ المخلصون لله، كما قال تعالى عن إبليس: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: **٣٩ ـ ٤٠**]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: **٤٢**].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: **٩٩ ـ ١٠٠**].

فإذا كان الشيطان ليس له سلطان إلاّ على مَنْ أشرك به، فكلّ مَنْ أطاع الشيطان في معصية الله فقد تسلّط الشيطان عليه، وصار فيه من الشرك بالشيطان بقدر ذلك.

والشيطان يوالي الإنسان بحسب عدم إيمانه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: **٢٧**].

---

(١) سبق تخريجه.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٨].

وقال تعالى في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

ويشهد لهذا ما ثبت في صحيح مسلم، عن جابر، عن النبي ﷺ: «**إنّ الشيطان ينتصب عرشه على البحر، ويبعث**[١] **سراياه**»[٢].

فجميع ما نهى الله عنه [هو][٣] من شعب الكفر وفروعه، كما أنّ كلّ ما أمر الله به هو من الإيمان والإخلاص / لدين الله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]. ص ١٧٢

لكن قد يكون ذلك شركاً أكبر، وقد يكون شركاً أصغر، بحسب ما يقترن[٤] به من الإيمان، فمتى اقترن بما نهى الله عنه الإيمان لتحريمه وبغضه وخوف العقاب ورجاء الرحمة لم يكن شركاً أكبر،

---

(١) في الأصل: ويبث.

(٢) رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب (١٦) تحريش الشيطان. حديث رقم (٢٨١٣) ٤/ ٢١٦٧.
وأحمد في المسند ٣/ ٣١٤ ـ ٣٣٢ ـ ٣٥٤ ـ ٣٦٨ ـ ٣٨٤.
والطحاوي في مشكل الآثار ٤/ ٩٦ ـ ٩٧.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦١٨٧) ١٤/ ٦٦ ـ ٦٧ مختصراً، وحديث رقم (٦٧٨٤) ١٥/ ١٨٧ ضمن قصة بان صياد.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٤٢٧٤).

(٣) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

(٤) في الأصل: ما يفترون. وهو تحريف.

وأما إن اتخذ [الإنسان ما يهواه][1] إلَـٰهاً من دون الله وأحبّه[2] كحبّ الله فهذا شرك أكبر، والدرجات في ذلك متفاوتة.

وكثير من الناس يكون معه من الإيمان بالله وتوحيده ما ينجيه من عذاب الله، وهو يقع في كثير من هذه الأنواع، ولا يعلم أنها شرك، بل لا يعلم أنّ الله حرَّمها، ولم تبلغه في ذلك رسالة من عند الله، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، فهؤلاء يكثرون جداً في الأمكنة والأزمنة التي تظهر فيها فترة الرسالة بقلة القائمين بحجة الله، فهؤلاء قد يكون معهم من الإيمان ما يُرحمون به، وقد لا يُعذَّبون بكثير مما يُعذَّب [به][3] غيرهم ممن كانت عليه حجة الرسالة.

فينبغي أن يعرف أنّ استحقاق العباد للعذاب بالشرك فما دونه مشروط ببلاغ الرسالة في أصل الدين وفروعه، ولهذا لما كثر الجهل وانتشر، زيَّن الشيطان لكثير من الناس أنواعاً من المحرمات ضاهوا بها الحلال، وقد لا يعلمون أنها محرَّمة بغيضة إلى الله، بل قد يظنون أنّ ذلك محبوب لله مأمور به، وقد يظنون أنّ فيها هذا وهذا، وهم في ذلك يتّبعون الظن وما تهوى الأنفس. وقد يعلمون تحريم ذلك، ويظهرون عدم الوجه المحرم خداعاً ونفاقاً. فهؤلاء غير المؤمن الذي يحب الله ورسوله ويأتي بالمحرم معتقداً أنه محرَّم، وهو مبغض له، خائف راج[4].

وهذه الأمور توجد في الأقسام الثلاثة. ونحن نذكر أمثلة ذلك في المحرَّمات التي ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ

---

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

(٢) في الأصل: وأحب.

(٣) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة ليستقيم الكلام.

(٤) في الأصل: يبغض له، خائف راجي.

﴿يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]
فالله سبحانه قد حرَّم الفواحش كما ذكر.

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٦]، فلم تُبح إلاّ المرأة التي هي زوج أو ملك يمين. وقد ذكر ما اشترطه في الحلال بقوله: ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥]، وقوله: ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

كما في الصحيح، عن عائشة، قالت: **كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء**[١]: وذكرت أصحاب الرايات، وهنّ المسافحات، وأنّ إلحاق النسب في وطئهنّ كان بالقافة[٢]، وذكرت التي يطأها جماعة محصورة[٣]، وأنّ الإلحاق كان بتعيين المرأة. وذكرت نكاح الاستبضاع[٤]، وهو غير[٥] نكاح ذوات الأخدان. وذكرت النكاح الرابع، وهو النكاح المعروف، الذي أحلّه الله[٦].

فالشيطان جعل من الحرام / ما فيه مضاهاة للحلال، وإن سُمِّيَ باسم آخر، لكن المعنى فيه اشتراك، فالله أباح للرجل امرأته ومملوكته[٧]، وكلّ من الرجل والمرأة زوج الآخر[٨]، فذوات الأخدان ظ ١٧٢

(١) رواه البخاري (٥١٢٧) ٩/ ١٨٢ ـ ١٨٣.
وأبو داود (٢٧٧٢) ٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢.
(٢) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/ ١٨٥: «القافة: جمع قائف ـ بقاف ثم فاء ـ وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية» اهـ.
(٣) في الأصل: محضورة. ولعل الصواب ما أثبته.
(٤) في الأصل: الاستمتاع. وهو تحريف.
(٥) في الأصل: وهي من.
(٦) انظر شرح هذا الحديث في فتح الباري ٩/ ١٨٤ ـ ١٨٦.
(٧) في الأصل: ومملوكيه.
(٨) في الأصل: آخر.

بينهنّ [وبين أخدانهنّ][1] نوع ازدواج واقتران كذلك، ولهذا ميّز الله بين هذا وهذا.

وأخفى[2] من ذلك مؤاخاة كثير من الرجال لكثير من النساء أو لكثير من الصبيان، وقولهم: إنّ هذه مؤاخاة لله إذا لم تكن[3] المؤاخاة على فعل الفاحشة كذوات الأخدان؛ فهذا الذي يظهرونه للناس الذين يوافقونهم ويقرّونهم على ذلك، ويرَوْن كلّهم أنّ مَنْ أحب صبياً ـ أو امرأة ـ لصورته وحسنه من غير فعل فاحشة، فإنّ هذا محبة لله.

فهذا من الضلال والغيّ وتبديل الدين، حيث جعل ما كرهه الله محبوباً لله، وهو نوع من الشرك، والمحبوب المعظّم بذلك طاغوت.

وذلك أنّ اعتقاد أنّ التمتع بالمحبة والنظر أو نوع من المباشرة إلى المرأة الأجنبية والصبيان هو لله وهو حب في الله، كفر وشرك، كاعتقاد أنّ محبة الأنداد حبّ لله، وأنّ الاجتماع على الفاحشة تعاون على البر والتقوى، وأنّ الإقامة على ذلك بالعبادة[4] هي عبادة لله، ونحو ذلك.

فاعتقاد أنّ هذه الأمور التي حرمها الله ورسوله تحريماً ظاهراً: أنها دين الله ومحبة الله، نوع من الشرك والكفر.

ثم قد يكون منها ـ من خفيِّها ـ أشياء تروج على مَنْ لم يبلغه العلم، كما اشتبه على كثير من العلماء والعبّاد أنّ استماع أصوات الملاهي تكون عبادة لله، واشتبه[5] على مَن هو أضعف علماً وإيماناً أنّ التمتع بمشاهدة هذه الصور يكون عبادة لله.

---

(١) في الأصل: فذوات الأخدان بينهما... إلخ.
ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) في الأصل: وأخفا.
(٣) في الأصل: لم يكن.
(٤) في الأصل: بالقيادة.
(٥) في الأصل: اشتبه.

ثم بعد هذا الضلال وما فيه من الغي هم أربعة أقسام:

قوم يعتقدون أنّ هذا لله ويقتصرون عليه، كما يوجد مثل ذلك في كثير من الأجناد والمتنسكة والعامة.

وقوم يعلمون أنّ هذا ليس لله، وإنما يظهرون هذا الكلام نفاقاً وخداعاً، لئلا يُنكر عليهم، وهؤلاء من وجه أمثل؛ لما يُرجى لهم من التوبة، ومن جهة أخبث؛ لأنهم يعلمون التحريم ويأتون المحرم.

وقوم مقصودهم ما وراء ذلك من الفاحشة الكبرى، فتارة يكونون من أولئك الظالمين الذين يعتقدون أنّ هذه المحبة التي لا وطء فيها لله، فيفعلون شيئاً لله، ويفعلون هذا لغير الله، وتارة يكونون[1] من أولئك الغاوين المنافقين الذين يظهرون أنّ هذه المحبة لله، وهم يعلمون أنها للشيطان، فيجمع هؤلاء بين هذا الكذب وبين الفاحشة الكبرى. وهؤلاء في هذه المخادنة[2] والمؤاخاة يضاهون النكاح[3]، فإنه يحصل بين هذين من الاقتران والازدواج ما يشبه اقتران الزوجين، ويزيد عليه تارة، وينقص عنه أخرى. وما يشبه اقتران المتحابين في الله والمتآخين[4] في الله، لكن الذين / آمنوا أشدّ حباً لله. ص ١٧٣

فالمتحابّان في الله يعظم تحابّهما ويقوى ويثبت، بخلاف هذه المؤاخاة الشيطانية، فإنه يترتب عليها أنواع من الفساد. ثم هذا قد يظهر وينتشر حتى قد يسمونه زواجاً، ويقولون[5]: تزوّج هذا بهذا، كما يفعل ذلك بعض المستهزئين بآيات الله من فجّار الفساق[6] والمنافقين، ويقرّه الحاضرون على ذلك ويضحكون، وربما أعجبهم مثل هذا المزاح.

---

(١) في الأصل: يكون.
(٢) في الأصل: المحادثة. وهو تحريف.
(٣) في الأصل: يظاهون للنكاح. وهو تحريف.
(٤) في الأصل: المتواخين.
(٥) في الأصل: ويقول. وهو تحريف.
(٦) في الأصل: من فجار الفجار.

كما أنّ اعتقاد أن هذه المحبة لله أوجب لمن كان من فجّار الفساق والمنافقين أن يقول لهم: الأمرد حبيب الله، والملتحي عدو الله، وذلك يعجبهم ويضحكون منه، وحتى اعتقد كثير من المردان أنّ هذا حق، وهو داخل في قول النبي ﷺ: «**إذا أحب الله العبد نادى في السماء: يا جبريل إني أحبّ فلاناً**»[1]، فيصير يعجبه أن يُحب ويعتقد الغاوي أنه محبوب.

وذلك أنّ من فقهاء الكوفة مَنْ لا يوجب في اللوطية الحدّ بل التعزير، إلاّ إذا أسرف[2] فيه إنه يبيح قتله سياسة، ومن الفقهاء مَنْ يوجب فيه حدّ الزاني، كأشهر قَوْلي الشافعي، وإحدى الروايتين عن أحمد، وقول أبي يوسف ومحمد. وأكثر فقهاء الحجاز وأهل الحديث يوجبون قتلهما جميعاً، كمذهب مالك، وظاهر مذهب أحمد[3].

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب (٦) ذكر الملائكة، حديث رقم (٣٢٠٩) ٦/٣٠٣.
وفي كتاب الآداب، باب المقة من الله تعالى، حديث رقم (٦٠٤٠) ١٠/٤٦١.
وفي كتاب التوحيد، باب (٣٣) كلام الرب مع جبريل، حديث رقم (٧٤٨٥) ١٣/٤٦١.
ومسلم في كتاب البر والصلة، باب (٤٨) إذا أحب الله عبداً حبّبه إلى عباده، حديث رقم (٢٦٣٧) ٤/٢٠٣٠.
والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة مريم، حديث رقم (٣١٦١) ٥/٣١٧-٣١٨.
ومالك في الموطأ، باب ما جاء في المتحابين في الله، ٢/١٢٨.
وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (١٩٦٧٣).
وأحمد في المسند ٢/٣٤١ - ٤١٣ - ٥٠٩ - ٥١٤.
وأبو نعيم في الحلية ٣/٢٥٨ و٧/١٤١، و١٠/٣٠٦.
والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢٤٣٦).
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣٦٤ - ٣٦٥) ٢/٨٥ - ٨٧.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٣٤٧٠).

(٢) في الأصل: أشرف. وهو تحريف.

(٣) اختلف أهل العلم - بعد إجماعهم على تحريم اللواط - فيما يجب على من عمل عمل قوم لوط: =

وزعم بعض الفقهاء أنّ فجور [الرجل] بمملوكه شبهة في درء[1] الحدّ، وهو موجب للتعزير، كما هو أحد القولين في وطء أمته المحرَّمة عليه برضاع أو محرَّمته.

وأيضاً فالعقوبة بالقتل إنما تكون في حق البالغ، [وأما الصبي - وأمثاله - فيجوز قتله إذا قاتل مع الكفار][2]، فأما بمجرد فعله هو بنفسه فلا يقتل بل يعاقب بما يزجره.

وكذلك النوع الثاني من الحلال، وهو ملك اليمين، فإنّ المرأة قد تملك الرجل، والرجل قد يملك الصبي، وقد يكون في هذا الملك نوع من ملك الرجل الأمة، فربما استمتعت المرأة بمملوكها بمقدمات النكاح، أو بالنكاح، مضاهاة لاستمتاع الرجل بمملوكته[3]، وربما تأوّلت القرآن على ذلك، واعتقدت أنّ ذلك داخل في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [سورة المؤمنون: ٦]، كما رفع إلى عمر بن

= ١ ـ فقالت طائفة: عليه القتل. محصناً كان أو غير محصن.
روي عن أبي بكر الصديق، وابن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ أنهما أمرا أن يحرق من فعل ذلك بالنار.
وروي عن علي وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ أنهما قالا: يرجم.
وقال ابن عباس: وإن كان بكراً.
وبه قال جابر بن زيد، والشعبي، وربيعة، ومالك، وإسحاق.
٢ ـ وفيه قول ثان، وهو: أنّ حدّه حدّ الزاني: يرجم إن كان محصناً، ويجلد إن كان بكراً.
كذلك قال عطاء، والحسن البصري، والنخعي، وسعيد بن المسيب، وقتادة، والشافعي، وأبو ثور.
٣ ـ وقال الحكم: يضرب دون الحد.
انظر المصنف ٧/ ٣٦٧، والإشراف على مذاهب أهل العلم لابن المنذر، ٢/ ٣٦، وأحكام الجصاص ٣/ ٣٢٣، والمحلى ١١/ ٣٨٠، والموطأ ٢/ ٥١٥، والأم ٧/ ١٦٩، والمغني ٩/ ٦٠، والمبسوط ٩/ ٧٧.

(١) في الأصل: أن الفجور بمملوكه شبهة في دار. وهو تحريف.
(٢) هذه العبارات مضطربة محرفة في الأصل. وكذا استظهرتها.
(٣) في الأصل: بمملوكه. وهو تحريف.

الخطاب امرأة تزوجت عبدها، وتأوَّلت هذه الآية، ففرَّق بينهما، وأدَّبه، وقال: ويحك إنما هذه للرجال لا للنساء[1].

وكذلك كثير من جهَّال الترك وغيرهم قد يملك من الذكران مَنْ يحبّهم ويستمتع بهم، وقد يتأوَّل بعضهم على ذلك: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦]، ومن المعلوم أنّ هذا كفر بإجماع المسلمين، فالاعتقاد بأنّ[2] الذكران حلال ـ بملك أو غير ملك ـ باطل وكفر بإجماع المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم.

ثم من هؤلاء مَنْ يتأوّل هذه الآية، ومنهم مَنْ يتأوّل: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١] ولا يفرّق بين المنكوح والناكح، كما سألني مرة بعض الناس عن هذه الآية، وكان ممن يقرأ القرآن ويطلب العلم، وقد ظنّ أنّ معناها إباحة ذكران المؤمنين.

وآخرون قد يجتمع بهم مَنْ يقول لهم: إنّ في هذه المسألة[3] خلافاً، ويكذب / أئمة المسلمين الذين لا تكون مذاهبهم ظاهرة في بلاده، مثل مَنْ يكون بأرض الروم فيكذب على مذهب مالك ويقول: هو مباح في مذهب مالك، ومنهم مَنْ يقول: هذا مباح للضرورة، مثل أن يبقى الرجل أربعين يوماً[4]، إلى أمثال هذه الأمور التي خاطبني فيها، وسألني عنها، طوائف من الجند والعامة والفقراء، وكان عندهم من هذه الاعتقادات الفاسدة ألوان مختلفة، قد صدّتهم عن سبيل الله.

ظ ١٧٣

ومنهم مَنْ قد بلغه خلاف بعض العلماء في وجوب الحدّ في بعض الصور، فيظن أنّ ذلك خلاف في التحريم، فربما قال ذلك أو اعتقده، ولا يفرّق بين الخلاف على الحد المقدر والتحريم، وأنّ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٩، وقال: «هذا أثر غريب منقطع» اهـ.
وانظر تفسير الطبري ٩/ ٥٨٦ (دار المعارف).

(٢) في الأصل: فاعتقاد بيان. وهو تحريف.

(٣) في الأصل: المسلمة.

(٤) كذا بالأصل، والمقصود أن يبقى الرجل أربعين يوماً بدون نكاح.

الشيء قد يكون من أعظم المحرَّمات، كالدم والميتة ولحم الخنزير، وليس فيه حدٌّ مقدر.

ثم ذلك الخلاف قد يكون قولاً ضعيفاً[1]، فيتولّد من ذلك القول الضعيف ـ الذي هو خطأ بعض المجتهدين، وهذا[2] الظن الفاسد الذي هو خطأ بعض الجاهلين ـ ومن الكذب الذي هو فرية بعض الظالمين تبديل الدين، وطاعة الشياطين، وسخط رب العالمين، حتى نُقل أنّ كثيراً من المماليك يتمدّح بأنه لا يعرف إلاّ سيده، كما تتمدّح الأمة بأنها لا تعرف إلاّ سيّدها وزوجها، وكذلك كثير من المردان[3] الأحداث يتمدّح بأنه لا يعرف إلاّ خدينه وصديقه أو مؤاخيه، كما تتمدح المرأة بأنها لا تعرف إلاّ زوجها. وكذلك كثير من الزناة بالمماليك والأحداث من الصبيان، قد يتمدح بأنه عفيف عمَّا سوى خدنه، الذي هو قرينة كالزوجة، أو عمَّا سوى مملوكه الذي هو قرينه[4]، كما يتمدّح المؤمن بأنه عفيف [إلاّ][5] عن زوجته أو ما ملكت يمينه.

ولا ريب أنّ الكفر والفسوق والعصيان درجات، كما أنّ الإيمان والعمل الصالح درجات: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣].

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [سورة التوب: ٣٧].

وقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

(١) في الأصل: معيناً. وهو تحريف.
(٢) في الأصل: بعض المجتهد، وهو. وهو تحريف.
(٣) في الأصل كأنها: اللصفا. ولعل الصواب ما أثبته. وانظر إغاثة اللهفان ٢/١٤٦.
(٤) في الأصل الكلمة غير واضحة كأنها: كرينه. ولعل الصواب ما أثبته.
(٥) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة ليستقيم الكلام.

﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [سورة الصف: ٥]، كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧].

وقال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٨]، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ﴾ [الرعد: ٣٦].

فالمتّخذ خدناً من الرجل والنساء أقلّ شراً من المسافح؛ لأنّ الفساد في ذلك أقلّ، والمستخفي بما يأتيه أقلّ إثماً من المجاهر المستعلن، كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«من ابتلي من هذه القاذورات بشيء فليستتر بستر الله، فإنه من يبد لنا صفحته نُقِمْ عليه كتاب الله»**[1].

وقد قال ﷺ: **«من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة»**[2].

---

(١) رواه مالك في الموطأ في كتاب الحدود، باب ما جاء فيمن اعترف على نفسه بالزنا، حديث رقم (١٥٠٤) ٢/ ٨٢٥.
وانظر التمهيد ٥/ ٣٢١ ثم قال: «هكذا روى هذا الحديث مرسلاً جماعة الرواة للموطأ.
ولا أعلمه يستند بهذا اللفظ من وجه من الوجوه، وقد روى معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن النبي ﷺ مثله سواء» اهـ.
وانظر المحلى ١١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢) جزء من حديث طويل، رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب (١١) فضل الاجتماع على تلاوة القرآن. حديث رقم (٢٦٩٩) ٤/ ٢٠٧٤.
وأبو داود في كتاب الأدب، باب (٦٠) في المعونة للمسلم، حديث رقم (٤٩٤٦) ٤/ ٢٨٧ بجزء منه.
وفي كتاب العلم، باب (١) الحث على طلب العلم، حديث رقم (٣٦٤٣) ٣/ ٣١٧.
=

وفي الحديث: / «**إنّ الخطيئة إذا أخفيت لم تضرّ إلاّ صاحبها، ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ضرت الجماعة**[1]». ص ١٧٤

وفي الحديث، عن النبي ﷺ أنه قال: «**كلّ أمتي معافى إلاّ المجاهرين، وإنّ من المجاهرة أن يبيت الرجل على الذنب وقد ستره الله، فيصبح فيتحدّث بذنبه**[2]**، ويقول: يا فلان فعلت الليلة كيت وكيت**»[3]، أو كما قال.

= والترمذي في كتاب الحدود، باب (٣) ما جاء في الستر على المسلم، حديث رقم (١٤٢٥) ٤/ ٣٤.
وفي كتاب البر والصلة، باب (١٩) ما جاء في الستر على المسلم، حديث رقم (١٩٣٠) ٤/ ٣٢٦.
وفي كتاب القراءات، باب (١٢) حديث رقم (٢٩٤٥) ٥/ ١٩٥ ـ ١٩٦.
وفي كتاب العلم، باب (٢) فضل طلب العلم، حديث رقم (٢٦٤٦) ٥/ ٢٨ ببعضه.
والنسائي في كتاب الرجم، باب (٣١) الترغيب في ستر العورة.
وابن ماجه في المقدمة في سننه، باب (١٧) فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم (٢٢٥) بتحقيقنا.
وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٢ ـ ٢٩٦ ـ ٥٠٠ ـ ٥١٤.
وابن عبد البر في التمهيد ٢٣/ ١٢٧ ـ ١٣١.
وأبو خيثمة في العلم، حديث رقم (٢٥) ص١٠ ـ ١١ ببعضه.
والآجري في أخلاق حملة القرآن، حديث رقم (١٦) ص٣٣ ببعضه.
والخطيب في الرحلة في طلب الحديث ص٨٠.

(١) عزاه في الجامع الكبير للديلمي عن أبي هريرة.
(٢) في الأصل: سيه. ولعل الصواب ما أثبته.
(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب (٦٠) ستر المؤمن على نفسه، حديث رقم (٦٠٦٩) ١٠/ ٤٨٦.
ومسلم في كتاب الزهد، باب (٨) النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، حديث رقم ٤/ ٢٢٩١.
والطبراني في الصغير ١/ ٢٢٧.
وفي الأوسط، كما في المجمع ١٠/ ١٩٢.
والبيهقي في سننه ٨/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠. =

فالإقلال والاستخفاء خير من هذه الوجوه، ولكن قد يقترن بها ما يكون أعظم من بعض المسافحة والمجاهرة، وهي المحبة والتعظيم التي توجب محبة ما يحبه الخدن، وتعظيم ما يعظمه، وموالاة مَنْ يواليه، ومعاداة مَنْ يعاديه، والاستسرار بذلك والنفاق فيه، فقد تكون في هذه الموالاة والمعاداة والنفاق من العدوان والضرر على المسلمين، أعظم مما في المجاهرة والمسافحة، ويكون[1] ذلك بمنزلة الكافر المعلن كفره، وهذا بمنزلة المنافق. فأما إذا لم يكن عدوان على الناس وتضييع لحقوقهم لانتفاء المحبة أو لغير ذلك، فالأول أخبث وأفحش. وتفاوت الشرور في القدر والصفة كثير، كما يتفاضل الخير ـ أيضاً ـ في القدر والوصف، والواجب استعمال[2] الكتاب والسنة في جميع الأمور[3].

ولا ريب أنّ هذه المخادنة وملك اليمين ونحو ذلك مما فيه اشتراك في محرم مضاد للحلال، لا بدّ أن يتضمّن من[4] المباح ما يصير فيه من الشبه بالحلال، و[من] التمييز[5] عن الحرام المحض ما يكون فيه رواج له، إذ الحرام المحض من كلّ وجه لا يشتبه بالحلال المحض من كلّ وجه، بل يقتني[6] الرجل المملوك لنوع من الاستخدام، ويضم إلى ذلك الاستمتاع، وقد يكون هذا أغلب في نفسه من الآخر، وقد يكون بالعكس. وذلك الاستخدام قد يكون مباحاً في الشريعة، وقد يكون فيه نوع من الظلم والعدوان، إما باسترقاق الأحرار، وإما باشتراء المماليك لنفسه بالمال المغصوب[7] من بيت

= والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٤٨٣٣) ٣/٣١٦ ـ ٣١٧.
والذهبي في التذكرة ٢/٤٥٦.

(١) في الأصل: الكلمة غير واضحة، كأنها: مراده. ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) في الأصل: واستعمال.
(٣) في الأصل: كأنها: والدارين.
(٤) في الأصل: في.
(٥) ما بين القوسين ليس في المخطوطة.
(٦) في الأصل: يفي. ولعل الصواب ما أثبته.
(٧) في الأصل: المال لنفسه المغضوب. وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبته.

المال أو غيره، وإما في استخدامهم على وجه الكبرياء والعلو في الأرض بإذلاله لهم[1] في غير طاعة الله، وإذلال الناس بهم في غير طاعة الله، إلى أمثال ذلك من الوجوه التي يكون فيها من الظلم والعدوان أمور عظيمة، وينضمّ إلى ذلك الفاحشة.

وكذلك في المخادنة التي صورتها مؤاخاة، قد تكون لأجل الاستئجار لصناعة ونحوها، وقد تكون لتعلم صناعة أو كتابة أو قراءة أو علم أو تأديب وتنوير، وغير ذلك من الأمور المباحة والمستحبة والواجبة في الدين، وقد تكون لكفالة وتربية، إما ليتم ذلك الصبي أو غربته، أو لقرابة بينهما، أو غير ذلك، وقد يكون اشتراكاً محضاً في صناعة أو تجارة أو بحمل مال، أو مجاورة وصلة[2]، أو تعلّم أو تأدّب أوغير ذلك مما يشترك الناس فيه لغير فاحشة بشركة مباحة أو مأمورٍ بها أو منهيٍّ[3] عنها، ويكون بينهم في ذلك من التعاقد والتحالف ما يكون بين المشتركين في الأمور، وقد يسمى ذلك صديقاً ورفيقاً، وسمي بالتركية: / خوشداشا، وغير ذلك، وهو من قسم ظ ١٧٤ التحالف، فيكون بين المشتركين في الحلال والحرام[4] من المعاوضة والمشاركة [إما][5] على غير فاحشة، وإما[6] معاوضة بتلك، فتكون شبهة مع الشهوة. فغالب وقوع المحرمات من هذا الباب، وقد لُبِّس فيه الحق بالباطل، وأُشرِك[7] فيه الحق بالباطل.

والمؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة، ومراتبها في الكتاب والسنة، كما يعرف الخيرات الواقعة، ومراتبها في الكتاب والسنة،

---

(١) في الأصل: بإذلالهم له. وهو خطأ. ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) في الأصل: الكلمة غير واضحة، وكذا استظهرتها.
(٣) في الأصل: أو منهياً. وهو خطأ.
(٤) في الأصل: في المشتركين في الحرم. والكلام ناقص. ولعل الصواب ما أثبته.
(٥) ما بين القوسين زيادة ليستقيم الكلام.
(٦) في الأصل: إما.
(٧) في الأصل: وأشركه.

فيفرِّق [بين][١] أحكام الأمور الواقعة الكائنة، والتي يُراد إيقاعها في الكتاب والسنة، ليقدِّم ما هو أكثر خيراً وأقل شرًّا على ما هو دونه، ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما، ويجتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما، فإنّ مَنْ لم يعرف الواقع في الخلق، والواجب في الدين، لم يعرف أحكام الله في عباده، وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل، ومَنْ عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

وإذا عَرَف ذلك فلا بدّ أن يقترن بعلمه العمل الذي أصله محبته لما يحبه الله ورسوله، وبغضه لما يبغضه الله ورسوله. وما اجتمع فيه الحبيب والبغيض، المأمور به والمنهي عنه، أو الحلال والمحظور، أعطى كلّ ذي حقّ حقه ليقوم الناس بالقسط، فإنّ الله بذلك أنزل الكتاب، وأرسل الرسل، فالعلم بالعدل قبل فعل العدل.

فإذا علم وأحب[٢]، كان من تمامه الجهاد عليه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، والعلم هو طريق إلى العمل وسبب، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [سورة الكهف: ٨٤] أي: علماً.

فالعلم بالخير سبب إلى فعله، والعلم بالشر سبب إلى منعه، هذا مع حسن النية، وإلاّ فالنفس الأمَّارة بالسوء قد يكون علمها[٣] بالسوء سبباً لفعله، وبالخير سبباً لمنعه، وكذلك الإثم والبغي بغير الحق، مثل الخمر الذي اتُّخذ منه أنواع من المسكرات، وقيل: إنها حلال، وسُمِّيت بغير أسماء الخمر، وهي من الخمر.

وكذلك ظلم العباد في النفوس والأموال والأعراض، فيه ما قد

---

(١) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام.
(٢) في الأصل: واجب.
(٣) في الأصل: عملها. وهو تحريف.

سمي حقًّا وعدلاً[1] وشرعاً وسياسة وجهاداً في سبيل الله، وهو من الكفر والفسوق والعصيان ما لا يحصيه إلاّ الله. وكذلك الإشراك بالله بغير حق، والقول بما لا يُعلم، مثل أنواع الغلو في الدين، واتخاذ العلماء والعباد أرباباً من دون [الله، والقول][2] بتحريم الحلال، وتحليل الحرام، وأنواع الإشراك بالمخلوقات: عبادة لها، واستعانة بها، وغُلُوّاً فيها، وقولاً على الله في أسمائه وصفاته وأحكامه ما[3] قد دخل في ذلك من الباطل الذي سُمِّيَ بأسماء محمودة أو غير مذمومة: كالعبادة، والزهادة، والتحقيق، وأصول الدين، والفقه والعلم، والتوحيد، والكلام، / والفقر والتصوف ما لا يحصيه إلاّ الله. ص ١٧٥

ومما ينبغي أن يُعرف أنّ كلّ تبديل يقع في الأديان، بل كلّ اجتماع في العالم، لا بدّ فيه من التحالف، وهو الاتفاق والتعاقد على ذلك، من اثنين فصاعداً. فإنّ بني آدم لا يمكن[4] عيشهم إلاّ بما يشتركون فيه من جلب منفعتهم ودفع مضرتهم. فاتفاقهم على ذلك هو التعاقد والتحالف.

ولهذا كان الوفاء بالعهود من الأمور التي اتفق أهل الأرض على إيجابها لبعضهم على بعض، وإن كان منهم القادر الذي لا يوفّى بذلك، كما اتفقوا في إيجاب العدل والصدق، فإذا اتفقوا وتعاقدوا على اجتلاب الأمر الذي يحبونه، ودفع الأمرِ الذي يكرهونه، أعان بعضهم بعضاًعلى اجتلاب المحبوب، ونصر بعضهم بعضاً على دفع المكروه، ولو لم يتعاقدوا بالكلام، فنفس اشتراكهم في أمر يوجب عليهم اجتلاب ما يصلح ذلك الأمر المشترك، ودفع ما يضرّه، كأهل النسب الواحد، وأهل البلد الواحد، فإنّ التناسب والتجاور يوجب

---

(١) في الأصل: وعده. ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) ما بين القوسين زيادة ليستقيم بها الكلام.

(٣) بعد (ما) كتب (وبها) ويبدو أنها زائدة. ونسي الناسخ حذفها.

(٤) في الأصل: لا تمكن.

التعاون على جلب المنفعة المشتركة، ودفع الضرر المشترك.

فصار الاشتراك بينهم تارة يثبت بفعلهم، وهو التعاقد على ما فيه خيرهم[1]، وتارة يثبت بفعل الله تعالى. وقد جمع اللَّهُ ـ عزّ وجلّ ـ هٰذين الأصلين في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، وذكر في هذه السورة [الأمور][2] التي بينهم من جهة الخلق، وهي من جهة العقود، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢٠ ـ ٢١] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة: ٢٦ ـ ٢٧].

وإذا كان لا بدّ في كلّ ما يشتركون فيه، من تحالف وغير تحالف، من التعاون على جلب المحبوب، والتناصر لدفع المكروه، فالمحبوب هو الموالي، والمكروه هو المعادي، فلا بدّ لكلّ بني آدم من ولاية وعداوة، ولهذا جميعهم يتمادحون بالشجاعة والسماحة؛ فإنّ السماحة إعانة على وجود المحبوب بالأموال والمنافع وغير ذلك، والشجاعة نصر لدفع المكروه بالقتال وغيره، ولا قوام لشيء من أمور بني آدم إلا بذلك، ومبنى ذلك بينهم على العدل في المشاركات والمعاوضات.

فظهر أنّ جميع أمور بني آدم لا بد فيها من تعاون بينهم، ودفع ومنع لغيرهم، فلا بد لهم من عقد وقدرة، والعقد أصله الإرادة، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١] / أي: ظ ١٧٥

---

(١) بعد كلمة (التعاقد) يوجد في الأصل كلمات غير واضحة كأنها: لعطارد عنها. ولعل ما أثبته يستقيم به المعنى.

(٢) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام.

يتعاهدون ويتعاقدون[1]، والقدرة: القدرة.

ومعلوم أنه لا بدّ في كلّ فعل من إرادة وقدرة، والمشتركون لا بدّ من اتفاقهم في إرادة وفي قدرة. فالذي يناله بعضهم من جلب محبوب ودفع مكروه من بعض، هو بالإرادة والطوع، والذي ينالونه من غيرهم من جلب محبوب ودفع مكروه، وهو بالقدرة على ذلك العدو المكروه منه، كما أنّ الوطء[2] بملك النكاح الذي هو عقد، أصله الإرادة والطوع، وبملك اليمين، الذي هو قهر بالقدرة على سبيل الكره، واشتراكهم في الجلب والدفع: إما أن يكون تبعاً لتعاقدهم، وإما أن يكون بأمر آمر مطاع فيهم:

فالأول: هو التحالف.

والثاني: ما يطاع بغير تحالف، سواء كانت طاعته بحقّ أو بغير حقّ.

فالذي بحق ما أمر الله بطاعته من أنبيائه وأولي الأمر من المؤمنين، وطاعة الوالدَيْن، ونحو ذلك، وما يُجاب به بعضهم إلى مراد بعض بحقّ، فإنّ ذلك هو معنى الطاعة، إذ المقصود بها موافقة المطلوب.

وأما بغير حقّ فكطاعة الطواغيت، وهو كلّ ما عُظِّم بباطل.

وكلّ قوم لا تجمعهم طاعة مطاع في جميع أمورهم، فلا بدّ لهم من التعاقد والتحالف فيما لم يأمرهم به المطاع.

ولهذا كانت الشريعة المنزَّلة من عند الله الأفعال فيها التي تجب لله، وتجب لبعض الناس على بعض: تارة تجب بإيجاب الله، وتارة تجب بالعقد: كالنذر، وكعقود المفاوضات والمشاركات، فلا

---

(١) انظر تفسير الطبري ٣/ ٥٦٧، وتفسير ابن كثير ١/ ٤٤٨، وتفسير البغوي ١/ ٣٨٩.

(٢) في الأصل: لما لو أن الوطى.

واجب في الشريعة إلاَّ بشرع أوعقد.

وإذا لم يكونوا على شريعة منزَّلة من عند الله، فإما أن يكونوا على شريعة [غير][1] منزَّلة أو سياسة وضعها بعض المعظَّمين فيهم بنوع قدرة وعلم ونحو ذلك، وما بقدرة من هذه الأمور الجامعة أوجب التحالف بينهم، فإنه لا ينتظم لهم أمر إلاَّ بطاعة آمرٍ متحالفون عليه، أو يأمرهم به مَنْ يطيعونه، ولهذا أُنكر التحالف في الأمم الخارجة عن الشريعة، وفي الخارجين عنها، وفي الأمور التي لا تُرَدُّ إلى الشريعة، وإنما يظهر ذلك حيث تدرس آثار النبوة المطاعة، فيتحالف قوم على طاعة مَلِك أو شيخ، أو طاعة بعضهم لبعض في[2] أمور يتفقون عليها ويتحالفون، كما كان العرب في جاهليتهم[3] يتحالفون. ومنه الحليف الذي يكون في القبيلة / فيصير منهم. ص ١٧٦

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [النحل: ٩١ ـ ٩٢].

وكذلك ما يوجد من التحالف بالتآخي وغير التآخي للملوك والمشايخ وأهل الفتوة ورماة البندق، وسائر المتفقين على بعض الأمور، هو داخل في هذا. وأَيْمان[4] التعاقد والتحالف عام لبني آدم، وهم في جاهليتهم تارة يتحالفون تحالفاً يحبّه الله، كما قال النبي ﷺ:

---

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة يستقيم بها الكلام.

(٢) في الأصل: من.

(٣) في الأصل: كما كان في العرب جاهليتهم. وهو تحريف.

(٤) في الأصل: هذا إيمان.

«لقد شهدت حلفاً مع عمومتي[1] في دار عبد الله بن جُدْعَان ما يسرني بمثله حُمْر النَّعَم، أو قال: [ما][2] يسرني حُمْر النَّعَم وأن أنقضه[3]، ولو دُعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت»[4].

وفي مثل هذا ما رواه [مسلم]، عن [جبير بن مطعم، عن] النبي ﷺ[5] أنه [قال:][6]: **«لا حلف في الإسلام، وما كان من حلف**

---

(١) في الأصل: في عمومتي. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

(٢) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام.

(٣) في الأصل: وإن نقضه. ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٤٣٧٤) ١٠/٢١٦ ـ ٢١٧.
والبيهقي في سننه ٦/٣٦٦ من حديث أبي هريرة.
وفيه معلى بن مهدي: قال أبوحاتم: شيخ موصلي، يحدث أحياناً بالحديث المنكر.
وانظر الثقات ٩/ ١٨٢ ـ ١٨٣.
ولفظ الحديث: «ما شهدت من حلف قريش إلا حلف المطيبين، وما أحب أن لي حمر النعم، وإني كنت نقضته».
قال: والمطيبون: هاشم وأمية وزهرة ومخزوم.
وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً: «شهدت مع عمومتي حلف المطيبين، فما أحب أنّ لي حمر النعم وأني أنكثه»:
رواه أحمد في المسند ١/١٩٠ ـ ١٩٣.
والبخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٥٦٧).
والحاكم ٢/٢١٩ ـ ٢٢٠.
وابن سعد في الطبقات ١/١٢٨ ـ ١٢٩.
وابن عدي في الكامل ٤/ ١٦١٠.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٤٣٧٣) ١٠/٢١٦.
والبيهقي في سننه ٦/٣٦٦.
ورجاله ثقات.
وفي الباب عن طلحة بن عبد الله بن عوف:
رواه ابن هشام في سيرته ١/ ١٤١ ـ ١٤٢.

(٥) في الأصل: ما رواه. . . (كذا) عن جابر، عن النبي ﷺ، وكتبت كلمة (كذا) فوق البياض. والصواب ما أثبته إن شاء الله ـ.

(٦) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام.

في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلاّ شدة»[1].

وهذا الحلف يسمى: حلف المُطَيِّبين[2]، كان يقدم إلى مكة مَنْ يظلمه بعض أكابرها، فيستصرخ فلا ينصره أحد، حتى أنشد بعض القادمين:

يا آل مكة مظلوم بضاعته ببطن مكة بين الركن والحجر

وكان عبد الله بن جدعان[3] من خيارهم، فاجتمعت قبائل من قريش في بيته على التحالف للتعاون على العدل ونصر المظلوم، ووضعوا أيديهم في قصعة فيها طيب، فسمي حلف المطيِّبين.

فأما إذا كان القول على الشريعة التي بعث الله بها رسوله في دينهم ودنياهم فإنّ ذلك يغنيهم عن[4] التحالف إلاّ عليها، فعليها يكون تحالفهم وتعاقدهم وتعاونهم وتناصرهم، كما وصف الله به المحبين المحبوبين في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وعلى ذلك يُبَايَعُ المطاعون[5] فيهم من الأمراء والعلماء

---

(١) رواه مسلم (٢٥٣٠)، وأبو داود (٢٩٢٥).
والنسائي في الكبرى (٦٤١٨) ٤/ ٩٠.
وأحمد ٤/ ٨٣، وأبو يعلى (٧٤٠٦) ١٣/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤.
والطحاوي في المشكل ٢/ ٢٣٨.
والطبراني (١٥٩٧).
والحاكم ٢/ ٢٢٠، وابن حبان (٤٣٧١ ـ ٤٣٧٢) ١٠/ ٢١٤ ـ ٢١٥.
والبيهقي ٦/ ٢٦٢.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٣) انظر في أخباره البداية والنهاية ٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨، والسيرة له ١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ (تحقيق عبد الواحد).

(٤) في الأصل: يعنيهم على. ولعل الصواب ما أثبته.

(٥) في الأصل: الطاعون: وهو تحريف ظاهر.

وغيرهم، كما قال أبو بكر الصديق في خطبته للمسلمين: «أطيعوني ما أطعت الله [ورسوله][1]، فإذا عصيت الله [ورسوله][2] فلا طاعة لي عليكم[3].

وبذلك أمر الله ورسوله في طاعة أولي الأمر، فقال النبي ﷺ: **«على المرء المسلم السمع والطاعة: في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه[4]، ما لم يؤمر بمعصية الله، فإذا أمر بمعصية / الله فلا سمع ولا طاعة»**[5]. ظ ١٧٦

وقال النبي ﷺ: **«إنما الطاعة في المعروف»**[6].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٣) في الأصل: فيكم. وهو خطأ.
وخطبة أبي بكر ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٣٠١.
ثم قال: «وهذا إسناد صحيح» اهـ.

(٤) في الأصل: ومكروهه.

(٥) رواه البخاري (٧١٩٩ ـ ٧٢٠٠)، ومسلم (١٧٠٩) ٣/ ١٤٧٠.
والنسائي ٧/ ١٣٨، وأحمد ٥/ ٣١٤ ـ ٣١٦ ـ ٣١٨ ـ ٣١٩ ـ ٣٢١.
ومالك في الموطأ ٢/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦.
وابن حبان (٤٥٤٧) ١٠/ ٤١٢ ـ ٤١٣. وحديث (٤٥٦٦) ١٠/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩.
والبيهقي ٨/ ١٤٥.
والبغوي (٢٤٥٦) من حديث عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم ـ أو نقول ـ بالحق حيث ما كنا نخاف في الله لومة لائم.
وقد روى ابن عمر عن النبي ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلاّ أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة». رواه مسلم (١٨٣٩) ٣/ ١٤٦٩.

(٦) رواه البخاري (٤٣٤٠ ـ ٧١٤٥ ـ ٧٢٥٧).
ومسلم (١٨٤٠)، وأبو داود (٢٦٢٥)، والنسائي ٧/ ١٠٩، وأحمد ١/ ٨٢ ـ ٩٤ ـ ١٢٤.
وابن حبان (٤٥٦٧) ١٠/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠ وفيه قصة ولفظه: «لا طاعة في معصية الله. إنما الطاعة في المعروف». من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

و«**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[1].

وفي الصحيح أنّ عبد الله بن عمر كتب بيعته إلى عبدالملك بن مروان لما اجتمع الناس عليه: «لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، إني قد أقررت لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت، وقد أقرَّ بَنِيَّ لما أقررت به»[2].

فأخبره أنه يعاقده على ما أمر الله به من الطاعة له في طاعة الله بحسب قدرته، وهذا واجب عليه بالشرع.

فهو تعاقد على ما أمر الله بمنزلة نفس الدخول في الإسلام، وبيعة النبي ﷺ، كما بايعه الأنصار، وكما بايعه المسلمون تحت الشجرة، وكما **كان يبايع المسلمين على السمع والطاعة ويلقّنهم: «فيما استطعتم»**[3].

وطاعة الرسول واجبة على الخلق بإيجاب الله بمعاقدتهم على ذلك: معاقدة على طاعة الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا

---

(١) رواه بلفظ: «لا طاعة لبشر في معصية الله جل وعلا» من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أيضاً:
أبو يعلى (٢٧٩)، وابن حبان (٤٥٦٨ ـ ٤٥٦٩) ١٠/ ٤٣٠ ـ ٤٣١. ورجاله ثقات.

(٢) روى الأثر البخاري كتاب الأحكام، باب (٤٣) كيف يبايع الإمام الناس، حديث رقم (٧٢٠٣ ـ ٧٢٠٥) ١٣/ ١٩٣. وحديث رقم (٧٢٧٢)، ومالك حديث رقم (٣)، ٢/ ٩٨٣.
وفي الأصل: وقد أمرتني لما أقررت به.

(٣) رواه البخاري (٧٢٠٢)، ومسلم (١٨٦٧)، والترمذي (١٥٩٣)، والنسائي ٧/ ١٥٢، وأبو داود (٢٩٤٠)، وأحمد ٢/ ٩ ـ ٦٢ ـ ٨١ ـ ١٠١ ـ ١٣٩، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٢، والطيالسي (١٨٨٠)، والبيهقي ٨/ ١٤٥.
وابن حبان (٤٥٤٨ ـ ٤٥٤٩) ١٠/ ٤١٤. و(٤٥٥٢) ١٠/ ٤١٦، و(٤٥٥٧) ١٠/ ٤٢١، والبغوي (٢٤٥٤) عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعتم».

أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

لكن هذا إنما كان ظاهراً في أيام الخلفاء الراشدين، وبعدهم كثرت العقود الموافقة للشريعة تارة، والمخالفة لها أخرى، فلا جرم كان الحكم العام في جميع هذه العقود أنه يجب الوفاء فيها بما كان طاعةً لله، ولا يجوز الوفاء فيها بما كان معصية لله، كما قال النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة: «**ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرطٍ. كتاب الله**[1] **أحقّ، وشرط الله أوثق**»[2].

وقال ﷺ: «**مَنْ نذر أن يطيع [الله]**[3] **فليطعه، ومَنْ نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»[4].

وفي السنن: «**المسلمون على شروطهم، إلاّ شرطاً أحلّ حراماً أو**

---

(١) في الأصل: ما به من شرط كان الله. والتصحيح من المصادر المخرجة للحديث.

(٢) جزء من حديث طويل رواه البخاري (٢١٥٥ ـ ٢٥٦١ ـ ٢٥٦٣ ـ ٢٧١٧)، ومسلم (١٥٠٤)، وأبو داود (٢٢٣٣ ـ ٢٩٣٠)، والترمذي (١١٥٤)، والنسائي ٦/ ١٦٤ ـ ١٦٥.
وابن ماجه (٢٥٢١)، وأحمد ٦/ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٢١٣ ـ ٢٧٢.
وابن حبان (٤٢٧٢) ١٠/ ٩٣ ـ ٩٤.
والبيهقي ٥/ ٣٣٨ و٧/ ١٣٢.

(٣) ما بين القوسين ليس في الأصل.

(٤) رواه البخاري (٦٦٩٦ ـ ٦٧٠٠).
وأبو داود (٣٢٨٩)، والترمذي (١٥٢٦)، والنسائي ٧/ ١٧، وابن ماجه (٢١٢٦)، وأحمد ٦/ ٣٦ ـ ٤١ ـ ٢٢٤، ومالك ٢/ ٤٧٦، والدارمي (٢٣٣٨) ٢/ ٢٤١، وابن حبان (٤٣٨٧ ـ ٤٣٨٨ ـ ٤٣٨٩ ـ ٤٣٩٠) ١٠/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥.
وابن الجارود (٩٣٤).
والطحاوي في شرح معاني الآثار ٣/ ١٣٣، وفي المشكل ٣/ ٣٧ ـ ٣٨.
والبيهقي في سننه ٩/ ٢٣١، و١٠/ ٦٨.
والبغوي (٢٤٤٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

حرَّم حلالاً»[1].

فأما أمر الدين وما يحبه الله ويقرِّب إليه، فليس لعقود بني آدم فيه أثر، بل المرجع في ذلك إلى أمر الله ورسوله، فلا دين إلاّ ما أمر الله به، ومَن اتّبع في ذلك عقود بني آدم، فهم الذين اتّبعوا شركاءهم، الذين شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن الله / به، وهذه حال جميع ما ابتدع من الدين، فإنّ الذي ابتدعه وافقه عليه غيره وحالفه، فاتخذوه ديناً، فتدين هذا فيه يظهر حال جميع [أهل] البدع المخالفة للكتاب والسنة وأنّ[2] الموافقة عليها هي من هذا الباب.

ص ١٧٧

وأكثر ما ينفق بين المسلمين ما فيه حق وباطل، إذ الباطل المحض لا يبقى بينهم، وذلك يتضمّن التحالف على غير ما أمر الله به، والتبديل لدين الله بما لُبِّس من الحق بالباطل، وهذه حال اليهود والنصارى وسائر أهل الضلال، فإنهم عدلوا عمَّا أمرهم الله باتّباعه، فلبَّسوه بباطل ابتدعوه، بدَّلوا به دين الله، وتحالفوا على ذلك الذي ابتدعوه.

وأما المعاملات في الدنيا فالأصل فيها أنه لا يَحْرُم منها إلاّ ما

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٩٤) ٣/ ٣٠٤، والحاكم ٢/ ٤٩، والبيهقي ٦/ ٦٥.
وابن حبان (٥٠٩١) ١١/ ٤٨٨ من حديث أبي هريرة بلفظ: «الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحلّ حراماً، أو حرّم حلالاً».
ورواه أحمد ٢/ ٣٦٦ بدون الاستثناء.
قال الحافظ في التلخيص ٣/ ٩٨: «ووقف هذا الحديث على عمر أشهر».
وانظر معرفة السنن ٤/ ٤٦٧، وسنن البيهقي ٦/ ٦٥.
وفي الباب عن عمرو بن عوف:
رواه الترمذي (١٣٥٢)، وابن ماجه (٢٣٥٣)، والحاكم ٤/ ١٠١.
وفي سنده كثير بن عبد الله: ضعيف.
وانظر التلخيص الحبير ٣/ ٥٥ ـ ٥٦.
(٢) ما بين القوسين زيادة ليستقيم الكلام.
(٣) في الأصل: إن.

حرَّمه الله ورسوله، فلا حرام إلاّ ما حرَّم الله، ولا دين إلاّ ما شرعه. وإذا لم يَحْرُم إلاّ ما حرَّمه الله ورسوله فكأنّ ما كان بدله بدون التعاقد يجب بالتعاقد، فإنّ العقد يوجب على كلّ واحد من المتعاوضين والمتشاركين ما أوجبه الآخر على نفسه له، ولهذا قال النبي ﷺ: **«المسلمون على شروطهم إلاّ شرطاً أحلّ حراماً، أو حرَّم حلالاً»**[1].

وهذا الموضع كثر[2] فيه غلط كثير من الفقهاء بتحريم عقود وشروط لم يحرِّمها الله، كما كثر[3] في الأول غلط كثير من العبَّاد والعلماء بابتداع دين لم يشرعه الله، وإيجابه بالتعاقد عليه، حتى يوجبون طاعة شخص معين ميتٍ أوحيٍّ من العلماء في كلّ شيء، ويحرِّمون طاعة غيره في كلّ شيء نازعه فيه، لمجرد عقد العامي الذي انتسب إلى هذا دون هذا.

وكذلك في المشايخ، حتى قد يأمرونه بمخالفة ما تبيَّن له من الشريعة لأجل العقد الذي التزمه للمذهب والطريقة، فيشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، ويأمرون بطاعة المخلوق في معصية الخالق، وأكثر ذلك يدخله نوع من الاجتهاد الظاهر الذي فيه نوع من اتّباع الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربّهم الهدى.

والواجب في جميع هذه الأمور أنّ ما يتبيّن أنه طاعة لله ورسوله وجب اتّباعه، وما اشتبه على الإنسان حاله سلك فيه مسلك الاجتهاد بحسب قدرته، ولا يكلِّف الله نفساً إلاّ وسعها، واجتهاد العامة هو طلبهم للعلم من العلماء بالسؤال والاستفتاء بحسب إمكانهم.

فإذا كان جميع ما عليه بنو[4] آدم لا بدّ فيه من تعاون وتناصر،

---

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) في الأصل: كبير، وهو تحريف.

(٣) في الأصل: كبر. وهو تحريف.

(٤) في الأصل: بني.

وفيه ما هو شرك بالله، وفيه ما هو قول على الله بغير علم، وفيه ما هو إثم وبغي، وفيه ما هو من الفواحش ـ علم أنه لا بدّ في الإيمان من التعاون والتناصر على فعل ما يحبه الله تعالى، ودفع ما يبغضه الله تعالى، وهذا / هو الجهاد في سبيله، وأنّ أمر الإيمان لا يتمّ بدون ذلك، كما لا يتم غير الإيمان إلاّ بما هو من نوع ذلك. ظ ١٧٧

فكلّ المتعاونين المتناصرين يجاهدون، ولكن في سبيل الله تارة، وفي سبيل غير الله تارة، ولا صلاح لبني آدم إلاّ بأن يكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا.

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] وهؤلاء الذين تولوا الله فتولاهم[1] الله، والذين يدينون لغير الله هم الظالمون بتولّي بعضهم بعضاً، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨ ـ ١٩]، **ولا يتم لمؤمن ذلك إلاّ بأن يجمع بين ما جمع الله بينه، ويفرّق بين ما فرّق الله بينه، وهذه حقيقة الموالاة والمعاداة، التي مبناها على المحبة والبغضة.**

فالموالاة تقتضي التحابّ[2] والجمع، والمعاداة تقتضي التباغض والتفرق. والله سبحانه قد ذكر الموالاة والجمع بين المؤمنين، فقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥].

وذكر العداوة بينهم وبين الكفار، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) في الأصل: يولاهم.

(٢) في الأصل: التجات. وهو تحريف.

﴿لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [المائدة: ٥١] ثم ذكر حال المستنصرين بهم، فإنّ الموالاة موجبها التعاون والتناصر.

فلا يُفرَّق بين المؤمنين لأجل ما يتميّز به بعضهم عن بعض، مثل الأنساب والبلدان، والتحالف على المذاهب والطرائق والمسالك والصداقات وغير ذلك، بل يُعطَى كلٌّ من ذلك حقّه، كما أمر الله ورسوله، ولا يُجمع بينهم وبين الكفار الذين قطع الله الموالاة بينهم وبينه، فإنّ دين الله هو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والله سبحانه أرسل رسله بالبينات، وأنزل معهم الكتاب والميزان، ليقوم الناس بالقسط، فيحتاج المؤمن إلى معرفة العدل، وهو الصراط المستقيم، وإلى العمل به، وإلا وقع إما في جهل وإما في ظلم.

وذلك إنما وقع من التبديل والعقود الفاسدة، كما ذكرنا من لبس الحق بالباطل، حيث صارت المحرَّمات: من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير / الحق، والإشراك بالله ما لم يُنزِّل به سلطاناً، والقول على الله بغير علم ـ قد لُبِّس بها من الحق المأذون فيه ما صارت بسببه شبيهة[1] للحق الحسن، وإن كانت مشتملة مع ذلك على الباطل السيء، وإن صار أصحابها بين عمل صالح وآخر سيء، فقوم ينكرون ذلك كله لما علموا فيه من المنكر البغيض، وأقوام يقرُّون ذلك كلّه لما فيه من المحبوب.

ص ١٧٨

وهذه القاعدة قد ذكرناها غير مرة، وهي اجتماع الحسنات والسيئات، والثواب والعقاب، في حقّ الشخص الواحد، كما عليه أهل جماعة المسلمين من جميع الطوائف، إلاّ مَنْ شذَّ عنهم من الخوارج والوعيدية، من المعتزلة ونحوهم، وغالب المرجئة.

---

(١) في الأصل: سببه شبهه. ولعل الصواب ما أثبته.

فإنّ هؤلاء ليس للشخص عندهم إلاّ [أن][1] يثاب أو يُعاقب، محمود من كلّ وجه، أو مذموم من كلّ وجه. وقد بيَّنا فساد هذا في غير هذا الموضع، بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وذكرنا ـ أيضاً ـ الكلام[2] في الفعل الواحد نوعاً وشخصاً.

والغرض هنا أنّ هؤلاء الذين لبَّسوا الحق والباطل، حصل في مقابلتهم مَنْ أعرض[3] عن الحق والباطل جميعاً، فصار هؤلاء مذمومين على فعل السيئات، محمودين على فعل الحسنات، وأولئك يُذمُّون على ترك الحسنات الواجبات، ويمدحون على ما قصدوا تركه لله من السيئات.

وسبب ذلك أنّ الإنسان فيه ظلم وجهل، فإذا غلب عليه رأي أو خُلُق، استعمله في الحق والباطل جميعاً، لم يحفظ حدود الله. ولهذا يأمر الله بحفظ حدوده.

مثال ذلك: أنَّ مِن الناس مَنْ يكون في خُلُقه سماحة ولين ومحبة، فيسمح بمحبته وبتعظيمه ونفعه وماله للحَسَن الذي يحبه الله ويأمر به، كمحبة الله ورسوله وأوليائه المؤمنين، والإنفاق في سبيله، ونحو ذلك. ويسمح ـ أيضاً ـ بمحبة الفواحش والإنفاق [فيها][4]، فتجده[5] يحب الحق والباطل جميعاً، ويصدِّق بهما، ويعين عليهما.

ومنهم مَنْ يكون في خلقه قوة، فيمتنع من فعل الفواحش ويبغضها، ويمتنع مع ذلك من محبة نفع الناس والإحسان إليهم والحلم عن سيئاتهم، فتجده يبغض الحق والباطل جميعاً، ويكذِّب بهما، ولا يعين على واحد منهما، بل ربما صدَّ عنهما.

---

(١) ما بين القوسين زيادة ليستقيم بها الكلام.
(٢) في الأصل: في الكلام.
(٣) في الأصل: مع من أعرض.
(٤) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة يستقيم بها الكلام.
(٥) في الأصل: فيجده.

وذلك لأنّ النفس أمّارة بالسوء، والشيطان يزيِّن للمرء سوء عمله فيراه حسناً، وهو متّبع هواها. وما فيها من العلم والإِيمان [يدعوه إلى الخير حتى] تذهب الحسنات بالسيئات[١]، وإنما يفعل من الحسنات ما أقبلت عليه[٢] إرادته ومبحته / دون ما أبغضته.

ظ ١٧٨

وفي الإنسان قوتان: قوة الحب، وقوة البغض. وإنما خلق ذلك فيه ليحب الحق الذي يحبّه الله، ويبغض الباطل الذي يبغضه الله، وهؤلاء هم الذين يحبهم الله ويحبونه.

والنفس تميل إلى الإشراك بحسب الإمكان، فإذا غلب على النفوس قوة المحبة لما يناسبها، فأحبت الحق، فقد تنجذب[٣] بسبب ذلك إلى محبة ما يقارنه من الباطل.

ومن هنا مال كثير من النساك إلى محبة الأصوات والصور وغير ذلك، بسب ما فيهم من المحبة، التي فيها ما هو لله، لكن لبَّسوا فيها الحق بالباطل. وكذلك قد يكون الشخص بالمحبة يميل إلى شهوات الغي في بطنه وفرجه وإنفاق الأموال فيها، ثم إنه بسبب ما فيه من الحب والدين يحب الحق وأهله ويعظمهم. فتجد كثيراً من أهل الشهوات، وفيهم من المحبة لله ورسوله ما لا يوجد في كثير من النّساك، كما قال النبي ﷺ في حمار الذي كان يشرب الخمر كثيراً: «**لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله**»[٤] والحديث في صحيح البخاري وغيره.

❀ ❀ ❀

---

(١) في الأصل: . . . والإيمان يجب أن تذهب الحسنات بالسيئات. ولعل ما أثبته يستقيم به الكلام.

(٢) في الأصل: ما تيسر عليها. ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل: فيجرا.

(٤) سبق تخريجه.

فصل
[كلّ حي إنما يعمل لما فيه تنعّمه ولذته]

وإذا كان كلّ عمل أصله المحبة والإرادة، والمقصود [منه] التنعّم[1] بالمراد المحبوب، فكلّ حي إنما يعمل لما فيه تنعّمه ولذّته، فالتنعمّ هو المقصود الأول من كلّ قصد، كما أنّ التعذّب والتألّم هو المكروه أولاً، [وهو سبب] كلّ بغض[2] وكلّ حركة امتناع. لكن وقع الجهل والظلم في بني آدم، فعمدوا إلى الدين الفاسد[3] والدنيا الفاجرة: طلبوا بهما النعيم، وفي الحقيقة فإنما فيهما[4] ضدّه.

وبيان ذلك: أنّ الأعمال التي يعملها جميع بني آدم إما أن يتخذونها ديناً، أو لا يتخذونها ديناً. والذين يتخذونها ديناً إما أن يكون الدين بها دين حق، أو دين باطل. فنقول[5]: النعيم التامّ هو[6] في الدين الحق.

(١) في الأصل: والمقصود والتنعم. وكتب كلمة: (كذا) فوق كلمة: التنعم، ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) في الأصل: أولاً فكل بغض.. إلخ. ولعلّ الصواب ما أثبته.
(٣) في الأصل: العبارة مضطربة ومحرّفة كأنها: في بني آدم يحتسبين بالدين الفاسد.. إلخ ولعلّ ما أثبتهُ يستقيم به الكلام.
(٤) في الأصل: فيها.
(٥) في الأصل: فيقول.
(٦) في الأصل: حتى.

فأهل الدين الحقّ هم الذين لهم النعيم الكامل، كما أخبر الله بذلك في كتابه في غير موضع، كقوله: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].

وقوله عن المتقين المهتدين: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ٥].

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٤].

ص ١٧٩ ووَعْدُ أهل الإيمان والعمل / الصالح بالنعيم التام في الدار الآخرة، ووعد الكفار بالعذاب التام في الدار الآخرة أعظم من أن[1] يذكر هنا، وهذا مما لم ينازع فيه أحد من أهل الإسلام.

ولكن تذكر[2] هنا نكتة نافعة: وهو أنّ الإنسان قد يسمع ويرى ما يصيب كثيراً من أهل الإيمان والإسلام في الدنيا من المصائب، وما يصيب كثيراً من الكفار والفجار في الدنيا من الرياسة والمال وغير ذلك، فيعتقد أنّ النعيم في الدنيا لا يكون إلاّ لأهل الكفر والفجور، وأنّ المؤمنين ليس لهم في الدنيا ما يتنعَّمون به إلا قليلاً، وكذلك قد يعتقد أنّ العزة والنصرة قد تستقر للكفار والمنافقين على

---

(١) في الأصل: أعظم ممن.

(٢) في الأصل: يذكر.

المؤمنين. وإذا سمع ما جاء في القرآن من أنّ العزة لله ورسوله وللمؤمنين، وأنّ العاقبة للتقوى، وقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافات: ١٧٣] ـ وهو ممن يصدِّق بالقرآن ـ حمل هذه الآيات على الدار الآخرة فقط، وقال: أما الدنيا فما نرى بأعيننا [إلاّ][١] أنّ الكفار والمنافقين فيها يظهرون ويغلبون المؤمنين، ولهم العزة والنصرة، والقرآن لا يَرِدُ بخلاف المحسوس، ويعتمد على هذا فيما إذا أديل عليه عدو من جنس الكفار والمنافقين أو الظالمين، وهو عند نفسه من أهل الإيمان والتقوى، فيرى أنّ صاحب الباطل قد علا[٢] على صاحب الحق، فيقول: أنا على الحق وأنا مغلوب، وإذا ذكره [إنسان][٣] بما وعده الله من حسن[٤] العاقبة للمتقين، قال: هذا في الآخرة فقط.

وإذا قيل له: كيف يفعل الله بأوليائه مثل هذه الأمور؟

قال: يفعل ما يشاء، وربما قال بقلبه أو لسانه، أو كان حاله يقتضي أنّ هذا من نوع الظلم، وربما ذكر قول بعضهم: ما على الخلق أضرّ من الخالق، لكن يقول: يفعل الله ما يشاء. وإذا ذُكِّر برحمة الله وحكمته لم يقل[٥] إلا: إنه يفعل ما يشاء. فلا يعتقدون أنّ[٦] صاحب الحق والتقوى منصور ومؤيد[٧]، بل [يعتقدون أنّ الله][٨] يفعل ما يشاء.

وهذه الأقوال مبنية على مقدمتين:

(١) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام.
(٢) في الأصل: على.
(٣) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام.
(٤) في الأصل: حق. وهو تحريف.
(٥) في الأصل: لم يستعد.
(٦) في الأصل: فلا يعتمدون على، ولعل الصواب ما أثبته.
(٧) في الأصل: موبداً. وهو تحريف.
(٨) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة يستقيم بها الكلام.

ظ ١٧٩ **إحداهما**: حسن ظنه بدين نفسه / نوعاً أو شخصاً[(١)]، واعتقاد أنه قائم[(٢)] بما يجب عليه، وتارك ما نهي عنه في الدين الحق، واعتقاده في خصمه، ونظيره خلاف ذلك: أنّ[(٣)] دينه باطل نوعاً أو شخصاً؛ [لأنه][(٤)] ترك المأمور وفعل المحظور.

والمقدمة الثانية: أنّ الله قد لا يؤيد صاحب الدين الحق وينصره. وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا، فلا ينبغي الاغترار بهذا.

ومن المعلوم أنّ العبد وإن أقرّ بالآخرة فهو يطلب حسن[(٥)] عاقبة الدنيا، فقد يطلب ما لا بد منه من دفع الضرر، وجلب المنفعة، وقد يطلب من زيادة النفع ودفع الضرر ما يظن أنه مباح، فإذا اعتقد أنّ الدين الحق قد ينافي ذلك لزم من ذلك إعراض القلب عن الرغبة في كمال الدين الحق، وفي حال السابقين والمقربين، بل قد يعرض عن حال المقتصدين أصحاب اليمين، فيدخل مع الظالمين، بل قد يكفر ويصير من المرتدين المنافقين أو المعلنين بالكفر، وإن لم يكن هذا في أصل الدين كان في كثير من أصوله وفروعه، كما قال النبي ﷺ: «**يصبح الرجل مؤمناً ويُمْسي كافراً، أو يُمْسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[(٦)]، وذلك إذا اعتقد أنّ الدين لا يحصل إلا

---

(١) في الأصل: تسوعاً أو سحضاً. وهو تحريف.
(٢) في الأصل: قائماً. وهو خطأ.
(٣) في الأصل: أنه.
(٤) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.
(٥) في الأصل: من. ولعل الصواب ما أثبته.
(٦) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب (٥١) الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، حديث رقم (١١٨) ١/ ١١٠.
والترمذي في كتاب الفتن، باب (٣٠) ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم، حديث رقم (٢١٩٥) ٤/ ٤٨٧.
وأحمد ٢/ ٣٠٤ ـ ٣٧٢ ـ ٣٩٠ ـ ٣٩١ ـ ٥٢٣. =

بفساد دنياه، ولذلك فإنه يفرح بحصول الضرر له ويرجو ثواب ضياع ما لا بدّ له من المنفعة(١).

وهذه الفتنة التي(٢) صدّت أكثر بني آدم عن تحقيق الدين، وأصلها الجهل بحقيقة الدين، وبحقيقة النعيم، الذي هومطلوب النفوس في كلّ وقت، إذ قد ذكرنا أنّ كلّ عمل فلا بدّ فيه من إرادة به لطلب ما ينعِّم، فهناك عمل يُطلب به النعيم، ولا بدّ أن يكون المرء عارفاً(٣) بالعمل الذي يعمله، وبالنعيم الذي يطلبه.

ثم إذا عَلِمَ هذين الأصلين، فلا بد أن تكون فيه إرادة جازمة على العمل بذلك، وإلاّ فالعلم بالمطلوب وبطريقه لا يحصلان المقصود إلاّ مع الإرادة الجازمة(٤). والإرادة الجازمة لا تكون إلّا مع الصبر، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

فاليقين هو العلم الثابت المستقر، والصبر [لا بدّ منه لتحقيق الإرادة الجازمة](٥).

= وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦٧٠٤) ١٥/٩٦.
والفريابي في صفة النفاق، حديث رقم (٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١) ص ١٣٣ ـ ١٣٤.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٤٢٢٣) ١٥/١٥.

(١) في الأصل العبارة سقيمة ونصها: . . . دنياه لحصول ضرره يحتمل ثواب ما لا بد منه من المنفعة.
ولعل ما أثبتناه يكون أقرب شيء إلى ما قصده ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(٢) في الأصل: الذي.

(٣) في الأصل: فالذي يطلب به النعيم فلا بد أن يكون المرء عارف.
ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) في الأصل: . . . وبطريقة لا يحصله إن لم يعلم.
ولعل ما أثبته أقرب شيء إلى المقصود.

(٥) في الأصل: والصبر الصبر، ولعل ما أثبته بين القوسين يستقيم به الكلام.

والمقدمتان اللتان[1] التي بنيت عليهما هذه البليّة مبناهما[2] على الجهل بأمر الله ونهيه / وبوعده ووعيده. فإنّ صاحبهما[3] إذا اعتقد أنه قائم بالدين الحق، فقد اعتقد أنه فاعل للمأمور[4]، تارك للمحظور، [وهو على العكس من ذلك][5]، وهذا يكون من جهله بالدين الحق.

ص ١٨٠

وإذا اعتقد أنّ صاحب الحقّ لا ينصره الله في الدنيا، بل قد تكون العاقبة في الدنيا للكفار على المؤمنين، ولأهل الفجور على أهل البر، فهذا من جهله بوعد الله تعالى.

أما الأول: فما أكثر مَنْ يترك واجبات لا يعلم بها ولا بوجوبها، وما أكثر مَنْ يفعل محرمات لا يعلم بتحريمها، بل ما أكثر مَنْ يعبد الله بما حَرَّم ويترك ما أوجب، وما أكثر مَنْ يعتقد أنه هو المظلوم المحقّ من كلّ وجه، وأنّ خصمه هو الظالم المبطل من كلّ وجه، ولا يكون الأمر كذلك، بل يكون معه نوع من الباطل والظلم، ومع خصمه نوع من الحق والعدل.

وحبّك الشيء يعمي ويصم، والإنسان مجبول على محبة نفسه، فهو لا يرى إلاّ محاسنها، ومبغض لخصمه، فلا يرى إلاّ مساوئه. وهذا الجهل غالبه مقرون بالهوى والظلم، فإنّ الإنسان ظلوم جهول.

وأكثر ديانات الخلق إنما هي عادات أخذوها عن آبائهم وأسلافهم، وتقليدهم في التصديق والتكذيب، والحب والبغض والموالاة والمعاداة.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾

---

(١) في الأصل: والمقدمتان المقدمتان التي، وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) في الأصل: مبناها.
(٣) في الأصل: صاحبها.
(٤) في الأصل: فقد اعتقد أنه قائم بالأمور. ولعل الصواب ما أثبته.
(٥) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة، يستقيم بها الكلام.

[لقمان: ٢١]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكّٖ مِّنْهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى: ١٤].

وأما الثاني: فما أكثر مَنْ يظنّ أنّ أهل الدين الحق في الدنيا يكونون أذلاّء معذّبين بما فيه، بخلاف مَنْ فارقهم إلى طاعة أخرى وسبيل آخر، ويكذِّب بوعد الله بنصرهم.

والله سبحانه قد بيّن بكتابه كلا المقدمتين فقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

وقال تعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣].

وقال تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥﴾﴾ [المجادلة: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢٠ ـ ٢١].

وقال تعالى في كتابه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥ ـ ٥٦].

وذم مَنْ يطلب النصرة بولاء غير هؤلاء، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ

يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [المائدة: ٥١ ـ ٥٣].

وقال تعالى في كتابه: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٨ ـ ١٣٩].

وقال تعالى في كتابه: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى في كتابه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

وقال في كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨]

وقال تعالى في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٤].

وقال تعالى في كتابه: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال تعالى في كتابه: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: ٢٢ ـ ٢٣].

وقال تعالى في كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾ [الحشر: ٢] إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ [الحشر: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وَقَالَ تعالى لما قص قصة نوح، وهي نصره على قومه في الدنيا، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨] إلى قوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٥]،

وقال يوسف ـ وقد نصره الله في الدنيا لما دخل عليه إخوته ـ: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٩٠].

وقال تعالى في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

وقد روي عن أبي ذر، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو عمل الناس كلهم بهذه الآية لوسعتهم**» رواه ابن ماجه وغيره[1].

وأخبر أنّ ما يحصل له من مصيبة انتصار العدو وغيرها، إنما هو بذنوبهم، / فقال تعالى في يوم أحد: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. ظ ١٨١

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

---

(١) رواه النسائي في سننه الكبرى، في كتاب التفسير، من سورة الطلاق، باب (٣٩٥) قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، حديث رقم (١١٦٠٣) ٦/ ٤٩٤.
وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (٢٤) الورع والتقوى، حديث رقم (٤٢٢٠) بتحقيقي.
وأحمد في المسند ٥/ ١٧٨ ـ ١٧٩.
والدارمي في كتاب الرقاق، باب (١٦) في تقوى الله، حديث رقم (٢٧٢٥) ٢/ ٣٩٢.
وأحمد في الزهد، حديث رقم (٧٨٩) ص٢١٣.
والخطيب في تاريخه ٥/ ٤١٣.
وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة، حديث رقم (٩) ص٣٢.
والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٢.
وسنده ضعيف، فيه:
١ ـ أبو السليل: لم يدرك أبا ذر.

وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الروم: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ [الشورى: ٣٤].

وَذَمَّ في كتابه مَنْ لا يثق بوعده لعباده المؤمنين، وذكر ما يصيب الرسل والمؤمنين، فقال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الأحزاب: ١٠ - ١٤].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

[وقال تعالى:](١) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١٠٩ - ١١١].

---

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

ولهذا أمر الله رسوله والمؤمنين باتباع ما أنزل إليهم، وهو طاعته، وهو المقدمة الأولى. وأمرهم / بانتظار وعده، وهي المقدمة الثانية، وأمرنا بالاستغفار والصبر؛ لأنهم لا بدّ أن يحصل لهم تقصير وذنوب[1] فيزيله الاستغفار، ولا بدّ مع انتظار الوعد من الصبر، فبالاستغفار تتمّ الطاعة، وبالصبر[2] يتمّ اليقين بالوعد، وإن كان هذا كلّه يدخل في مسمى الطاعة والإيمان.

ص ١٨٢

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس: ١٠٩].

وقال[3] تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

وأمرهم ـ أيضاً ـ بالصبر إذا أصابتهم مصيبة بذنوبهم، مثل ظهور العدو، وكما قال تعالى في قصة أُحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩ ـ ١٤١].

وأيضاً فقد قصَّ سبحانه في كتابه نصره لرسله ولعباده المؤمنين على الكفّار في قصة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وفرعون وغير ذلك. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النور: ٣٤].

---

(١) في الأصل: من نصر وسكون، وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: فالاستغفار يتم الطاعة، والصبر. . .

(٣) في الأصل: قال.

وهذا يتبين بأصلين:

أحدهما: أنّ حصول النصر وغيره من أنواع النعيم لطائفة أو شخص لا ينافي ما يقع في خلال ذلك من قتل بعضهم وجرحه ومن أنواع الأذى، وذلك أنّ الخلق كلّهم يموتون، فليس في قتل الشهداء مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبني آدم، فمن عدّ القتل في سبيل الله مصيبة مختصة بالجهاد كان من أجهل الناس، بل الفتن التي تكون بين الكفار وتكون بين المختلفين من أهل القبلة ليس مما يختص بالقتال، / فإنّ الموت يعرض لبني آدم بأسباب عامة، وهي المصائب[1] التي تعرض لبني آدم من مرض بطاعون وغيره، ومن جوع وغيره، وبأسباب خاصة، فالذين يعتادون القتال لا يصيبهم أكثر مما يصيب مَنْ لا يقاتل، بل الأمر بالعكس، كما قد جرَّبه الناس.

ظ ١٨٢

ثم موت الشهيد من أيسر الميتات، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الأحزاب: ١٦ - ١٧].

فأخبر سبحانه أنّ الفرار من القتل أو الموت لا ينفع، فلا فائدة فيه، وأنه لو نفع لم ينفع إلاّ قليلاً، إذ لا بدّ من الموت.

وأخبر أنّ العبد لا يعصمه من الله [أحد][2] إن أراد به سوءاً أو أراد به رحمة، وليس له من دون الله ولي ولا نصير، فأين نفر من أمره وحكمه؟ ولا ملجأ منه إلاّ إليه، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات: ٥٠] وهذا أمر يعرفه الناس من أهل طاعة الله وأهل معصيته، كما قال أبو حازم الحكيم: «لما يلقى

---

(١) في الأصل: وهي الطوافات. ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام، ليست في المخطوطة.

الذي لا يتقي الله من معالجه الخلق أعظم مما يلقاه الذي يتقي الله من معالجة التقوى».

والله تعالى قد جعل أكمل المؤمنين إيماناً أعظمهم بلاءً، كما قيل للنبي ﷺ: أيّ الناس أشدّ بلاء؟.

قال: «**الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خُفِّف عنه، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة**»[1].

ومن هذا أنّ الله شرع من عذاب الكفّار بعد نزول التوراة بأيدي المؤمنين في الجهاد ما لم يكن قبل ذلك، حتى إنه قيل: لم ينزل بعد التوراة عذاب عام من السماء للأمم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص: ٤٣].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب (٥٦) ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم (٢٣٩٨) ٤/ ٦٠١ ـ ٦٠٢.
والنسائي في كتاب الطب، من سننه الكبرى، كما في التحفة ٣/ ٣١٨.
وابن ماجه في كتاب الفتن، باب (٢٣) الصبر على البلاء، حديث رقم (٤٠٢٣) بتحقيقي.
والدارمي في كتاب الرقاق، باب (٦٧) في أشدّ الناس بلاء، حديث رقم (٢٧٨٣) بتحقيقي.
وأحمد في المسند ١/ ١٧٢ ـ ١٧٤ ـ ١٨٠ ـ ١٨٥.
والطحاوي ٣/ ٦١.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٢٩٠٠ ـ ٢٩٠١) ٧/ ١٦٠ ـ ١٦١. وحديث رقم (٢٩٢٠) ٧/ ١٨٣ ـ ١٨٤.
والحاكم ١/ ٤٠ ـ ٤١.
والبيهقي ٣/ ٣٧٢.
والبغوي (١٤٣٤).
وسنده حسن لأجل عاصم بن بهدلة. وله طرق أخرى يصح بها، وشواهد يتأيد بها. انظر تخريجنا لسنن ابن ماجه.

فإنه قبل[1] ذلك قد أهلك قوم فرعون وشعيب ولوط وعاد وثمود وغيرهم، ولم يهلك الكفار بجهاد المؤمنين. ولما كان موسى أفضل من هؤلاء، وكذلك محمد، وهما الرسولان المبعوثان بالكتابين العظيمين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [المزمل: ١٥].

ص ١٨٣ / وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ﴾ [القصص: ٤٨] إلى قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ﴾ [القصص: ٤٩].

وأمر الله هذين الرسولين بالجهاد على الدين. وشريعة محمد ﷺ أكمل، فلهذا كان الجهاد في أمته أعظم منه في غيرهم.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال[2] تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ﴾ [التوبة: ٥٢].

فالجهاد للكفار أصلح من هلاكهم بعذاب سماءٍ من وجوه:

أحدها: أنّ ذلك أعظم في[3] ثواب المؤمنين وأجرهم وعلو درجاتهم، لما يفعلونه من الجهاد في سبيل الله، لأن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كلّه لله.

---

(١) في الأصل: قبل.
(٢) في الأصل: قال.
(٣) في الأصل: منى.

والثاني: أنّ ذلك أنفع للكفار - أيضاً -؛ فإنهم قد يؤمنون من الخوف، ومن أُسر منهم وسيم[1] من الصغار يُسلم - أيضاً -، وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال أبو هريرة: «وكنتم خير الناس للناس تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة»[2] فصارت الأمة بذلك خير أمة أخرجت للناس، وأفلح بذلك المقاتلون، وهذا هو مقصود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا من معنى كون محمد ﷺ ما أُرسل إلاّ رحمة للعالمين، فهو رحمة في حقّ كلّ أحد بحسبه حتى المكذّبين له، هو في حقّهم رحمة أعظم مما كان غيره.

ولهذا لما أرسل الله إليه مَلَك الجبال وعرض عليه أن يقلب عليهم الأخشبين قال: «**لا، استأني بهم، لعل الله أن يخرج من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده لا شريك له**»[3].

---

(١) في الأصل: وستى.

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب (٧) ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، حديث رقم (٤٥٥٧) ٨/ ٢٢٤.
والنسائي في كتاب التفسير من سننه الكبرى، باب (٦٤) كنتم خير أمة أخرجت للناس. حديث رقم (١١٠٧١) ٦/ ٣١٣.
وعزاه في الدر المنثور ٢/ ٦٤ للفريابي، وعبد بن حميد، والبخاري، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه -.

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب (٧) إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء. . . ، حديث رقم (٣٢٣١) ٦/ ٣١٢ - ٣١٣.
وفي كتاب التوحيد، باب (٩) ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، حديث رقم (٧٣٨٩) ١٣/ ٣٧٢ - ٣٧٣.
ومسلم في كتاب الجهاد، باب (٣٩) ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، حديث رقم (١٧٩٥) ٣/ ١٤٢٠ - ١٤٢١.
وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢١٣).
وابن خزيمة في التوحيد ص٤٧ - ٤٨.
والآجري في الشريعة ص٤٥٩.
والبيهقي في الأسماء والصفات ص١٧٦.

=

الوجه الثالث: أنّ ذلك أعظم عزّة للإيمان وأهله، وأكثر لهم، فهو يوجب من علو الإيمان وكثرة أهله ما لا يحصل بدون ذلك، وأمر المنافقين والفجار بالمعروف ونهيهم عن المنكر هو من تمام الجهاد، وكذلك إقامة الحدود.

ظ ١٨٣ ومعلوم أنّ في الجهاد وإقامة / الحدود من إتلاف النفوس والأطراف والأموال ما فيه، فلو بلغت هذه النفوس [النصر][1] بالدعاء ونحوه من غير جهاد، لكان[2] ذلك من جنس نصر[3]الله للأنبياء المتقدمين من أممهم لمَّا أهلك نفوسهم وأموالهم.

وأما النصر بالجهاد وإقامة الحدود فذلك من جنس نصرالله لما يختص به رسوله، وإن كان محمد ﷺ وأمته منصورين بالنوعين جميعاً، لكن يُشرع في الجهاد باليد ما لا يشرع في الدعاء[4].

وأما الأصل الثاني: فإنّ التنعم [إما][5] بالأمور الدنيوية، وإما بالأمور الدينية.

فأما الدنيوية فهي الحسية: مثل الأكل والشرب والنكاح واللباس وما يتبع ذلك، والنفسية: وهي الرياسة والسلطان.

فأما الأولى: فالمؤمن والكافر والمنافق مشتركون في جنسها، ثم يُعلم أنّ التنعيم بها ليس هو حقيقة واحدة مستوية في بني آدم، بل هم متفاوتون في قدرها ووصفها تفاوتاً عظيماً.

فإنّ من الناس مَنْ يتنعّم بنوع من الأطعمة والأشربة الذي يتأذَّى

= وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦٥٦١) ١٤/ ٥١٦ ـ ٥١٧.
من حديث عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ وأوله: «لقد لقيت من قومك، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة.. الحديث».

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة يستقيم بها الكلام.
(٢) في الأصل: كلن. وهو تحريف.
(٣) في الأصل: انتصار.
(٤) في الأصل: في الدعاء في الجهاد باليد.
ويبدو أن عبارة: «في الجهاد باليد» المكررة زائدة.
(٥) ما بين القوسين زيادة ليستقيم بها الكلام.

بها غيره، إمّا لاعتياده ببلده، وإما لموافقته مزاجه، وإمّا لغير ذلك[١].

ومن الناس مَنْ يتنعَّم بنوع من المناكح لا يحبها غيره، كمن سكن البلاد الجنوبية فإنه يتنعّم بنكاح السُّمر، ومَنْ سكن البلاد الشمالية فإنه[٢] يتنعّم بنكاح البيض.

وكذلك اللباس والمساكن، فإنّ أقواماً يتنعّمون من البُرد بما يتأذّى به غيرهم وأقواماً يتنعّمون [من المساكن][٣] بما يتأذّى به غيرهم، بحسب العادة والطباع.

وكذلك الأزمنة، فإنه [في] الشتاء[٤] يتنعّم الإنسان بالحر، وفي الصيف يتنعّم بالبرد.

وأصل ذلك أنّ التنعّم في الدنيا بحسب الحاجة إليها والانتفاع بها، فكلّ ما كانت الحاجة أقوى والمنفعة أكثر كان التنعّم واللذة أكمل، والله قد أباح للمؤمنين الطيبات.

فالذين يقتصدون في المآكل نعيمهم بها أكثر من نعيم المسرفين[٥] فيها، فإنّ أولئك إذا أدمنوها وألفوها لا يبقى لهذا عندهم كبير لذة، مع أنهم قد لا يصبرون عنها، وتكثر[٦] أمراضهم بسببها.

وأما الدين[٧] فجماعه شيئان: تصديق الخبر، وطاعة الأمر.

ومعلوم أنّ التنعّم بالخبر بحسب شرفه وصدقه، والمؤمن معه من الخبر الصادق عن الله وعن مخلوقاته ما ليس مع غيره، فهو من أعظم

---

(١) في الأصل: وإما لغير الله.. وهو تحريف. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: فإن.

(٣) ما بين القوسين زيادة ليستقيم بها الكلام.

(٤) في الأصل: فإن الشتاء.

(٥) في الأصل: المشرفين. وهو تحريف.

(٦) في الأصل: وتكبر.

(٧) أي: الأمور الدينية.

الناس نعيماً بذلك، بخلاف مَنْ يكثر في أخبارهم الكذب.

ص ١٨٤ وأما طاعة الأمر، فإن من كان ما يؤمر به صلاحاً / وعدلاً ونافعاً يكون تنعمه به أعظم من تنعّم[1] مَنْ يؤمر بما ليس بصلاح ولا عدل ولا نافع.

وهذا من الفرق بين الحق والباطل، فإنّ الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ [محمد: ١ ـ ٣].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩].

وتفصيل ذلك أنّ الحق نوعان: حقّ موجود، وحقّ مقصود، وكلّ منهما ملازم للآخر.

فالحقّ الموجود هو الثابت في نفسه، فيكون العلم به حقاً، والخبر عنه حقاً.

والحقّ المقصود هو النافع، الذي إذا قصده الحي انتفع به، وحصل له النعيم.



---

(١) في الأصل: ينعم.

فصل
[ابتلاء الله عباده في الدنيا من السراء والضراء للاختبار والامتحان]

ومما يُظهر الأمر ما ابتَلَى الله به عباده في الدنيا من السراء والضراء، وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥ ـ ١٧].

يقول الله سبحانه: ليس الأمر كذلك، ليس إذا ما ابتلاه فأكرمه ونعمه يكون ذلك إكراماً مطلقاً، وليس إذا [ما] قدر[1] عليه رزقه يكون ذلك إهانة، بل هو ابتلاء في الموضعين، وهو الاختبار والامتحان، فإنْ شَكَرَ الله على الرخاء، وصبر على الشدة، كان كلّ واحد من الحالين خيراً له[2]، كما قال النبي ﷺ: «**لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلاّ كان خيراً له وليس ذلك لأحدٍ إلاّ للمؤمن، إن أصابته سرَّاء فشكر كان خيراً[3] له، وإن أصابته ضرَّاء فصبر كان خيراً[4] له**»[5]، وإن لم

(١) في الأصل: إذا بقدر. . . وهو تحريف.

(٢) في الأصل: خير له. وهو خطأ.

(٣) في الأصل: خير، وهو خطأ.

(٤) في الأصل: خير وهو خطأ.

(٥) رواه مسلم في كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم (٢٩٩٩) ٤/٢٢٩٥.

=

يشكر ولم يصبر كان كلّ[1] واحد من الحالين شرًّا له.

وقد تنازع الناس فيما ينال الكافر في الدنيا من التنعّم، هل هو نعمة في حقه أم لا؟ على قولين. وكان[2] أصل النزاع بينهم هو النزاع في القدرة.

ظ ١٨٤ والقدرية الذين / يقولون: لم يرد الله لكلّ أحد إلاّ خيراً له بخلقه

= وأحمد في المسند ٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ و٦/ ١٥ ـ ١٦.
والدارمي في سننه، في كتاب الرقاق، حديث رقم (٢٧٧٧) ٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٠.
والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٧٣١٦ ـ ٧٣١٧) ٨/ ٤٧.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٢٨٩٦) ٧/ ١٥٥ ـ ١٥٦.
والبيهقي في سننه ٣/ ٣٧٥.
من حديث صهيب رضي الله عنه.
وفي الباب عن:
١ ـ **أنس**: بلفظ: «**عجبت للمؤمن لا يقضي الله له شيئاً إلا كان خيراً له**»:
رواه أحمد في المسند ٣/ ١١٧ ـ ١٨٤ و٥/ ٢٤.
وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٤٢١٧ ـ ٤٢١٨) ٧/ ٢٢٠ ـ ٢٢١. وحديث رقم (٤٣١٣) ٧/ ٢٨٨.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٧٢٨) ٢/ ٥٠٧.
والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (٥٩٦).
والذهبي في السير ١٥/ ٣٤٢.
وفي سنده: أبو بحر مولى لأنس: قال أبو حاتم: صالح.
ويرتقي بما قبله لدرجة الحسن لغيره.
٢ ـ **سعد بن أبي وقاص**: رواه الطيالسي، حديث رقم (٢١١) ص ٢٩.
وأحمد في المسند ١/ ١٧٣ ـ ١٧٧ ـ ١٨٢.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٥٤٠) ٥/ ٤٤٨.
والبيهقي في سننه ٣/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦.
قال في مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٩: «رواه أحمد بأسانيد ورجالها كلها رجال الصحيح» اهـ.

(١) في الأصل: كان على... وهو تحريف.
(٢) في الأصل: وكل. ولعل الصواب ما أثبته.

وأمره، وإنما العبد هو الذي أراد لنفسه الشر بمعصيته، وبترك[1] طاعته التي يستعملها بدون مشيئة الله وقدرته أراد لنفسه الشر.

وهؤلاء يقولون: ما نُعِّم به الكافر فهو نعمة تامة، كما نُعِّم به المؤمن سواءً، إذ عندهم ليس لله نعمة خصّ بها المؤمن دون الكافر أصلاً، بل هما في[2] النعم الدينية سواء، وهو ما بيَّنه من أدلة الشرع والعقل، وما خلقه من القدرة والألطاف، ولكن أحدهما اهتدى بنفسه بغير نعمة أخرى خاصة من الله، والآخر ضلّ بنفسه من غير خذلان يخصّه من الله. وكذلك النعم الدنيوية هي في حقهما[3] على السواء.

والذين ناظروا هؤلاء من أهل الإثبات ربما زادوا في المناظرة نوعاً من الباطل، وإن كانوا في الأكثر على الحق. فكثيراً ما يرد مناظر المبتدع باطلاً عظيماً بباطل دونه.

ولهذا كان أئمة السنة ينهَوْن عن ذلك، ويأمرون بالاقتصاد ولزوم السنة المحضة، وأن لا يُرد باطل بباطل[4].

فقال كثير من هؤلاء: ليس لله على الكافر نعمة دنيوية، كما ليس له عليه نعمة دينية تخصه[5]، إذ اللذة المستعقبة ألماً أعظم منها ليست بنعمة، كالطعام المسموم، وكمن أعطى غيره أموالاً ليطمئنّ ثم يقاتله أو يعذبه.

قالوا: والكافر كانت هذه النعم سبباً في عذابه وعقابه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ

---

(١) في الأصل: ونزل. ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) في الأصل: من. ولعل الصواب ما أثبته.
(٣) في الأصل: في حقها. وهو تحريف.
(٤) في الأصل: وأن لا يرد بباطل بباطل. وهو تحريف.
(٥) في الأصل: تخصهم، وهو تحريف.

فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤ ـ ٤٥].

وخالفهم آخرون من أهل الإثبات للقدر أيضاً، فقالوا: بل لله على الكافر نعم دنيوية.

والقولان في عامة أهل الإثبات من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

قال هؤلاء: والقرآن قد دلّ على امتنانه على الكافر بنعمه ومطالبته إياهم بشكرها، فكيف يقال: ليست نعماً؟! / قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ﴾ [إبراهيم: ٢٨ ـ ٢٩] إلى قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢] إلى قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣]، وكيف يكون كفوراً مَنْ لم ينعم عليه بنعمة؟

ص ١٨٥

فالمراد لازم قول هؤلاء: أنّ الكفار لم يجب عليهم شكر الله؛ إذ لم يكن قد أنعم عليهم عندهم. وهذا القول يُعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام، فإنّ الله ذمّ الإنسان بكونه كفوراً غير شكور، إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ [العاديات: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ

إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ [هود: ٩ ـ ١٠].

وقد قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأعراف: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢].

[وقال][١] الأولون: قد قال تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ والكفار لم يدخلوا في هذا العموم، فعُلم أنهم خارجون عن النعمة.

وقال تعالى في خطابه للمؤمنين: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [طه: ٨١].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ [آل عمران: ١٠٣].

[وقال تعالى][٢]: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ٧].

وقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وأما الكفّار فخوطبوا بها من جهة / ما هي تنعّم ولذة وسرور، ظ ١٨٥

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة ليستقيم الكلام.
(٢) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

ولم تسم في حقّهم نعمة على الخصوص، وإنما تسمى نعمة باعتبار أنها نعمة في حقّ عموم بني آدم؛ لأنّ المؤمن سعد بها في الدنيا والآخرة، والكافر يُنعَّم بها في الدنيا.

وذلك أنّ كفر الكافر نعمة في حق المؤمنين، فإنه لولا وجود الكفر والفسوق والعصيان لم يحصل [جهاد المؤمنين للكفار وأمرهم الفساق والعصاة بالمعروف ونهيهم إياهم عن المنكر][1]، ولولا وجود شياطين الإنس والجن لم يحصل للمؤمنين من بغض هذه الأمور ومعاداتها ومجاهداتها ومخالفة الهوى فيها ما ينالون به أعلى الدرجات وأعظم[2] الثواب.

والإنسان فيه قوة الحب والبغض، وسعادته في أن يحبَّ ما يحبّه اللَّهُ، ويبغض ما يبغضه الله، فإن لم يكن في العالم ما يبغضه ويجاهد أصحابه لم يتمّ إيمانه وجهاده، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

قالوا: ولو كانت هذه اللذات نعماً مطلقة لكانت نعمة الله على أعدائه في الدنيا أعظم من نعمته على أوليائه.

قالوا: ونعمة الله التي بدَّلوها كفراً هي إنزال الكتاب وإرسال الرسول، حيث كفروا بها وجحدوا أنها حقّ، كما قال عليه السلام[3]: **«ألا [لا][4] فخر إني[5] من قريش»**[6].

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة ليستقيم الكلام.
(٢) في الأصل: وعظم.
(٣) في الأصل: كما قال علي عليه السلام.
(٤) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.
(٥) في الأصل: إن.
(٦) روى الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم (٣٨١٤) ٤/ ٤٨٠ ـ ٤٨١ من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «... وقريشاً قسماً، وكانت خيرة الله في قريش، ثم أخرجني من خير من أنا منه». =

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢]، هم الذين كفروا بما أنزل الله من الكتاب والرسل، وتلك نعمة الله المعظَّمة.

وقال تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وحقيقة الأمر: أنَّ هذه الأمور فيها من التنعّم باللذة والسرور في الدنيا ما لا نزاع فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ [المزمل: ١١].

وقال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ٣].

/ وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وهذا أمر محسوس. ص ١٨٦

لكن الكلام في أمرين:

أحدهما: هل هي نعمة أم لا؟

= وفيه من لم أعرفه، كما في مجمع الزوائد ٨/ ٢١٧.

والحديث الذي في صحيح مسلم وغيره: «... واصطفى قريشاً من كنانة.... الحديث».

إلاّ أني لم اهتد لذكر مناسبة هذا الحديث هنا. والله أعلم.

والثاني: أنّ جنس تنعّم المؤمن في الدنيا بالإيمان وما يتبعه: هل هو مثل تنعّم الكافر، أو دونه، أو فوقه؟ وهذه هي المسألة المقدّمة.

فأما الأول: فيقال: اللذات في أنفسها ليست نفس فعل العبد، بل قد تحدث عن فعله مع سبب آخر، كسائر المتولدات التي يخلقها الله تعالى بأسباب منها فعل العبد.

لكن اللذات تارة تكون بمعصية من ترك مأمور، أو فعل محظور، كاللذة الحاصلة بالزنا، وبموافقة [الفسّاق][1]، وبظلم الناس، وبالشرك، والقول على الله بغير علم. فهنا المعصية هي سبب للعذاب الزائد على لذة الفعل. لكن ألم العذاب قد يتقدّم، وقد يتأخّر، وهي تشبه أكل الطعام الطيب الذي فيه من السموم ما يُمرض أو يقتل. ثم ذلك العذاب يمكن دفعه بالتوبة وفعل حسنات أخر.

لكن يقال: تلك اللذة الحاصلة بالمعصية لا تكون معادلة[2] لها ما في التوبة عنها والأعمال الصالحة من المشقة والألم. ولهذا قيل: ترك الذنب أمرّ من التماس التوبة.

وقيل: رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً.

لكن فعل التوبة والحسنات الماحية قد يُوجب من الثواب أعظم من ثواب ترك الذنب أولاً، فيكون ألم التائب أشدّ من التارك إذا استويا من جميع الوجوه، وثوابه أكثر. وكذلك لما[3] يكفِّر الله به الخطايا من المصائب مرارة تزيد على حلاوة المعاصي.

وتارة تكون اللذات بغير معصية من العبد، لكن عليه أن

---

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة ليستقيم الكلام.

(٢) في الأصل: معاومة.

(٣) في الأصل: ما، ولعل الصواب ما أثبته.

يطيع الله فيها، فيتجنب[1] فيها ترك مأموره وفعل محظوره[2]، كما يؤتاه العبد من المال والسلطان، ومن المآكل والمناكح التي ليست بمحرَّمة.

والله سبحانه أمر مع أكل الطيبات بالشكر، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

وفي صحيح مسلم، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**»[3].

وفي الأثر: «**الطاعم الشاكر كالصائم الصابر**» رواه ابن ماجه، عن النبي ﷺ[4].

---

(١) في الأصل: فيعصيه. ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: ونقل مخصوره، وهو تحريف.

(٣) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب (٢٤) استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، حديث رقم (٢٧٣٤) ٤/ ٢٠٩٥.
والترمذي في كتاب الأطعمة، باب (٣) في الحمد على الطعام، حديث رقم (١٨١٧) ٣/ ١٧٢.
وأحمد في المسند ٣/ ١٠٠ ـ ١١٧.
وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٤٣٣٢) ٧/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩.
وحديث رقم (٤٣٣٤) ٧/ ٣٠٠.

(٤) رواه ابن ماجه (١٧٦٤)، وأحمد ٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٩، والترمذي (٢٤٨٦) ٣/ ٣١٤، وأبو يعلى (٦٥٨٢) ١١/ ٤٥٩، وعبد الرزاق في المصنف (١٩٥٧٣)، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣ و٤/ ١٣٦.
وابن حبان في صحيحه (٣١٥) ٢/ ١٦.
والبيهقي في سننه ٤/ ٣٠٦.
والبغوي (٢٨٣٢) ١١/ ٢٨٠.
قال الدارقطني في علله ١٠/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤: يرويه معمر بن راشد، واختلف عنه:
أ ـ فرواه محمد بن ثور، عن معمر، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة.
وتابعه نصر بن علي، عن معتمر، عن معمر. =

وقد قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨].

ولما ضاف النبي ﷺ أبا الهيثم بن التَّيِّهان وجلسوا في الظل، وأطعمهم فاكهة ولحماً، وسقاهم ماء بارداً، قال: «**هذا من / النعيم الذي تسألون عنه**»[1]. ظ ١٨٦

= ب ـ وخالفهم صالح بن حاتم بن وردان: فرواه عن معتمر، عن معمر، عن رجل من غفار، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة.

وهو الصواب.

ويقال: إنّ الرجل الغفاري هذا اسمه محمد بن عبد الرحمن.

وقال معن بن محمد الغفاري: عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة.

قال ذلك الفضل بن موسى السيناني، عن داود العطار، عن ابن جريج، عن معن.

جـ ـ وروي عن ابن جريج، عن معن، فقال: عن سعيد بن المسيب مرسلاً.

والصواب: سعيد المقبري» اهـ.

وانظر العلل لابن أبي حاتم ٢/ ١٣، وفتح الباري ٩/ ٥٨٣.

(١) جزء من حديث طويل رواه أبو داود في كتاب الأدب. باب (١٢٣) في المشورة، حديث رقم (٥١٢٨) ٤/ ٣٣٣ بلفظ: «المستشار مؤتمن». فقط.

والترمذي في كتاب الزهد، باب (٣٩) ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم (٢٣٦٩) ٤/ ٥٨٣ ـ ٥٨٥.

وفي كتاب الاستئذان، والآداب، باب (٥٧) ما جاء أن المستشار مؤتمن، حديث رقم (٢٨٢٢) ٥/ ١٢٥ بلفظ: «المستشار مؤتمن».

وفي الشمائل، باب (٥٢) ما جاء في عيش رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣٧٤) ص٤٥٦ ـ ٤٦٠ بطوله بتحقيقنا.

والنسائي في كتاب الوليمة. كما في التحفة ١٠/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨.

وفي كتاب التفسير، من سننه الكبرى، حديث رقم (٧١٧) ٢/ ٥٤٨.

وابن ماجه في كتاب الأدب، باب (٣٧) المستشار مؤتمن، حديث رقم (٣٧٤٥) ببعضه.

وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٢٥٠) ١/ ٢١٤ ـ ٢١٥.

والبخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٢٥٦) ص٩٩.

والحاكم في المستدرك ٤/ ١٣١.

وأبو الشيخ في الأمثال ص١٩.

والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٥٧٠) ١٩/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧. =

والسؤال عنه لطلب شكره، لا لإثم فيه. فالله تعالى يطلب من عباده شكر نعمه، وعليه أن لا يستعين بطاعته على معصيته، فإذا ترك ما وجب عليه في[1] نعمته من حق، واستعان بها على محرّم، صار فعله بها وتركه لما فيها سبباً للعذاب أيضاً، فالعذاب استحقه ـ بترك المأمور وفعل المحظور ـ على النعمة التي هي من فعل الله تعالى، وإن كان فعله وتركه بقضاء الله وقدره: بعلمه ومشيئته وقدرته وخلقه.

فإنّ حقيقة الأمر أنه نعَّم العبد تنعيماً، وكان ذلك التنعيم سبباً لتعذيبه أيضاً، فقد اجتمع في حقه تنعيم وتعذيب، ولكن التعذيب إنما كان بسبب معصيته، حيث لم يؤدِّ حق النعمة، ولم يتقِ الله فيها.

وعلى هذا، فهذه التنعّمات هي نعمة من وجه دون وجه، فليست من النعم المطلقة، ولا هي خارجة عن جنس النعم مطلقها ومقيّدها: فباعتبار ما فيها من التنعّم يصلح أن يُطلب حقّها من الشكر وغيرها، ويُنهى عن استعمالها في المعصية، فتكون نعمة في باب الأمر والنهي، والوعد والوعيد.

وباعتبار[2] أنّ صاحبها يترك فيها المأمور ويفعل فيها المحظور الذي يزيد عذابه على نعمها كانت وبالاً عليه، وكان أن لا يكون ذلك

= والطبري في تفسيره ١٢/ ٦٨١ ـ ٦٨٢.
والطحاوي في المشكل، حديث رقم (٤٧٢) ١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠.
والبيهقي في السنن ١٠/ ١١٢.
وفي الشعب ٤/ ١٤٤ ـ ١٤٦ ـ ٣٢٤.
وفي الآداب، حديث رقم (٢٤٨) ص١٥٧ ـ ١٥٨ بتمامه.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٣٦١٢) ١٣/ ١٨٩ ـ ١٩٠.
وفي تفسيره ٤/ ٥٢١ ـ ٥٢٢.
وله طرق وشواهد يرتقي بها. انظر تخريجنا للشمائل.

(١) في الأصل: من.
(٢) في الأصل: وباعتبار بها.

من حقه خيراً له من أن يكون، فليست نعمة في حقه في باب القضاء والقدر، والخلق والمشيئة العامة، وإن كان ذلك يكون نعمة في حق عموم الخلق والمؤمنين، وعلى هذا يظهر ما تقدّم من خيرات الله[1]، فإنّ ذلك استدراج، ومكر، وإملاء.

وهذا الذي ذكرناه من ثبوت الإنعام بها من وجه، وسلبه من وجه آخر، مثل ما ذكر الله في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥ ـ ١٧]، فإنه قد أخبر أنه أكرمه، وأنكر قول المبتلي: رَبِّي أَكْرَمَنِ، واللفظ الذي أخبر الله به مثل اللفظ الذي أنكره الله من كلام المبتلى، لكن المعنى مختلف. فإنّ المبتلى اعتقد أنّ هذه كرامة[2] مطلقة، وهي النعمة: التي يقصد بها [أن][3] النِّعَمَ إكرامٌ له[4]، والإنعام بنعمة لا يكون سبباً لعذاب أعظم منها، وليس الأمر كذلك، بل الله تعالى ابتلاه بها ابتلاءً، ليتبين هل يطيعه فيها أم يعصيه، مع علمه بما سيكون من الأمرين، لكن العلم بما سيكون شيء، وكون الشيء / والعلم به شيء. ص ١٨٧

وأما قوله تعالى: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ فإنه تكريم بما فيه من اللذات، ولهذا قرنه بقوله: ﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾، ولهذا كانت[5] خوارق العادات التي تسميها العامة: «كرامة» ليست عند أهل التحقيق كرامة مطلقاً، **بل في الحقيقة الكرامة هي: لزوم الاستقامة، وهي طاعة الله**، وإنما هي مما يبتلي الله به عباده، فإن أطاعه بها رفعه[6]، وإن عصاه بها

---

(١) في الأصل: ما يقدم من خير الله. ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) في الأصل: هذا إكرامه. ولعل الصواب ما أثبته.
(٣) ما بين القوسين زيادة ليستقيم بها الكلام.
(٤) في الأصل: إكرام عليه.
(٥) في الأصل: كان.
(٦) في الأصل: رفعة.

خفضه[1]، وإن كانت من آثار طاعة أخرى، كما قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٦ - ١٧].

وإذا كان في النعمة والكرامة هذان الوجهان[2]، فهي في باب الأمر والشرع نعمة [يجب][3] الشكر عليها، وفي باب الحقيقة القدرية لم تكن[4] لهذا الفاجر بها إلاّ فتنة ومحنة استوجب بمعصية الله فيها العذاب، وهي في ظاهر الأمر قبل أن يعرف حقيقة الباطن ابتلاء وامتحان، يمكن أن تكون[5] من أسباب سعادته، ويمكن أن تكون من أسباب شقاوته، وظهر بها جانب الابتلاء بالمرّ، فإنّ الله يبتلي بالحلو والمر، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

فمن ابتلاه الله بالمرّ: بالبأساء والضراء والبأس، وقدر عليه رزقه، فليس ذلك إهانة له، بل هو ابتلاء. فإن أطاع الله في ذلك كان سعيداً، وإن عصاه في ذلك كان شقياً، كما كان مثل ذلك[6] سبباً للسعادة في حقّ الأنبياء والمؤمنين، وكان شقاءً وسبباً للشقاء في حقّ الكفّار والفجّار.

وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ

---

(١) في الأصل: حفظة.
(٢) في الأصل: هذين الوجهين. وهو خطأ.
(٣) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.
(٤) في الأصل: يكن.
(٥) في الأصل: يكون.
(٦) في الأصل: لما كان ذلك مثل ذلك.

خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦].

وكما أنّ الحسنات، وهي المسارّ[1] الظاهرة التي يبتلى بها العبد، تكون عن طاعات فعلها العبد، فكذلك السيئات، وهي المكاره التي يُبتلى بها العبد، تكون عن معاصي فعلها العبد. كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨].

ثم تلك المسار، التي هي من ثواب طاعته، إذا عصى الله فيها

---

(١) فوق كلمة «المسار» كتب في الأصل: كذا. والمقصود بها الأمور السارة.

ظ ١٨٧ **كانت / سبباً لعذابه، والمكاره التي هي عقوبة معصيته إذا أطاع الله فيها كانت سبباً لسعادته، فتدبّر هذا لتعلم أنّ الأعمال بخواتيهما، وأنّ ما ظاهره نعمة هو لذة عاجلة قد تكون سبباً للعذاب، وما ظاهره عذاب وهو ألم[١] عاجل قد يكون[٢] سبباً للنعيم. وما هو طاعة ـ فيما يرى الناس ـ قد يكون سبباً لهلاك العبد برجوعه عن الطاعة، إذا ابتُلي في هذه[٣] الطاعة، وما هو معصية ـ فيما يرى الناس ـ قد يكون سبباً لسعادة العبد بتوبته منه، وتصبّره على المصيبة، التي [هي][٤] عقوبة ذلك الذنب.**

فالأمر والنهي يتعلّق بالشيء الحاصل، فيؤمر العبد بالطاعة مطلقاً، وينهى عن المعصية مطلقاً، ويؤمر بالشكر على كلّ ما يتنعّم به.

وأما القضاء والقدر: وهو[٥] علم الله وكتابه، وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه، فهو باعتبار الحقيقة الآجلة، فالأعمال بخواتيهما، والمنعَم عليهم في الحقيقة هم الذين يموتون على الإيمان.

وقد يُذكر تنازع الناس في هذا الباب:

فالمثبتة للقضاء والقدر من متكلّمة أهل الإثبات وغيرهم يلاحظون القدر من علم الله وكتابه ومشيئته وخلقه، وقد يعرضون عمَّا جاء به الأمر والنهي، والوعد والوعيد، وعن الحكمة العامة، وما في تفصيل ذلك من الحكم الخاصة.

وأما مَنْ لم يلاحظ إلاّ الأمر والنهي والوعيد فقط من القدرية ومَنْ ضاهاهم في حاله، فقد كفر بما وجب عليه الإيمان به من

---

(١) في الأصل: المر. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته. أو يكون: وهو مرّ عاجل.
(٢) في الأصل: تكون.
(٣) في الأصل: في بره.
(٤) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.
(٥) في الأصل: هو.

خلق الله وكتابه ومشيئته، وتدبيره لعباده المؤمنين الذين سبقت لهم منه الحجة بتدبير[1] خاص، ومن قضائه على الكفار بما هو فيه عدل سبحانه، كما في الحديث المرفوع: «**ماضٍ فينا أمرك، عدلٌ فينا قضاؤك**»[2]، ولا يظلم ربك أحداً.

---

(١) في الأصل: بتدبر.

(٢) جزء من حديث طويل رواه أحمد في المسند ١/ ٣٩١ ـ ٤٥٢.
وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩٣١٨) ٦/ ٤٠.
وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٥٢٩٧) ٩/ ١٩٨ ـ ١٩٩.
والبزار في مسنده، حديث رقم (٣١٢٢) ٤/ ٣١.
وابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٣٤٠) ص١٢٢ ـ ١٢٣.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٩٧٢) ٣/ ٢٥٣.
وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة، حديث رقم (٤٩) ص٥٧ ـ ٥٨.
والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (١٠٣٥٢) ١٠/ ٢٠٩ ـ ٢١٠.
وفي الدعاء، حديث رقم (١٠٣٥) ٢/ ١٢٤٩.
والهيثم بن كليب في مسنده، حديث رقم (٢٨٢) ١/ ٣١٨ ـ ٣٢٠.
والحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٩.
والشجري في أماليه ١/ ٢٢٩.
والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٣٠ ـ ٣٢.
والمقدسي في العدة، حديث رقم (١) ص٣٣ ـ ٣٤.
وفي الترغيب في الدعاء، حديث رقم (١٣٦) ص٢٦٦ ـ ٢٦٧.
قلت: في سنده:
١ ـ أبو سلمة الجهني: مجهول. قاله الحسيني.
وقال مرة: لا يدرى من هو، انظر الإكمال ص٥١٧، وتعجيل المنفعة ص٤٩٠ ـ ٤٩١.
لكن تابعه عليه: عبد الرحمن بن إسحاق: فرواه عن القاسم، عن أبيه، عن ابن مسعود مرفوعاً:
رواه البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٣١.
وعبد الرحمن: ضعيف، انظر التهذيب ٦/ ١٣٦ ـ ١٣٧، والتقريب ١/ ٣٧٢.
٢ ـ وقد اختلف في سماع عبد الرحمن، من أبيه، انظر تهذيب التهذيب ٦/ ٢١٥ ـ ٢١٦.
٣ ـ وقد اخلف في وصله وإرساله:
يرويه القاسم بن عبد الرحمن، واختلف عنه: =

وإذا عُرف أنّ كلّ واحد من الابتلاء بالسراء والضراء قد يكون في باطن الأمر مصلحة للعبد أو مفسدة له، وأنه إن أطاع الله بذلك كان مصلحة له، وإن عصاه كان مفسدة له - **تبين أنّ الناس أربعة أقسام**:

منهم: مَنْ يكون صلاحه على السراء.

ومنهم: مَنْ يكون صلاحه على الضراء.

ومنهم: مَنْ يصلح على هذا وهذا.

ومنهم؛ مَنْ لا يصلح على واحد منهما.

والإنسان الواحد قد تجتمع له هذه الأحوال الأربعة في أوقات متعددة، أو في وقت واحد باعتبارها[1] أنواع يبتلى بها.

= أ - فرواه فضيل بن مرزوق،عن أبي سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود.
وتابعه محمد بن صالح الواسطي: رواه عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم، عن أبيه، عن ابن مسعود.
ب - وخالفهما علي بن مسهر: فرواه عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم، عن ابن مسعود مرسلاً.
قال الدارقطني: «وإسناده ليس بالقوي» اهـ.
انظر العلل للدارقطني ٥/١٩٩ - ٢٠١.
قلت: وفي الباب عن:
أبي موسى الأشعري: رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٣٣٩) ص١٢٢.
وفي سنده: عبد الله بن زبيد: مجهول الحال، لم يوثّقه غير ابن حبان.
انظر التاريخ الكبير ٣/١/٩٥، والجرح والتعديل ٢/٢/٦٢، والثقات لابن حبان ٧/٢٣.
قلت: فبانضمام حديثي ابن مسعود وأبي موسى يرتقي لدرجة الحسن لغيره، والله تعالى أعلم بالصواب.
وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٣٣٦ - ٣٤٠ رقم (١٩٩).

(١) في الأصل: باغيار.

وقد جاء في الحديث المرفوع: **«إنّ من عبادي مَنْ لا يصلحه إلاّ الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي مَنْ لا يصلحه إلاّ الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي مَنْ لا يصلحه إلاّ السقم، ولو أصححته لأفسده ذلك، وذلك أني أدبّر عبادي، إني بهم خبير بصير»**[1].

ص ١٨٨ فكما أنّ التنعم العاجل ليس بنعمة في / الحقيقة، قد يكون في الحقيقة بلاءً وشراً باعتبار[2] المعصية فيه. والطاعة المتقدمة قد تكون حابطة وسبباً للشر باعتبار ما يعقبها من ردة وفتنة[3]، فكذلك التألّم العاجل قد يكون[4] في الحقيقة خيراً أو نعمة، والمعصية المتقدمة قد تكون سبباً للخير باعتبار التوبة والصبر على ما تعقبه من مصيبة[5]، لكن

---

(١) جزء من حديث رواه ابن أبي الدنيا في الأولياء. حديث رقم (١) ص٩، مطولاً.
وأبونعيم في الحلية ٨/٣١٨ - ٣١٩ مطولاً.
والأصبهاني في الترغيب (٢٠٤).
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٢٤٩) ٥/٢١ - ٢٣ مطولاً.
وابن بلبان في المقاصد السنية، حديث رقم (١٦) ص١٤٠ - ١٤١.
والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (٤٥٦) ٢/٣٢٧ ببعضه.
وسنده ضعيف:
١ - الحكم بن موسى: قال أبو داود: ليس بشيء.
٢ - الحسن بن يحيى الخشني: ضعيف.
٣ - هشام الكناني: غير معروف.
وانظر مجمع الزوائد ١٠/٢٧٠، وفتح الباري ١١/٣٤٢. ورواه الطبراني في الأوسط، حديث رقم (٦١٣) ١/٣٦ بأوله فقط من طريق عمر بن سعيد الدمشقي، عن صدقة، عن عبد الكريم الجزري، عن أنس وفي الباب عن عمر: رواه الخطيب في تاريخه ٦/١٥.
(٢) في الأصل: فاعتبار. وهو تحريف.
(٣) في الأصل: ما تعقبه من ردة وفتنته. وهو تحريف.
(٤) في الأصل: تكون.
(٥) في الأصل: محبة ولعل الصواب ما أثبته.

تتبدل[1] الطاعة والمعصية.

وهذا يقتضي أنّ العبد محتاج في كلّ وقت إلى الاستعانة بالله على طاعته، وتثبيت قلبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وذلك أنّ الإنسان[2] هو كما وصفه الله بقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ [هود: ٩ ـ ١٠].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ١١].

فأخبر أنه عند الضرّاء بعد السّراء، ييأس من زوالها في المستقبل ويكفر بما[3] أنعم الله به عليه قبلها، وعند النعماء بعد الضرّاء يأمن من عود [الضراء][4] في المستقبل، وينسى ما كان فيه بقوله: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]: على غيره، يفخر عليهم بنعمة الله عليه.

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢١] فأخبر أنه جزوع عند الشر لا يصبر عليه، منوع عند الخير يبخل به.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ [العاديات: ٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

---

(١) في الأصل: تبدل. ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) في الأصل: الاثنين. وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبته.
(٣) في الأصل: ما.
(٤) ما بين القوسين زيادة لتستقيم العبارة.

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

وقال: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقد وصف المؤمنين بأنهم صابرون في البأساء والضراء وحين البأس، والصابرون في النعماء أيضاً بقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ١١] والصبر في السراء قد يكون أشدّ، ولهذا قال مَنْ قال من الصحابة: «ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر».

وكان النبي ﷺ يستعيذ بالله من فتنة الفقر وشر فتنة الغنى[1]. وقال لأصحابه: «**والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخاف أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على مَنْ كان قبلكم، فتتنافسوا فيها كما تنافسوا فيها، وتهلككم كما أهلكتهم**»[2].

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٦٣٦٦) ١١/ ١٧٤.
ومسلم (٥٨٩) ٤/ ٢٠٧٨ ـ ٢٠٧٩، وأبو داود (١٥٤٣) ٢/ ٩١، والترمذي (٣٤٩٥) ٥/ ١٨٦، والنسائي ٨/ ٢٦٢ ـ ٢٦٦، وابن ماجه (٣٨٣٨) ٢/ ١٢٦٢، وعبد الله السجستاني في مسند عائشة (٦٤) ص٧٧، وإسحاق في مسند عائشة (٢٤٦)، وأحمد ٦/ ٥٧ ـ ٢٠٧.
والبغوي (١٣٥٧)، ٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجزية، باب (١) الجزية والموادعة، حديث رقم (٣١٥٨) ٦/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨.
وفي كتاب المغازي، باب (٢) حديث رقم (٤٠١٥) ٧/ ٣١٩ ـ ٣٢٠.
وفي كتاب الرقاق، باب (٧) ما يحذر من زهرة الدنيا، حديث رقم (٦٤٢٥) ١١/ ٢٤٣.
ومسلم في كتاب الزهد، في فاتحته، حديث رقم (٢٩٦١) ٤/ ٢٢٧٣ ـ ٢٢٧٤.
والترمذي حديث رقم (٢٤٦٢) ٤/ ٦٤٠ ـ ٦٤١.
وابن ماجه في سننه (٣٩٩٧). =

فمن لم يتصف بحقيقة الإيمان هو إما قادر وإما عاجز. فإن كان قادراً أظهر ما في نفسه بحسب قدرته من: الفواحش، والإثم، والبغي، والإشراك بالله، والقول عليه بغير علم، ومن ترك القسط، وترك إقامة الوجه عند كلّ / مسجد، ودعاء الله مخلصاً له الدين، ثم يكون شرّهم بحسب كلّ منهم، من حيث نفوسهم وقدرتهم[1]، فإنّ العبد لا يفعل إلاّ بقدرة وإرادة، فمَنْ كان أقدر وأفجر كان أمره أشدّ، كفرعون وأمثاله من الجبَّارين المتكبرين، لاَيصبرون عن أهوائهم، ولا يتقون الله.

ظ ١٨٨

وأما المؤمن فإنه مع قدرته يفعل ما أمر الله به من البر والتقوى، دون ما نَهى عنه من الإثم والعدوان.

ثم أولئك الذين لم يتصفوا بحقيقة الإيمان - بل فيهم من الفجور: كفر أو نفاق أو فسوق ما فيهم - إذا كانوا عاجزين عن إرادتهم، لا يقدرون على أهوائهم بنوع من أنواع القدرة، تجدهم أذلّ الناس وأطوع الناس لمن[2] يستعملهم في أغراضهم، وأجزع الناس لما أصابهم، ذلك أنه ليس في قلوبهم من الإيمان ما يعتاضون به، وتستغني به نفوسهم، ويصبرون به عمَّا لا يصلح لهم.

وهذه حال الأمم البعيدين عن العلم والإيمان، كالترك التتار [والعرب][3] في جاهليتهم، فإنهم أعزّ الناس إذا قدروا، وأذل الناس إذا قُهروا.

= والنسائي في كتاب السير من سننه الكبرى، باب (١١٣) أخذ الجزية من المجوس. وأحمد في المسند ٤/ ١٣٧.
والبيهقي ٩/ ١٩٠ - ١٩١.

(١) في الأصل: بحسب أمر من حيث نفوسهم وقدرتهم.
ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: من.

(٣) ما بين القوسين زيادة ليست في الأصل لتستقيم العبارة.

وأما المؤمنون، فكما قال تعالى لهم وقد غلبوا: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فهم الأعلون إذا كانوا مؤمنين ولو غلبوا.

وقال كعب بن زهير[١] في صفة الصحابة[٢]:

ليسوا مفاريحَ إنْ نالَتْ رِمَاحُهُمُ ... يوماً وليسوا مجازيعاً إذا نِيلُوا

ولهذا كان المشروع في حقّ كلّ ذي إرادة فاسدة من الفواحش والظلم والشرك والقول بلا علم ـ أحد أمرين:

إما إصلاح إرادته.

وإما منع قدرته، فإنه إذا اجتمعت القدرة مع إرادته الفاسدة حصل الشر.

وأما ذو الإرادة الصالحة فتؤيد قدرته حتى يتمكن من فعل الصالحات، وذو القدرة الذي لا يمكن سلب قدرته يُسعى في إصلاح إرادته بحسب الإمكان.

فالمقصود تقوية الإرادة الصالحة والقدرة عليها بحسب الإمكان، وتضعيف الإرادة الفاسدة والقدرة معها بحسب الإمكان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا مما يظهر به حسن حال المؤمن وترجحه في النعيم واللذة على الكافر في الدنيا قبل الآخرة، وإن كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

فأما ما وُعد به المؤمن بعد الموت من كرامة الله، [فإنه][٣]

---

(١) في الأصل: ابن مالك. والتصويب من هامش الأصل، وفيه: صوابه ابن زهير.
(٢) البيت في شرح ديوان كعب، لأبي الحسن بن الحسين السكري ص٢٥.
(٣) ما بين القوسين زيادة ليست في الأصل.

تكون الدنيا[1] بالنسبة إليه سجناً، وما للكافر بعد الموت من عذاب الله، [فإنه][2] تكون الدنيا جنة[3] بالنسبة إلى ذلك.

وذلك أنّ الكافر صاحب الإرادة الفاسدة إما عاجز وإما قادر، فإن كان عاجزاً تعارضت إرادته [وقدرته] حتى لا يمكنه الجمع بينهما، ، [وإن كان قادراً أقبل على الشهوات وأسرف في] التذاذه بها ولا يمكنه تركها[4].

/ ولهذا تجد القوم[5] من الظالمين أعظم الناس فجوراً وفساداً[6] وطلباً لما يروّحون به أنفسهم من مسموع ومنظور ومشموم ومأكول ومشروب، ومع هذا فلا تطمئن[7] قلوبهم بشيء من ذلك، هذا فيما ينالونه[8] من اللذة، وأما ما يخافونه من الأعداء، فهم أعظم الناس خوفاً، ولا عيشة لخائف. وأما العاجز منهم فهو في عذاب عظيم، لا يزال في أسف على ما فاته وعلى ما أصابه.

ص ١٨٩

وأما المؤمن فهو مع مقدرته له من الإرادة الصالحة والعلوم النافعة ما يوجب طمأنينة قلبه وانشراح صدره بما يفعله من الأعمال الصالحة، وله من الطمأنينة وقرة العين ما لا يمكن وصفه، وهو مع

---

(١) في الأصل: تكون في الدنيا.

(٢) ما بين القوسين زيادة ليست في الأصل.

(٣) في الأصل: تكون في الدنيا جنته.

(٤) في الأصل: اضطربت السطور الأخيرة وجاء الكلام فيها ناقصاً محرفاً هكذا: «وذلك أنّ الكافر صاحب الإرادة الفاسدة: إما قادر وإما عاجر (وتحتهما علامة التقديم والتأخير) فإن كان قادراً تعارضت إرادته حتى لا يمكنه الجمع بينهما وسهاون حتى يقلد التذاذه بها أو يعدم ولا يمكنه تركها».
ولعلّ ما أثبته هو أقرب شيء إلى الصواب إن شاء الله تعالى.

(٥) في الأصل: القول. وهو تحريف.

(٦) في الأصل: صحو وبلا. وهو تحريف، ولعل الصواب ما أثبته.

(٧) في الأصل: بتطمين. وهو تحريف.

(٨) في الأصل: يتاولونه وهو تحريف، ولعل الصواب ما أثبته.

عجزه أيضاً [له][1] من أنواع الإِرادات الصالحة والعلوم النافعة التي يتنعَّم بها ما لا يمكن وصفه.

وكلّ هذا محسوس مجرَّب، **وإنما يقع غلط أكثر الناس أنه قد أحس بظاهرٍ من لذات أهل الفجور وذاقها، ولم يذق لذات أهل البر ولم يخبرها**، ولكن أكثر الناس جهال، كما لا يسمعون ولا يعقلون، وهذا الجهل لعدم شهود حقيقة الإيمان ووجود حلاوته وذوق طعمه، انضم إليه ـ أيضاً ـ جهل كثير من المتكلمين في العلم بحقيقة ما في أمر [الله][2] من المصلحة والمنفعة، وما في خلقه ـ أيضاً ـ لعبده المؤمن من المنفعة والمصلحة، فاجتمع الجهل[3] بما أخبر الله به من خلقه وأمره، وما أشهده عباده من [حقيقة الإيمان] ووجود [حلاوته][4] مع ما في النفوس من الظلم، مانعاً للنفوس من عظيم نعمة الله وكرامته ورضوانه، موقعاً لها في بأسه وعذابه وسخطه.

وذلك أنّ الناس لما خاضوا في مسائل القدر، ولِم يخلق الله ويأمر، ونحو ذلك، بغير هدًى من الله، فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً.

فزعم فريق أنه لا يخلق أحداً من الأشخاص إلاّ لأجل مصلحة المخلوق / ولا يأمره إلاّ لأنّ أمره مصلحة له ـ أيضاً ـ، وإنما العبد هو الذي صرف عن نفسه المصلحة وفعل المفسدة[5] بغير قدرة الرب وبغير مشيئته، وهم إنما قصدوا بها تنزيه الربّ عن الظلم والعيب، ووصفه بالحكمة والعدل والإحسان، لكن سلبوه علمه[6] وقدرته

ظ ١٨٩

(١)(٢) ما بين القوسين زيادة ليستقيم الكلام.
(٣) في الأصل: فاجتمع أهل الجل. وهو خطأ.
(٤) في الأصل العبارات محرفة مضطربة هكذا: «وما أشهده عباده من موجوده بمكان هذا الجهل». ولعل الصواب ما أثبته.
(٥) في الأصل: «وإنما العبد هو الذي صرف عن نفسه مصلحة وفعل مفسد مشقة». هي عبارات محرفة، ولعل الصواب ما أثبته.
(٦) في الأصل: عمله. وهو تحريف.

وكتابته[1] وخلقه، ونفوا[2] مشيئته وعمومها:

فقال قوم منهم: إنه لا يعلم ولا يكتب ما يكون من العباد حتى يفعلوه[3].

وقال آخرون: بل علم ذلك وعلم أنهم لا يطيعونه، ولا يفعلون إلاّ ما يضرّهم، ومع هذا فقصد تعريفهم بالخلق والأمر للمنفعة الخالصة الدائمة.

فقال لهم الناس: مَنْ علم أنّ مقصوده من الخير لا يكون، وقد سعى في حصوله بمنتهى قدرته، كان من أجهل الفاعلين وأسفههم، فنزهوه عن قليل من السفه بالتزام ما هو أكثر منه، وزعموا أنه لا يقدر إلاّ على ما فعل بهم، فسلبوه قدرته.

فردّ على هؤلاء طائفة من أهل الإثبات، فأثبتوا عموم قدرته وعموم مشيئته وخلقه وعلمه القديم، وكلّ هذا حسن موافق للكتاب والسنة، وهو مع تمام الإيمان القدر: بعلم الله القديم، ومشيئته، وخلقه، وقدرته على كلّ شيء، لكن ضموا إلى ذلك أشياء ليست من السنة.

فإنه من السنة أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وألاّ يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وأنه يأمر العباد بطاعته، ومع هذا يهدي مَنْ يشاء ويضل مَنْ يشاء، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥].

فزعموا مع ذلك أنه يخلق الخلق لا لحكمة في خلقهم، ولا لرحمته لهم، بل قد يكون خلقهم ليضرّهم[4] كلّهم، وهذا عندهم

---

(١) في الأصل: وكتابه. ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: ونقود. وهو تحريف. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل: حتى فعلوه. وهو خطأ.

(٤) في الأصل: لنصرهم، وهو تحريف، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

حكمة، فلم ينّزهوه عما نزَّه [عنه][1] نفسه من الظلم، حيث أخبر أنه إنما يجزي الناس بأعمالهم، وأنه لا يزر وازرة وزر أخرى، وأنه مَنْ يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً.

بل زعموا أنّ كلّ مقدور عليه فليس بظلم، مثل تعذيب الأنبياء والمرسلين، وتكريم الكفار والمنافقين، وغير ذلك مما نزَّه الله نفسه عنه، فلم يكن الظلم الذي نزّه الله نفسه عنه حقيقة عند هؤلاء، إذ كلّ ما يمكن ويقدر عليه فليس بظلم. فقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [غافر: ٣١]، / عندهم: لا يريد[2] ما لا يكون ممكناً مقدوراً عليه، وهو عندهم[3] لا يقدر على الظلم حتى يكون تاركاً له، وزعموا أنه قد يأمر العباد بما لا يكون مصلحة لهم ولا لواحد منهم، لا يكون الأمر مصلحة، ولا يكون فعل المأمور به مصلحة، بل قد يأمرهم بما إن فعلوه[4] كان مضرة لهم، وإن لم يفعلوه عاقبهم [به][5]، فيكون العبد فيما يأمره به بين ضررين: ضرر إن أطاع، وضرر إن عصى. ومَنْ كان كذلك كان أمره للعباد مضرّة لهم، لا مصلحة لهم.

ص ١٩٠

وقالوا: يأمر بما يشاء، وأنكروا أن يكون في الأحكام الشرعية من العلل المناسبة للأحكام من جلب المنافع ودفع المضار ما تبقى [الأحكام] الشرعية[6] ممكنة به، حتى كان منهم مَنْ دفع علل الأحكام بالكلية.

---

(١) ما بين القوسين زيادة ليستقيم بها الكلام.
(٢) في الأصل: «عندهم فقوله قوله لا يريد».
ولعل الصواب ما أثبته.
(٣) في الأصل: وهو عندهم عليه وهو عندهم... ولعل الصواب ما أثبته.
(٤) في الأصل: بما به إن فعلوه.
(٥) ما بين القوسين زيادة ليست في الأصل لتستقيم العبارة.
(٦) في الأصل: ما هي الشرعية. ولعل الصواب ما أثبته.

ومنهم مَنْ قال: العلل مجرد علامات ودلالات على الحكم؛ لأنها أمور تناسب الحكم وتلائمه، وهم يجوِّزون مع هذا ألاَّ يكون للعبد ثواب ومنفعة في فعل المأمور به، لكن لما جاءت الشريعة بالوعد قالوا[١]: هو موعود بالثواب الذي وُعد به.

وربما قالوا: إنه في الآخرة فقط، فإنّ الفعل المأمور به قد[٢] لا يكون [فيه][٣] مصلحة للعباد ولا منفعة لهم بحال، ولا يكون فيه[٤] تنعّم لهم ولا لذّة بحال، بل قد يكون مضرّة لهم ومفسدة في حظهم، ليس فيه ما ينفعهم[٥]، ومعلوم أنه إذا اعتقد المرء [أنّ][٦] طاعة الله ورسوله فيما أمراه [به][٧] قد لا يكون [فيها][٨] مصلحة له ولا منفعة، ولا فيها تنعّم ولا لذّة[٩] ولا راحة، بل يكون [فيها][١٠] مفسدة له ومضرّة عليه،وليس فيها إلاّ ألمه[١١] وعذابه، كان هذا من أعظم الصوارف له عن فعل ما أمر الله به ورسوله، ثم إنْ كان ضعيف الإِيمان بالوعيد والوعد ترك الدين بالكلية، وإن كان مؤمناً بالوعيد صارت دواعيه مترددة بين هذا العذاب وذلك العذاب، وإن كان مؤمناً بوعد الآخرة فقط اعتقد أنه لا تكون له[١٢] في الدنيا مصلحة ولا

---

(١) في الأصل: قال.
(٢) في الأصل: فقد.
(٣) ما بين القوسين زيادة لتستقيم العبارة.
(٤) في الأصل: كأن العبارة: فلا يكون لله. ولعل الصواب ما أثبته.
(٥) في الأصل: كأنها: يؤلمهم. ولعل الصواب ما أثبته.
(٦) ما بين القوسين زيادة ليتقسم بها الكلام.
(٧) في الأصل: فيما أمره، ولعل الصواب ما أثبته.
(٨) ما بين القوسين زيادة ليست في الأصل ليستقيم بها الكلام.
(٩) في الأصل: لعزه: وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبته.
(١٠) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة ليستقيم بها الكلام.
(١١) في الأصل: كأنها: ليس فيها إله. ولعل الصواب ما أثبته.
(١٢) في الأصل: في الآخرة فقط. ثم فرح أن يكون له. ولعل الصواب ما أثبته.

منفعة[1]، بل [لا][2] تكون المصلحة والمنفعة في الدنيا إلاّ لمن كفر أو فسق وعصى.

ظ ١٩٠ وهذا ـ أيضاً ـ وإن كان / هو غاية حال هؤلاء ـ، فهو مما يصرف النفوس عن طاعة الله ورسوله، ويبقي العبد المؤمن متردّد الدواعي بين هذا وهذا. وهو لا يخلو من أمرين:

إما أن يرجّح جانب الطاعة التي يستشعر أنه ليس فيها طول عمره له مصلحة ولا منفعة ولا لذة، بل عذاب وألم، بل مفسدة ومضرة، وهذا لا يكاد يصبر عليه أحد.

وإما أن يرجح جانب المعصية تارة أو تارات أو غالباً، ثم إنّ أحسن أحواله مع ذلك أن ينوي التوبة قبيل موته.

ولا ريب إن كان ما قاله هؤلاء حقاً فصاحب هذه الحال أكيس وأعقل ممن محَّض طاعة الله طول عمره، إذ أنّ هذا[3] سلم من عذاب ذلك المطيع في الدنيا، ثم إنه بالتوبة أحبط عنه العقاب، وأبدل الله سيئاته بالحسنات، فصارت جميع سيئاته حسنات، فصار ثوابه في الآخرة قد يكون أعظم وأعظم من ثواب ذلك المطيع الذي محَّض الطاعة، ولو كان ثوابه دون ثواب ذلك[4] لم يكن التفاضل بينهم إلاّ كتفاضل أهل الدرجات في الجنة، وهذا مما يختاره أكثر الناس على مكابدة العذاب والشقاء والبلاء بطول العمر، إذ هو أمر لا يصبر عليه أحد، فإنّ مصابرة العذاب ستين أو سبعين سنة بلا مصلحة ولا منفعة ولا لذة أمر ليس هو من جِبِلَّة الأحياء، إذا جوِّزوا أن لا يكون في شيء من طاعة الله مصلحة ولا منفعة طول عمره.

---

(١) في الأصل: مصلحة بلا منفعة. ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) ما بين القوسين زيادة ليستقيم بها الكلام.
(٣) في الأصل: إذا أهنا. وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبته.
(٤) في الأصل: ولو كان ثوابه دون ذلك ثواب ذلك. ولعل الصواب ما أثبته.

وهؤلاء يجعلون العباد مع الله بمنزلة الأُجراء مع المستأجرين، كأنّ الله استأجرهم طول مقامهم في الدنيا ليعملوا ما لا ينتفعون به، ولا فيه لربهم منفعة، ليعوضهم مع ذلك بعد الموت بأجرتهم، وفي هذا من تشبيه الله[1] بالعاجز الجاهل السفيه ما يجب تنزيه الله عنه، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

والحق الذي يجب اعتقاده أنّ الله سبحانه إنما أرسل رسوله رحمة للعالمين، وأنّ إرسال الرسل وإنزال الكتب / رحمة عامة للخلق ص ١٩١ أعظم من إنزال المطر وإطلاع البذر، وإن يحصل بهذه الرحمة ضرر لبعض النفوس[2].

ثم إنه سبحانه ـ كما قال قتادة وغيره من السلف ـ: لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليه، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلاً منه[3]، بل أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم.

وفي الحديث الصحيح، حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «**يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا، يا عبادي كلّكم جائع إلاّ مَنْ أطعمته فاستطعموني أطعمكم.**

يا عبادي كلّكم ضال إلاّ مَنْ هديته فاستهدوني أهدكم.

يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً.

يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر

---

(١) في الأصل: أمر السنة لله. وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: وأن يحصل بهذه الرحمة نصر (بدون نقط) وبعض النفوس. ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل: بخلافه. ولعل الصواب ما أثبته.

قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً.

يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد يسألوني فأعطيت كلَّ إنسان منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئاً إلاّ كما ينقص البحر إذا غُمس فيه المخيط غمسة واحدة.

يا عبادي إنما هي أعمالكم ترد عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومَنْ وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلاّ نفسه»[1].

وقال تعالى في وصف النبي الأمي: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالى لما ذكر[2] الوضوء: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

فأخبر أنه لا يريد أن يجعل علينا من حرجٍ فيما أمرنا به، وهذه نكرة مؤكدة بحرف «مِنْ»[3]، فهي تنفي كلّ حرجٍ، وأخبر أنه إنما يريد تطهيرنا وإتمام نعمته علينا.

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، حديث رقم (٢٥٧٧).
والبخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٤٩٠).
والترمذي في كتاب صفة القيامة، حديث رقم (٢٤٩٥).
وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٥٧).
وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (٢٠٢٧٢).
وأحمد في المسند ٥/ ١٦٠.
والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٤٦٣).
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦١٩) ٢/ ٣٨٥ (الإحسان).
والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٤١.
وأبو نعيم في الحلية ٥/ ١٢٥ ـ ١٢٦.
(٢) في الأصل: لما ذكروا.
(٣) في الأصل: وهذه يكره موركدة يحترف من.

=

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ﴾ [الحج: ٧٨].

فقد أخبر أنه ما جعل علينا في الدين من حرج نفياً عاماً مؤكداً، فمن اعتقد أنّ فيما أمر الله به مثقال ذرة من حرج فقد كذَّب الله ورسوله، فكيف بمن اعتقد [أنّ][1] المأمور به قد يكون فساداً وضرراً لا منفعة فيه ولا مصلحة لنا، ولهذا [لمَّا][2] لم يكن فيما أمر الله ورسوله حرج علينا، لم يكن الحرج من ذلك إلاّ من النفاق، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقال الله تعالى فيما أمر به من الصيام: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فإذا كان لا يريد فيما أمرنا به ما يعسر علينا، فكيف يريد ما يكون ضرراً وفساداً لنا بما أمرنا به إذا أطعناه فيه؟!!

ثم إنه يكون قد أخبر أنّ الإيمان والطاعة خير من الكفر والمعصية للعبد في الدنيا والآخرة، وإن كان لجهله يظن أنّ ذلك خير له[3] في الدنيا، كما يقوله هؤلاء الذين فيهم جهل ونفاق، الذين قد يقولون: إنّ المأمور به قد لا يكون فيه للعبد مصلحة ولا منفعة طول عمره، بل يكون ذلك في المنهي عنه، فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ

= وفوق حرف «من» كتب «كذا».
وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

(١) ما بين القوسين زيادة ليستقيم الكلام.
(٢) ما بين القوسين زيادة لتستقيم العبارة.
(٣) في الأصل: خيراً له. وهو خطأ.

﴿ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ خَلَـٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢]. فأخبر أنهم يعلمون أنَّ هذه الأمور لا تنفع[1] بعد الموت، بل لا يكون لصاحبها نصيب في الآخرة، وإنما طلبوا بها منفعة الدنيا، وقد يسمّون ذلك: العقل المعيشي، أي: العقل الذي يعيش به الإنسان في الدنيا عيشة طيبة، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: ١٠٣]، فأخبر أنّ أولياء الذين آمنوا وكانوا يتقون، ينبههم[2] على [أنّ في][3] ذلك ما هو خير لهم مما طلبوه في الدنيا لو كانوا يعلمون، فيحصل لهم في الآخرة[4] من الخير الذي هو المنفعة ودفع المضرة ما هو أعظم ممَّا يحصلوه/ بذلك من خير الدنيا.

ص ١٩٢

كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: ٥٦]، ثم قال: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

---

(١) في الأصل: لا ينفع.

(٢) في الأصل: يبههم. وهو تحريف.

(٣) ما بين القوسين زيادة ليست في الأصل ليستقيم الكلام.

(٤) في الأصل: في الدنيا. وهو خطأ. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٧ ـ ١٤٨].

وقال عن إبراهيم: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل: ١٢٢].

وقد قال تعالى ما يبيّن به أنّ فعل المكروه من المأمور خير من تركه في الدنيا أيضاً. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦ ـ ٦٨].

وهذا في سياق حال: ﴿ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، وهؤلاء منافقون من أهل الكتاب.

والمشركون حالهم أيضاً شبيه[١] بحال الذين نبذوا كتاب الله وراءهم ظهرياً كأنهم لا يعلمون: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فإنّ أولئك عدلوا عمّا في كتاب الله إلى اتباع الجبت، والطاغوت، والسحر، والشيطان. وهذه حال الذين أوتوا نصيباً من الكتاب الذين يؤمنون بالجبت والطاغوت، وحال الذين يتحاكمون إلى الطاغوت من المظهرين [للإيمان][٢] بالله ورسله فيها من حال هؤلاء.

(١) في الأصل: شبههم. وهو تحريف، ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) ما بين القوسين زيادة ليست في المخطوطة.

والطاغوت كلّ معظّم ومتعظّم بغير طاعة الله ورسوله، من إنسان أو شيطان أو شيء من الأوثان.

وهذه حال كثير ممن يشبه اليهود من المتفقهة والمتكلمة وغيرهم ممن فيه نوع نفاق من هذه الأمة، الذين يؤمنون بما خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أنواع الجبت والطاغوت، والذين يريدون أن يتحاكموا إلى غير كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦١ ـ ٦٢] أي: هؤلاء لم يقصدوا ما فعلوه من العدل عن طاعة الله ورسوله إلى اتّباع ما اتبعوه من الطاغوت إلاّ لما ظنّوه من جلب منفعة لهم ودفع مضرّة عنهم، مثل طلب علم وتحقيق، كما يوجد في صنف المتكلمة، ومثل طلب أذواق ومواجيد، كما يوجد في صنف المتعبّدة، ومثل طلب شهوات ظاهرة وباطنة، كما يوجد في صنف الذين يريدون العلو، والذين يتبعون شهوات الغي[1].

ظ ١٩٢

قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] أي: ضلّوا عن مطلوبهم الذي هو جَلْبُ المنفعة ودَفْعُ المضرة، فإنّ ذلك إنما هو في طاعة الله ورسوله دون اتباع الطاغوت، فإذا عاقبهم الله بنقيض مقصودهم في الدنيا فأصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم، قالوا: ما أردنا بما فعلنا[2] إلاّ إحساناً: أي: أردنا الإحسان إلى نفوسنا لا ظلمها، وتوفيقاً، أو جمعاً بين هذا وهذا، لتجتمع الحقائق والمصالح.

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾

(١) في الأصل: الغني. وهو تحريف.

(٢) في الأصل: ما أردنا إلاّ بما فعلناه. وهو خطأ.

[النساء: ٦٣] من الاعتقادات الفاسدة والإرادات الفاسدة: الظن وما تهوى الأنفس: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤] فدعاهم سبحانه بعدما فعلوه من النفاق إلى التوبة، **وهذا من كمال رحمته بعباده، يأمرهم قبل المعصية بالطاعة، وبعد المعصية بالاستغفار، وهو رحيم بهم في كلا الأمرين: بأمره لهم بالطاعة أولاً برحمته، وأمرهم بالاستغفار من رحمته، فهو سبحانه رحيم بالمؤمنين الذين أطاعوه أولاً، والذين استغفروه ثانياً.**

فإذا كان رحيماً بمن يطيعه، والرحمة توجب إيصال[1] ما ينفعهم إليهم، ودفع ما يضرهم عنهم، فكيف يكون المأمور به مشتملاً على ضررهم دون منفعتهم؟

وقوله: (جاؤوك): المجيء إليه في حضوره معلوم كالدعاء إليه، وأما في مغيبه ومماته[2] فالمجيء إليه كالدعاء إليه والرد إليه. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٦١]. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] / وهو الرد والمجيء إلى ما بُعث به من الكتاب والحكمة، وكذلك المجيء إليه[3] لمن ظلم نفسه هو الرجوع إلى ما أمره به، فإذا رجع إلى ما أمره به فإنّ الجائي إلى الشيء في حياته ممن ظلم نفسه يجيء إليه داخلاً في طاعته، راجعاً عن معصيته، كذلك في مغيبه ومماته. ص ١٩٣

---

(١) في الأصل: أفعال. وهو تحريف. وهلالصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: وماته. وهو تحريف.

(٣) في الأصل: المحبة إليه. وهو تحريف.

واستغفار الله موجود في كلّ مكان وزمان، وأما استغفار الرسول فإنه ـ أيضاً ـ يتناول الناس في مغيبه وبعد مماته، فإنه أُمر بأن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، وهو مطيع لله[1] فيما أمره به. والتائب داخل في الإيمان، إذ المعصية تنقص[2] الإيمان، والتوبة من المعصية تزيد في الإيمان بقدرها، فيكون له من استغفار النبي ﷺ بقدر ذلك.

فأما مجيء الإنسان إلى [الرسول ﷺ][3] عند قبره، وقوله: استغفر لي، أو سل لي ربك، أو ادعو لي، أو قوله في مغيبه: يا رسول الله ادع لي، أو استغفر لي، أو سل لي ربك كذا وكذا، فهذا لا أصل له[4]، ولم يأمر الله بذلك، ولا فعله واحد من سلف الأمة المعروفين في القرون الثلاثة، ولا كان ذلك معروفاً بينهم، ولو كان هذا مما يستحب لكان السلف يفعلون ذلك، ولكان ذلك معروفاً فيهم، بل مشهوراً بينهم، ومنقولاً عنهم[5]. فإنّ مثل هذا إذا كان طريقاً إلى غفران السيئات وقضاء الحاجات، [لكان][6] مما تتوفر الهمم والدواعي على فعله وعلى نقله، لا سيما فيمن كانوا أحرص الناس على الخير، فإذا لم يعرف أنهم كانوا يفعلون ذلك، ولا نقله أحد عنهم، [عُلم][7] أنه لم يكن مما يستحب ويؤمر به.

= والإشارة هنا إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية.

(١) في الأصل: الله.

(٢) في الأصل: ينقص.

(٣) ما بين القوسين زيادة ليستقيم الكلام.

(٤) في الأصل: فهذا الأصل له. وهو تحريف.

(٥) انظر في هذه المسألة الهامة «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، والتوسل للشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله تعالى.

(٦) ما بين القوسين زيادة ليستقيم الكلام.

(٧) ما بين القوسين زيادة ليستقيم الكلام.

بل المنقول الثابت عنه ما أمر الله به النبي ﷺ من **نهيه عن اتخاذ قبره عيداً ووثناً، وعن اتخاذ القبور مساجد**[1].

---

(١) ثبت في الصحيحين، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»:

رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب (٥٥)، حديث رقم (٤٣٥ ـ ٤٣٦) ١/ ٥٣٢.

وفي كتاب الجنائز، باب (٦١) ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، حديث رقم (١٣٣٠) ٣/ ٢٠٠.

وباب (٩٦) ما جاء في قبر النبي ﷺ، حديث رقم (١٣٩٠) ٣/ ٢٥٥.

وفي كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٠) ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (٣٤٥٣ ـ ٣٤٥٤) ٦/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥.

وفي كتاب المغازي باب، (٨٣) مرض النبي ﷺ، حديث رقم (٤٤٤١ ـ ٤٤٤٣ ـ ٤٤٤٤) ٨/ ١٤٠.

وفي كتاب اللباس، باب (١٩) الأكسية والخمائص، حديث رقم (٥٨١٥ ـ ٥٨١٦) ١٠/ ٢٧٧.

ومسلم في كتاب المساجد، باب (٣) النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث رقم (٥٢٩) ١/ ٣٧٦.

والنسائي في كتاب المساجد، باب (١٣) النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ٢/ ٤٠ ـ ٤١.

وباب (١٠٦) اتخاذ القبور مساجد ٤/ ٩٥.

والدارمي في كتاب الصلاة، باب (١٢٠) النهي عن اتخاذ القبور مساجد، حديث رقم (١٤٠٣) ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١.

وأحمد في المسند ١/ ٢١٨ و٦/ ٣٤ ـ ٨٠ ـ ١٢٠ ـ ١٤٦ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ـ ٢٥٢ ـ ٢٥٥ ـ ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (٩٧٥٤) ٥/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦٦١٩) ١٤/ ٥٨٦.

والبيهقي في سننه ٤/ ٨٠.

والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٥٠٨) ٤/ ٤١٥.

ورواه مالك في الموطأ، في كتاب قصر الصلاة، باب (٢٤) جامع الصلاة، حديث رقم (٨٥) ١/ ١٧٢ عن عطاء بن يسار مرسلاً.

ورواه أحمد في المسند ٢/ ٢٤٦ عن أبي هريرة بسند صحيح ـ مرفوعاً: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». =

وأما ما ذكره بعض الفقهاء، من حكاية العتبي، عن الأعرابي الذي أتى قبر النبي ﷺ وقال: «يا خير البرية: إنّ الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٦٤]، وإني قد جئت[1].

ظ ١٩٣

وأنه رأى النبي ﷺ / في المنام وأمره أن يبشر الأعرابي[2] - فهذه الحكاية ونحوها مما يذكر في قبر النبي ﷺ وقبر غيره من الصالحين، فيقع مثلهما لمن في إيمانه ضعف، وهو جاهل بقدر الرسول وبما أمر به، فإن لم يُعف [عن] مثل هذا[3] لحاجته، وإلاّ اضطرب إيمانه، وعظم نفاقه، فيكون في ذلك بمنزلة المؤلفة بالعطاء في حياة النبي ﷺ، كما قال: «**إني لأتألف**[4] **رجالاً بما في قلوبهم من الهلع والجزع، وأَكِلُ رجالاً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير**»[5]، مع أنّ أخذ ذلك المال مكروه لهم، فهذه أيضاً مثل هذه الحاجات.

= وروى أبو داود في كتاب المناسك، باب (٩٦) زيارة القبور، حديث رقم (٢٠٤٢) ٢/٢١٨.

وأحمد في المسند ٢/٣٦٧، والبيهقي في حياة الأنبياء (١٤) ص٩٥ عن أبي هريرة مرفوعاً: «**لا تتخذوا قبري عيداً، وصلّوا عليّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**». وسنده صحيح لشواهده، ففي الباب عن علي، والحسن بن حسن بن علي.

(١) كتب في الأصل فوق كلمة «جئت»: كذا.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١/٥٢٠.

(٣) في الأصل كأنها: فإن لم يسعف مثل هذا.
ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) في الأصل: لأتلف (بدون نقط) وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبته.

(٥) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب (٢٩) من قال في الخطبة بعد الثناء، حديث رقم (٩٢٣) ٢/٤٠٣.
وفي كتاب فرض الخمس، حديث رقم (٣١٤٥)، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾. حديث رقم (٧٥٣٥) ١٣.
وابن قانع في معجم الصحابة، ٢/٢١١ - ٢١٢.
وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، حديث رقم (١٦٦٥) ٣/٢٨٥.
وأبو داود الطيالسي، حديث رقم (٢٥٧١) ٢/١٥٢ (منحة المعبود).

وأما المشروع الذي وردت به سنته فهو دعاء المسلم ربه، متوسلاً به، لا دعاؤه[1] في مماته ومغيبه، وهو أن يفعل[2] كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصحّحه أنّ النبي ﷺ علَّم رجلاً أن يقول: «**اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة، يا محمد يا نبي الله: إني أتوسل بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها، اللهم شفّعه فيّ**»[3]. وذلك

---

(١) في الأصل: لا دعاه.

(٢) في الأصل بعد عبارة: «أن يفعل» كرر الناسخ عبارة: «ولا دعاه في مماته ومغيبه».

(٣) رواه البخاري في التاريخ الكبير ٣/ ٢/ ٢١٠
وابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٦٢٨) ص٢٢٢ بدون القصة.
وابن أبي حاتم في العلل ٢/ ١٩٠.
والحاكم في المستدرك ١/ ٥٢٦ - ٥٢٧ بدون القصة.
والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٠٥٠) ٢/ ١٢٨٧ - ١٢٨٩ بطوله.
وفي المعجم الكبير، حديث رقم (٨٣١١) ٩/ ١٧ - ١٨ بطوله.
وفي المعجم الصغير ١/ ١٨٣ - ١٨٤ بطوله.
والبيهقي في الدلائل ٦/ ١٦٧ بالمرفوع فقط. و٦/ ١٦٧ - ١٦٨ بطوله.
والضياء المقدسي في العدة للكرب والشدة، حديث رقم (٢٩) ص٦٤ - ٦٥.
وفي الترغيب في الدعاء، حديث رقم (٦٢) ص١٠٥ - ١٠٩.
وابن عساكر في «أربعون حديثاً»، حديث رقم (١٢) ص٥٣ - ٥٥.
قلت: هذا الحديث بقصته الطويلة ضعيف، فيه:
١ - شبيب بن سعيد: لا بأس به بشرطين:
أ - إذا روى ابنه أحمد عنه.
ب - أن يروي عن يونس بن يزيد. وهنا يروي عن روح بن القاسم.
قال ابن عدي: «كان شبيب إذا روى عنه ابنه أحمد بن شبيب نسخة يونس، عن الزهري إذ هي أحاديث مستقيمة، ليس هو شبيب بن سعيد الذي يحدث عنه ابن وهب بالمناكير التي يرويها عنه» اهـ.
ونقل الذهبي عنه في الميزان ٢/ ٢٦٢ قوله: «كان شبيب لعله يغلط ويهم إذا حدّث من حفظه، وأرجو أن لا يعتمد، **فإذا حدث عنه ابنه أحمد، بأحاديث يونس** فكأنه شبيب آخر - يعني: يجوّد» اهـ.
وانظر الجرح والتعديل ١/ ٢/ ٣٥٩ وفيه: «كان عنده كتب يونس بن يزيد، وهو صالح الحديث..». =

أنّ الله يـقـول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [الـبـقـرة: ٢٥٥]

= وانظر التقريب ١/٣٤٦، وتهذيب التهذيب ٤/٣٠٦ ـ ٣٠٧، وتهذيب الكمال ٢/٥٧١، والكاشف ١/٤٧٩.

٢ ـ انفرد شبيب عن سائر رواة الحديث بذكر هذه القصة، وهو ممن لا يحتمل تفرّده لقلّة ضبطه وسوء حفظه إذ لم يرو عنه ابنه أحاديث يونس.

ولكن المرفوع من هذا الحديث له متابع:

ـ فقد ورد من طريق عمارة بن خزيمة، عن عثمان بن حنيف به:

رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (١١٩)، حديث رقم (٣٥٧٨) ٥/٥٦٩

والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٦٥٨ ـ ٦٥٩) ص٤١٧.

وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب (١٨٩) ما جاء في صلاة الحاجة، حديث رقم (١٣٨٥) بتحقيقي.

وعبد بن حميد في المنتخب من المسند، حديث رقم (٣٧٩) ص١٤٧ ـ ١٤٨.

والبخاري في التاريخ الكبير ٣/٢/٢٠٩ ـ ٢١٠.

والحاكم في المستدرك ١/٣١٣.

والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٨٣١١/٢) ٩/١٩.

وفي الدعاء، حديث رقم (١٠٥١) ٢/١٢٨٩ ـ ١٢٩٠.

وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم (١٢١٩) ٢/٢٢٥ ـ ٢٢٦.

وابن أبي حاتم في العلل ٢/١٨٩ ـ ١٩٠.

والبيهقي في دلائل النبوة ٦/١٦٦.

من طريق حماد وشعبة، عن أبي جعفر، عن عمارة، عن عثمان به.

قال ابن أبي حاتم في العلل ٢/١٨٩ ـ ١٩٠: «سمعت أبا زرعة، وحدثنا بحديث اختلف شعبة وهشام الدستوائي:

فروى شعبة، عن أبي جعفر الخطمي، عن عمارة بن خزيمة، عن عثمان بن حنيف: أنّ رجلاً ضرير البصر... فذكره.

هكذا رواه عثمان بن عمر، عن شعبة، حدثنا به أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان، عن عثمان بن عمر.

ورواه [هشام]، عن أبيه، عن أبي جعفر، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف، عن النبي ﷺ.

فسمعت أبا زرعة يقول: الصحيح حديث شعبة.

قال أبو محمد: حكم أبو زرعة لشعبة، وذلك لم يكن عنده أحد تابع هشام الدستوائي. =

. . . .

= ووجدتُ عندي عن يونس بن عبد الأعلى، عن يزيد بن وهب، عن أبي سعيد التميمي - يعني: شبيب بن سعيد -، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف، عن النبي ﷺ، مثل حديث هشام الدستوائي وأشبع متناً.

وروح بن القاسم: ثقة يجمع حديثه، فاتفاق الدستوائي وروح بن القاسم يدلّ على أنّ روايتهما أصح» اهـ.

وقال الطبراني في الدعاء ٢/ ١٢٩٠: «حدثنا محمد بن أحمد بن البراء، قال: سمعت علي ابن المديني يقول: روى شعبة عن عمار بن خزيمة. فذكر حديث عثمان بن حنيف.

قال علي: ورواه روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي، عن أبي أمامة بن سهل، عن عثمان بن حنيف.

قال علي: وما أرى روح بن القاسم إلاّ قد حفظه» اهـ.

قلت: طريق هشام عن أبي جعفر، عن سهل بن حنيف، عن عثمان بن حنيف:

رواه البخاري في التاريخ الكبير ٣/ ٢/ ٢١٠.

وابن أبي حاتم في العلل ٢/ ١٩٠.

والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٦٦٠) ص٤١٨.

وهشام تابع روحاً في ذكر شيخ أبي جعفر بأنه: سهل بن حنيف. وخالفا شعبة في ذكر شيخ أبي جعفر بأنه عمارة.

ولذلك رجّح علي ابن المديني وابن أبي حاتم رواية روح وهشام على رواية شعبة.

ورجّح أبو زرعة رواية شعبة، وخصوصاً أن حماداً تابع شعبة فيه، كما سبق تخريجه.

ورواية حماد عند: أحمد في المسند ٤/ ١٣٨.

والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٦٥٨).

والبخاري في التاريخ الكبير ٣/ ٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٠.

ورواية شعبة عند: الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، والنسائي في عمل اليوم والليلة، وعبد بن حميد، والطبراني في المعجم الكبير، والدعاء، والحاكم، وابن خزيمة. فالله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

قلت: وفي الباب عن:

عون بن عمارة، عن روح بن القاسم، عن ابن المنكدر، عن جابر: =

وقال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤]، ثم قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

فأقسم بنفسه على أنه نفى إيمان مَنْ لم يجمع أمرين: تحكيمه فيما شجر بينهم، ثم أن لا يجد في نفسه حرجاً. **وهذ يوجب أنه ليس في أمره ونهيه ما يوجب الحرج لمن امتثل ذلك**، فإنّ حكمه لا بد فيه من أمر ونهي، وإن كان فيه إباحة أيضاً، فلو كان المأمور به والمنهي عنه مضرة للعبد ومفسدة، وألماً بلا لذة راجحة، لم يكن العبد ملوماً على وجود الحرج فيما هو مضرّة له ومفسدة.

ولهذا لم يتنازع العلماء أنّ الرضا بما أمر الله به ورسوله واجب محبّب، لا يجوز كراهة ذلك وسخطه، وأنّ محبة ذلك واجبة، بحيث يبغض ما أبغضه الله، ويسخط ما أسخطه الله من المحظور، ويحب ما أحبه، ويرضى ما رضيه الله من المأمور.

وإنما تنازعوا في الرضا بما يقدِّره الحق من الألم بالمرض والفقر: فقيل: هو واجب.

= رواه الطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٠٥٣) ٢/ ١٢٩٠.
ثم قال: «وهم عون في الحديث وهماً فاحشاً» اهـ.
وقال في المعجم الصغير ١/ ١٨٤: «وهم فيه عون بن عمارة، والصواب حديث شبيب بن سعيد» اهـ.
فالخلاصة: أنّ طريق روح ضعيفة سواء بالقصة الطويلة، أم بالمرفوع فقط.
ولكن المرفوع منها يرتقي:
إما بطريق: معاذ، عن أبيه، به: بناءً على ترجيح ابن المديني وأبي حاتم. وإما بطريق: حماد، وشعبة، بناءً على ترجيح أبي زرعة.
فالمرفوع منه يصح، والحمد لله على توفيقه، والله تعالى أعلم بالصواب.

وقيل: هو مستحب، وهو أرجح. والقولان في أصحاب الإمام أحمد وغيرهم. وأما الصبر على ذلك فلا نزاع أنه واجب.

وقد قال تعالى في الأول: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة: ٥٨ ـ ٥٩].

فجعل من المنافقين من سخط فيما منعه الله إياه ورسوله، وحضهم[١] بأن يرضوا بما آتاهم الله ورسوله. والذي آتاه الله ورسوله يتناول ما أباحه دون ما حظره، / ويدخل [في][٢] المباح العام ما أوجبه وما أحبه. ص ١٩٤

وإذا كان الصبر على الضراء ونحو ذلك مما أوجبه الله وأحبّه، كما أوجب الشكر على النعماء وأحبه، كان كلّ من الصبر والشكر مما يجب محبته وعمله[٣]. فيكون ما قُدِّر للمؤمن من سرَّاء معها شكر وضراء معها صبر خيراً له، كما قال النبي ﷺ: «**لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إنْ أصابته سراء فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له**»[٤]. وإذا كان خيراً فالخير هو المنفعة والمصلحة الذي فيه النعيم واللذة كما تقدّم.

فيكون كلّ مقدور قُدِّر للعبد إذا عمل فيه بطاعة الله ورسوله خيراً له، وإنما يكون شراً له لمن عمل بمعصية[٥] الله ورسوله، ومثل ذلك

---

(١) في الأصل: وخصم. وهو تحريف.

(٢) ما بين القوسين زيادة ليستقيم الكلام.

(٣) في الأصل: وعلمه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في الأصل: معصية.

فهو - بحسبه[1] ونيته - بلاء[2] قد يعمل فيه بطاعة الله، وقد يعمل فيه بمعصية الله، فلا يوصف بواحد[3] من الأمرين.

❊ ❊ ❊

(١) في الأصل: يحبه.
(٢) في الأصل: وبلاء.
(٣) في الأصل: بأحد.

فصل

[جميع الحركات ناشئة عن الإرادة والاختيار]

وإذا كان كلّ حركة في الوجود فلا تخلو من أن تكون إرادية أو طبعية أو قسرية، وتبيّن أنّ الطبعية والقسرية فرع[1] وتبع للإرادية - فثبت أنّ جميع الحركات ناشئة عن الإِرادة والاختيار، وذلك يبطل أن يضاف خلق شيء من المخلوقات إلى الطبع الذي في الأجسام، مثل[2] أن يكون الخالق للأجنة في الأرحام هو طبع، أو الخالق[3] للنبات هو طبع، لأنّ الطبع لا يكون مبدءاً لحركة [الجسم][4] وانتقال أصله، إلا إذا أخرج عن طبعه بغير طبعه، كما يُجمع بين الأجسام بالمزج والخلط، فتنتقل عن مراكزها ومحالّها المخالف لمقتضى طبعها[5]، وعند التحقيق يعود الطبع إلى أنه ليس فيها سبب للحركة عن حالها وسكونها، فيكون الطبع بمنزلة السكون وعدم الحركة، أو أمراً[6]

---

(١) في الأصل: نوع. ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: قيل. وهو تحريف، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل: أو خالقه.

(٤) ما بين القوسين زيادة ليست في الأصل ليستقيم الكلام.

(٥) في الأصل: فينقل عن مراكها ومحالها المخالف ليقضى طبعها، وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبته.

(٦) في الأصل: أو أمر. وهو خطأ.

وجودياً منافياً للحركة، فالحركة الواردة عليها مخالفة له[1]، والطبع جمود[2]، وهي [تنتقل][3] عن إرادة وحركة، فعلم بطلان إصابة شيء من الحوادث العرضية[4] عن مجرد الطبع الذي في الموات، فكيف بالحوادث الجوهرية؟!

والإرادة والاختيار مستلزمة للحياة والعلم، كما أنّ الحياة ـ أيضاً ـ مستلزمة للعلم وللإرادة، بل وللإرادة والحركة، كما قرّر ذلك عثمان بن سعيد[5] وغيره من أئمة السنة.

وكما أنّ الحركة مستلزمة للإرادة والحياة، فالحياة ـ أيضاً ـ مستلزمة للحركة والإرادة، ولهذا كان أعظم آية في القرآن: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فالاسم الحيّ مستلزم لصفاته وأفعاله، وهو من أعظم / البراهين العقلية على ثبوت صفات الكمال، والمصحّح لها، والمستلزم ثبوتها ونفي نقيضها، كالعلم والكلام والسمع والبصر وغير ذلك، كما هو مبين في موضعه.

ظ ١٩٤

❁ ❁ ❁

---

(١) أي: للطبع.

(٢) في الأصل: الكلمة غير واضحة، وكأنها: جسمه، ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام.

(٤) في الأصل: الفرضية. وهو تحريف.

(٥) انظر رد الدارمي على بشر المريسي ص١٩. (تحقيق حامد الفقي). والاستقامة لشيخ الإسلام ١/ ٧٠ ـ ٧١.

فصل

[أصل الموالاة: المحبة]

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥١ ـ ٥٦].

وأصل الموالاة هي المحبة، كما أنّ أصل المعاداة البغض، فإنّ التحابّ يوجب التقارب والاتفاق. والتباغض يوجب التباعد والاختلاف، وقد قيل: المولى من الوَلْي: وهو القرب، وهذا يلي هذا، أي: هو يقرب منه[1].

---

(١) الواو واللام والياء: (ولى): أصل صحيح يدلّ على قرب، من ذلك الولي: =

والعَدُوُّ من العُدَواء وهو البعد[1]، ومنه العُدْوَة. والشيء إذا ولي الشيء ودنا منه وقرب إليه اتصل به، كما أنه إذا عُدِّي عنه، ونأى عنه، وبعد منه، كان ماضياً عنه.

فأولياء الله ضد أعدائه، يقرِّبهم منه ويدنيهم إليه، ويتولاّهم ويتولونه، ويحبّهم ويرحمهم، ويكون عليهم منه صلاة، وأعداؤه[2] يبعدهم ويلعنهم، وهو إبعاد منه ومن رحمته، ويبغضهم ويغضب عليهم، وهذا شأن المتوالين والمتعادين[3]. فالصلاة ضدّ اللعنة، والرحمة والرضوان ضدّ الغضب، والسخط والعذاب ضدّ النعيم.

قال تعالى في حقّ الصابرين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٧].

وقال تعالى في حقّ المنافقين: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ [الفتح: ٦].

وقال تَعالى في حقّ المجاهدين: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ

= القرب. يقال: تباعد بعد ولي، أي قرب. وجلس مما يليني: أي: يقاربني. (فكلّ من يليك أو يقاربك فهو ولي.

وفي الصحاح: الولي: ضد العدو.

وقال الراغب: الولاء والتوالي: أن يحصل شيئان، فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما.

ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين. ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد.

انظر معجم مقاييس اللغة ١٤١/٦، والمفردات للراغب ص٥٣٣ ـ ٥٣٤، والكليات ٤/٥، ولسان العرب ٤٠٦/١٥ ـ ٤٠٨، ونزهة الأعين النواظر ص٦١٣ ـ ٦١٤.

وانظر «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ ص٣١ ـ ٣٢.

(١) في الأصل: وهو الأحد منه. والظاهر أنّ «منه» زيادة من الناسخ.

(٢) في الأصل: وأعدائه: وهو خطأ.

(٣) في الأصل: المتوليين والمتعاديين.

وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة: ٢١].

وقال تعالى في قاتل المؤمن متعمّداً: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

والمتلاعنان يقول الرجل في الخامسة: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [النور: ٧] وذلك يكون قاذفاً. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣]، وتقول المرأة في الخامسة: ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [النور: ٩]، لأنه إذا كان صادقاً كانت زانية فاستحقت الغضب الذي هو ضد الرحمة، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ﴾ [النور: ٢]، فنهى عن الرأفة بهما في دين الله.

والمؤمن يغار، والله يغار، وغيرة الله أعظم، كما قد استفاض عن النبي ﷺ في الصحيح من غير وجه أنه قال: «**لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**»[(١)].

وفي بعض[(٢)] الأحاديث الصحاح: «**لا أحد أَغْيَر من الله أن يزني عبده أو تزني أمته**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٣٤ ـ ٤٦٣٧ ـ ٥٢٢٠ ـ ٧٤٠٣)، ومسلم (٢٧٦٠) ٤/ ٢١١٣ ـ ٢١١٤. والترمذي (٣٥٣٠)، والنسائي، وأحمد ١/ ٣٨١ ـ ٤٢٥ ـ ٤٣٦.
والدارمي (٢٢٢٥) ٢/ ٢٠٠، والطيالسي (٢٦٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص٢٨٣، وابن حبان (٢٩٤) ١/ ٥٢٩، والبغوي في شرح السنة (٢٣٧٣) ٩/ ٢٦٩.

(٢) في الأصل: وبعض.

(٣) رواه البخاري (١٠٤٤ ـ ١٠٤٦ ـ ١٠٤٧ ـ ١٠٥٠ ـ ١٠٥٦ ـ ١٠٥٨ ـ ١٠٦٤ ـ ١٠٦٥ ـ ١٠٦٦ ـ ١٢١٢ ـ ٣٢٠٢ ـ ٤٦٢٤ ـ ٥٢٢١ ـ ٦٦٣١).
ومسلم (٩٠١) ٢/ ٦١٨ ـ ٦٢٠، وأبو داود (١١٨٧) ١/ ٣٠٩.
والنسائي ٣/ ١٠٨، ومالك ١/ ١٨٦، وأحمد ٦/ ١٦٤، والدارمي (١٥٢٧) ١/ ٤٣٠ ـ ٤٣١. =

وفي بعضها: «إنّ الله يغار، وغَيْرته أن يأتي العبد ما حرَّم عليه»[1].

والغَيْرة فيها من البغض والغضب ما يدفع به [الإنسان][2] ما غار منه، فالزنا وإن كان صادراً عن الشهوة والمحبة منهما، أو من أحدهما، فإنّ ذلك مقابل [بضرورة التنزّه عن الفواحش، والتورّع عن المحرمات][3]. فأمر الله أن لا تأخذنا[4] بهما رأفة في دين الله، فنهانا عن أن تكون[5] منا رأفة تدفع العذاب عنهما، فضلاً عن أن يكون محبة لذلك الفعل. ولهذا أخبرنا به بأنه لا يحب ذلك أصلاً، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، وما لا يأمر به لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب لا يحبه، قال لوط عليه السلام: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨] والقِلى: بغضه وهجره، والأنبياء أولياء الله، / يحبّون ما يحبّ الله ويبغضون ما يبغض. ظ ١٩٥

وربما قيل: القلى أشدّ البغض[6]، فالله سبحانه يبغض ذلك، وهو سبحانه يبغض كلّ ما نهى عنه، كما أنه يحب كلّ ما أمر به. بل الغَيْرة مستلزمة لقوة البغض، إذ كلّ مَنْ يغار يبغض ما غار منه، وليس كلّ مَنْ يبغض شيئاً يغار منه، فالغيرة أحص وأقوى.

= وعبد الرزاق ٣/ ٩٦.
وأبو بكر السجستاني في مسند عائشة، حديث رقم (٦٩) ص٨٠.

(١) رواه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١)، والترمذي (١١٦٨)، وأحمد ٢/ ٣٤٣ ـ ٣٨٧ ـ ٥١٩ ـ ٥٢٠ ـ ٥٣٦ ـ ٥٣٩، والطيالسي (٢٣٥٧). وابن حبان (٢٩٣) ١/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩.

(٢) ما بين القوسين زيادة ليستقيم الكلام.

(٣) في الأصل: مقابل بصدق. ولعل ما أثبته من كلام زدته بين القوسين تستقيم به العبارة.

(٤) في الأصل: يأخذنا.

(٥) في الأصل: يكون.

(٦) في المفردات ص٤١٢: القلى: شدة البغض.
وانظر عمدة الحفاظ ٣/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦، والقاموس المحيط ص١٧٠٩.

ولا ريب أنّ المرأة المزوَّجة الزانية استحقّت الغضب لشيئين:

لأجل ما في الزنا من التحريم.

ولأنها[1] اعتدت فيه على الزوج فأفسدت فراشه، ولهذا كان للزوج[2] إذا قذف امرأته ولم يأتِ بأربعة شهداء: أن[3] يلاعنها، لما في ذلك من الحقّ، ولأنه مظلوم إذا كان صادقاً، وعليه في زناها من الضرر ما يحتاج إلى دفعه بما شرعه الله، كالمقذوف الذي له أن يستوفي حدّ القذف من القاذف الذي ظلمه في عرضه، فكذلك الزوج له أن يستوفي حدّ الفاحشة من البغي الظالمة له، المعتدية عليه. كما قال النبي ﷺ في حقّ الرجل على امرأته: «**وأن لا يوطئن فرشكم مَنْ تكرهونه**»[4]، فلهذا كان له أن يقذفها ابتداءاً، [وقذفها][5] إما مباح له وإما واجب عليه إذا احتاج إليه لنفي النسب، ويضطرها بذلك إلى أحد أمرين:

إما أن تعترف[6] فيقام عليها الحدّ، فيكون قد استوفى حقّه،

---

(١) في الأصل: ولهذا. ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: الزوج. ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل: أي، ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) جزء من حديث طويل، رواه الترمذي في كتاب الرضاع، باب (١١) ما جاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم (١١٦٣) ٣/ ٤٦٧.
وابن ماجه في كتاب النكاح، باب (٣) حق المرأة على الزوج، حديث رقم (١٨٥١).
والنسائي في عشرة النساء، من سننه الكبرى، حديق رقم (٩١٦٩) ٥/ ٣٧٢ وسنده ضعيف، فيه:
سليمان بن عمرو بن الأحوص: قال ابن القطان: مجهول.
انظر التهذيب ٤/ ٢١٢، والتقريب ١/ ٣٢٨، والكاشف ١/ ٣١٨ وله شاهد عند أحمد ٥/ ٧٢ ـ ٧٣ عن أبي حرة، عن عمه. وفيه علي بن زيد بن جدعان: ضعيف.

(٥) ما بين القوسين زيادة ليستقيم الكلام.

(٦) في الأصل: يعترف.

وتطهرت هي ـ أيضاً ـ من الجزاء لها والنكال [في الآخرة][1] بما[2] حصل.

وإما أن تبوء بغضب الله عليها وعقابه في الآخرة الذي هو أعظم من عقاب الدنيا، فإنّ الزوج مظلوم معها، والمظلوم له استيفاء حقّه إما في الدنيا وإما في الآخرة[3]، قال الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] [بخلاف غير الزوج][4] فإنه ليس له حقّ الافتراش، فليس له قذفها، ولا أن يلاعن إذا قذفها، لأنه غير محتاج إلى ذلك [مثل][5] الزوج، ولا هو مظلوم في فراشها، لكن يحصل بالفاحشة من ظلم غير الزوج ما لا يحتاج إلى اللعان، فإنّ في الفاحشة إلحاق عار بالأهل، والعار يحصل بمقدمات الفاحشة.

فإذا لم تكن الفاحشة معلومة بإقرار ولا بيِّنة كان عقوبة ما ظهر منها كافياً في استيفاء الحق، مثل الخلوة والنظر ونحو ذلك من الأسباب التي نهى الله عنها، وهذا من محاسن الشريعة.

وكذلك كثيراً ما يقترن بالفواحش من ظلم غيرالزانيين، فإنه إذا حصل بينهما محبة ومودة فاحشة كان ذلك موجباً لتعاونهما على أغراضهما، فيبقى[6] كلّ منهما يعين الآخر على أغراضه التي يكون[7] فيها ظلم الناس، فيحصل العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما / في القبيح، وتعاونهما[8] بذلك على الظلم، كما جرت العادة في البَغِيِّ

ص ١٩٦

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في الأصل ليستقيم الكلام.
(٢) في الأصل: ما.
(٣) بعد كلمة الآخرة توجد في الأصل عبارة: بخلاف الزوج: وهي عبارة مقحمة، وبحذفها يستقيم الكلام.
(٤) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام.
(٥) ما بين القوسين ليس في الأصل، يستقيم بها الكلام.
(٦) في الأصل: بقي.
(٧) في الأصل: تكون.
(٨) في الأصل: ويعاونهما.

من النساء والصبيان أنّ خدنه أو المسافح به يحصل له منه من الإكرام والعطاء والنصر والمعاونة ما يوجب استطالة ذلك الفاجر بترك حقوق الخلق والعدوان عليهم.

وأيضاً [فإنّ] محبته له قد تحمل[1] الطالب الراغب على أخذ أموال الناس بغير حقّ ليعطيه ذلك[2]، وتحمله ـ أيضاً على ترك حقوق الناس وقطيعة رحمه[3] لأجل ذلك الشخص، فإنه لا يمكن الجمع بين الأمرين. ويحمله ـ أيضاً ـ على الانتصار له بالعدوان.

ففي الجملة المحبة توجب موافقة المحب للمحبوب. فإذا كانت المحبة فاسدة لا يحبّها الله ولا يرضاها، إذا لم يتعدّ ضررها للاثنين، تكون العقوبة لهما حقاً لله، لكن هي في الغالب، بل في اللازم، يتعدّى ضررها إلى الناس؛ فإنّ كلّ واحد من الشخصين عليه حقوق للناس، وهو يُنهى عن العدوان عليهم، فإذا تحابّا وتعاونا لم يتمكّن كلّ منهما من القيام بحقوق الناس، واحتاج إلى أن يتعدّى عليهم.

ولا ينبغي للإنسان أن يغترّ[4] بظاهر ما يُقال: إنّ الإنسان إذا فعل فاحشة فإنّ الإثم عليه خاصة، وليس ذلك بظلم للغير[5]، فإنّ ذلك إنما هو في الفاحشة المحضة، مثل الزنا المحض[6]، الذي لم يتعلّق به حق الغير، فأما زنا الزوجة ففيه ظلم بالاتفاق كما بيّناه.

وكذلك المحبة والعشق الفاسد، فإنّ هذا أعظم ضرراً من الزنا مرة واحدة، فإنّ الرجل إذا زنا مرة أو مرتين حصل غرضه، وكذلك

---

(١) في الأصل: أيضاً محبته له قد يحمل.
ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) في الأصل: ليطيعه ذلك، وهو تحريف. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.
(٣) في الأصل: ويطيعه رجمه. وهو تحريف. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.
(٤) في الأصل: أن يعتبر.
(٥) في الأصل: الغير. ولعل الصواب ما أثبته.
(٦) في الأصل: المختص. وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبته.

المرأة، ثم إنه قد يكون بِعِوَضٍ[1] من أحدهما للآخر وقد لا يكون، فربما كان فيه ظلم للغير.

وأما المحبة والعشق، فإنّ ذلك مستلزم للعدوان على غيرهما في العادة، فإنّ المحبة توجب أن يُعْطَى المحبوب من المنافع والأموال ما يوجب حرمان الغير والعدوان عليه، ويوجب من الانتصار للمحبوب والدفع عنه ما فيه ـ أيضاً ـ ترك حقّ الغير والعدوان عليه.

ألا ترى أنّ الرجل إذا أحب غير امرأته، أو المرأة [إذا][2] أحبت غير زوجها، قصَّر كلّ منهما في حقوق الآخر واعتدى عليه. بل إذا أحبّ الرجل امرأةً أو صبياً قصَّر في حقوق أهله وأصدقائه ممن[3] له عليه حقّ، بل وظلمهم أيضاً، كما يظلم غيرهم لأجله؟! وهذا سوى ما في ذلك من حقّ الله الذي يوجب غليظ عقابه. وإن كان الرجل العاقل قد يقوم / من الحقوق بما يمكن، ويدع الظلم بحسب الإمكان، إلاّ أنّ هذا مظنّة وسبب لذلك، وهذا مما يوجب تحيّر الرجل وتردّده وتلومه إلى الحقّ تارة وإلى الباطل أخرى، وهذا مرض عظيم، كما ذكر الله تعالى ذلك في قوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

ظ ١٩٦

وأما ما في ذلك من ظلم كلّ منهما لنفسه ولخدنه فذاك ظاهر، لكنهما[4] ظلما أنفسهما، فهما الظالمان المظلومان. وأما الغير فظلماه بغير رضاه ولا اختياره.

وكذلك ما تفضي إليه هذه المحبة الباطلة من ظلم كلّ منهما للآخر، إما بقتله، وإما بتعذيبه بغير الحق، وإما منعه من الاتصال

---

(١) في الأصل: ثم إنه كان يعوض. ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) ما بين القوسين زيادة ليست في الأصل.
(٣) في الأصل: من.
(٤) في الأصل: ممكنهما.

بالناس، وفعل ما يختار من مصلحة وغيرها. ففيها هذه المفاسد كلّها وأكبر منها، لكن ذلك ظلم منهما لأنفسهما مبدؤه[1] المحبة الفاسدة.

ولهذا أمر سبحانه أن لا تأخذنا[2] بهما رأفة في دين الله، فإنّ الرأفة والرحمة توجب أن توصِّل للمرحوم[3] ما ينفعه، وتدفع عنه ما يضرّه، وإذا رأف بهما أحد[4] لأجل ما [في][5] قلوبهما من الشهوة والمحبة وغير ذلك، وترك عذابهما[6]، كان ذلك جالباً لما يضرّهما ودافعاً لما ينفعهما، فإنّ ذلك مرض في قلوبهما. والمريض[7] الذي يشتهي ما يضرّه ليس دواؤه إعطاءه[8] المشتهى الضار، بل دواؤه[9] الحِمْيَة وإن آلمته، وإعطاؤه[10] ما ينفعه، وتعويضه عن ذلك الضارّ بما أُمر مما لا يضرّ.

فهكذا أهل الشهوات الفاسدة، وإن أضرمت قلوبهم نار الشهوة ليس رحمتهم والرأفة بهم تمكينهم[11] من ذلك، أو ترك عذابهم، فإنّ ذلك يزيد بلاءهم[12] وعذابهم، والحرارة التي في قلوبهم مثل حرارة المحموم، متى مُكِّن المحموم مما يضرّه ازداد مرضه، أو انتقل إلى مرض شرّ منه.

---

(١) في الأصل: مبدأه.
(٢) في الأصل: يأخذ.
(٣) في الأصل: المرحوم.
(٤) في الأصل: رب، وهو تحريف، ولعل الصواب ما أثبته.
(٥) ما بين القوسين زيادة ليست في الأصل.
(٦) في الأصل: عذابها.
(٧) في الأصل: والمرض. ولعل الصواب ما أثبته.
(٨) في الأصل: دواه أعطاه.
(٩) في الأصل: دواه.
(١٠) في الأصل: في الأصل: وأعطاه.
(١١) في الأصل: تمكنهم.
(١٢) في الأصل: بلادهم. وهو تحريف.

فهذه حال أهل الشهوات، بل تُدفع تلك الشهوة الحلوة بضدّها، والمنع من موجباتها، ومقابلتها بالضدّ من العذاب المؤلم ونحوه الذي[1] يخرج المحبة من القلب كما قيل:

فإني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فإذا كان يحصل بالمحبة ونيل الشهوة أمر مما يزيد ألمه على لذتها انكفّت النفس. وكذلك إذا حصل بدله أمر لذيذ أطيب منه اغتاظت النفس. فاللذيذ يُترك لما يرجح عليه من لذيذ وأليم، كما أنّ الأليم محتمل لما يرجح عليه من لذيذ وأليم. وإذا تكافئا تقابلا، فلم يغلب أحدهما الآخر، بل تبقى الأمور على ما هي عليه إذا استوت الدواعي والصوارف، واحتمال الأليم وفوت اللذيذ وإن كان فيه مرارة، فذلك يُدفع به ما هو أمرّ منه، ويُجلب به ما هو أرجح منه من الحلو.

ولكن هذا من محبة بني آدم وفتنتهم التي لا بد منها، وهي مخالفة الأهواء، فلا تقوم مصلحة أحد من بني آدم بدون ذلك أبداً، لا مصلحة دنياه ولا مصلحة دينه، كما قال إبراهيم الحربي[2]: «أجمع عقلاء كلّ أمة على أنّ النعيم لا يدرك بالنعيم، ولا بدّ من الصبر في جميع الأمور، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣]».

فلا بدّ من التواصي بالحق والصبر، إذ أهل الفساد والباطل لا يقوم باطلهم إلاّ بصبر عليه أيضاً، لكن المؤمنون يتواصون بالحق والصبر، وأولئك يتواصون[3] بالصبر على باطلهم، كما قال قائلهم[4]:

---

(١) في الأصل: التي.

(٢) هو إبراهيم بن إسحاق بن بشير الحربي، علم من أعلام المحدثين والزهاد. انظر طبقات الحنابلة ١/٨٦ ـ ٩٣، وتاريخ بغداد ٦/٢٧ ـ ٤٠.

(٣) في الأصل: يتواصوا.

(٤) في الأصل: كما قال تعالى قاتلهم. وهو تحريف.

﴿أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦].

فالتواصي بالحقّ بدون الصبر، كما يفعله الذين يقولون: آمنا بالله فإذا أُوذِي أحدهم في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله، والذين يعبدون الله على حرف، فإنّ أصاب أحدهم خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة.

والتواصي بالصبر بدون الحقّ، كقول الذين قالوا: أن امشوا واصبروا على آلهتكم، كلاهما موجب للخسران. / وإنما نجا[1] من الخسران الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وهذا موجود في كلّ مَنْ خرج عن هؤلاء من أهل الشهوات الفاسدة، وأهل الشبهات الفاسدة، وأهل الفجور، وأهل البدع. ظ ١٩٧

وما ذكرناه من أنّ المحبة الفاسدة توجب ظلم المتحابَّيْن[2] لأنفسهما ولغيرهما موجود في كلّ محبة يبغضها الله، كمحبة الأنداد والشركاء من دونه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ﴾ [البقرة: ٩٣] وكمحبة أهل الشهوات لجنس[3] الفواحش، ومحبة أهل الظلم، والقائلين على الله ما لا يعلمون، فإنّ المحبة توجب تعاون المتحابَّيْن واتفاقهما، فلا بدّ أن يبغضا ويعاديا[4] من يبغض ذلك منهما ويخالفهم فيه.

ومعلوم أنّ كلّ مؤمن، فإنه يبغض ما يبغضه الله، ويحبّ ما يحبّه الله؛ فلا بدّ أن يكون التحابّ الذي يبغضه الله موجباً لنوع بُغض المؤمنين بحسبه.

---

(١) في الأصل: نجوا.
(٢) في الأصل: المعانين. وهو تحريف، ولعل الصواب ما أثبته.
(٣) في الأصل: في جنس. ولعل الصواب ما أثبته.
(٤) في الأصل: وتعاونا. وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبته.

فصل

[تقسيم العلم إلى فعلي وانفعالي]

قد كتبت في غير هذا الموضع أنّ الناس وإن تنازعوا في العلم: هل هو صفة انفعالية تابعة للمعلوم، كما قد يطلقه كثير من أهل الكلام؟ أو هو صفة فعلية مؤثِّرة في المعلوم، كما يقوله طوائف من المتفلسفة؟

فإنّ الصواب أنه ينقسم إلى النوعين جميعاً. فمنه ما هو تابع للمعلوم غير مؤثر فيه بحال، وهو العلم النظري القولي الخبري المحض، كعلمنا بما لا تأثير لنا في وجوده، كالعلم بالخالق سبحانه وتعالى وملائكته وكتبه وأنبيائه وسائر مخلوقاته.

ومنه ما هو فعلي[1] له تأثير في المعلوم، كعلمنا بأفعالنا الاختيارية[2] وما يترتب عليها / من حصول منفعة ودفع مضرة. ص ١٩٨

وهذا التقسيم ثابت في علم الله تعالى، فإنه يعلم نفسه ويعلم مخلوقاته أيضاً.

والأول: علم بموجود.

---

(١) في الأصل: فعل.
(٢) في الأصل: الاختياره.

والثاني: علم بمقصود.

لكن العلم بالموجود المستغني عن أفعالنا يتبع العلم به حبّه تارة وبغضه أخرى، فيكون العلم به سبباً لأفعال لنا متعلقة به، فيكون هذا العلم الانفعالي فعلياً مؤثراً من هذا الوجه، وعلمنا بالحسنات والسيئات التي في أفعال غيرنا من هذا الوجه.

وعلم الرب سبحانه بأفعال عباده الصالحة والسيئة مستلزم ـ أيضاً ـ حبه للحسنات وبغضه للسيئات. والعلم بالمقصود من أفعالنا، وإن كان مؤثراً في المعلوم، وهو سبب في حصوله، فلا يكون إلاّ بعد علم بأمور موجودة أوجب قصداً أو اختياراً[1] لتلك الأفعال، فإنّ الفعل الاختياري يتبع الإرادة، والإرادة تتبع المراد، فلا بدّ أن يتصوّر الفاعل المراد قبل قصد الفعل الذي هو سبب إليه، كما يقال: آخر الفكرة أول العمل[2]، وتسمى العلّة الغائية. [فلا بدّ من تصوّر] ذلك المراد[3]، وأن يكون ما يترتّب على الفعل من لذّة تجلب منفعة وتدفع[4] مضرّة، فاللذة مشروطة بالإحساس باللذيذ، والإنسان لا يفعل ابتداءً لطلب لذيذ إلاّ أن يكون قد أحسَّه قبل ذلك فأحبّه واشتهاه واشتاق إليه، وذلك علم بأمر موجود تابع للمعلوم، تبعه علم بأمر مقصود تابع للعلم. وإن كانت اللذة قد تحصل ابتداءً لا عن شوق، كمن يذوق الشيء الطيب الذي لم يكن يعرفه فيحبّه بعد ذلك، لكن هذا لم يتقدّم منه طلب وفعل في حصول هذا المحبوب، بخلاف مَنْ ذاقه ابتداءً فأحبّه، ثم سعى في تحصيل نظائر ما حصل له ابتداءً.

---

(١) في الأصل: أو إخباراً. وهو تحريف، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: أول الفكر آخر العمل، وهو خطأ، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل: الغائية، وذلك المراد.
ووجدت أنّ العبارة غير مستقيمة، ولعل ما أثبته يستقيم به الكلام.

(٤) في الأصل: ودفع.

فقد تبيّن أن كلاًّ من العلمين: الفعلي والانفعالي مستلزم للآخر، وكذلك علم الرب سبحانه وتعالى بنفسه مستلزم لعلمه بصفاته وأفعاله ومفعولاته، وهو سبحانه يحمد نفسه ويثني عليها، فلا نحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وعلمه[1] بأفعاله ومفعولاته مستلزم لعلمه بنفسه، وعلمه بالمخلوقات وأفعالها يتبعه حبّه وبغضه، وأمره ونهيه، وعلمه بما يفعله بعباده من ثواب وعقاب وغير ذلك تابع لعلمه بما هي عليه، وقد تكلّمنا على نحو هذا في غير هذا الموضع.

وإنما المقصود في هذا المكان أنّ هذا التقسيم الوارد في العلم يرد نحوه في الإرادة والمحبة ونحو ذلك.

فإنّ الإرادة والمحبة تنقسم ـ أيضاً ـ إلى فعلية مؤثرة في المراد المحبوب، وهي إرادة الفعل وحبّه، [وإن كان المراد المحبوب تابعاً مفعولاً معدوماً][2].

وقد ظنّ بعض الناس أنّ الإرادة والمحبة ليست إلاّ هذا النوع، حتى قال: لا تتعلّق الإرادة والمحبة إلاّ بالمعدوم دون الموجود، وبالمحدَث دون القديم، وهذا قول طوائف من أهل الكلام. وأكثر هؤلاء هم أكثر القائلين بأنّ العلم لا يكون إلاّ انفعالياً[3]، فيجعلون العلم لا يتعلّق في الحقيقة إلاّ بمعلوم متبوع كالموجود، ويجعلون الإرادة لا تتعلّق إلاّ بمراد تابع كالمفعول المعدوم.

وتنقسم إلى انفعالية تابعة للمراد المحبوب ليست مؤثرة في وجوده أصلاً، بل يكون المحبوب المراد موجوداً بدون الإرادة، وإنما يحبّ المحبّ ذلك الموجود ويريده، ويقال في كثير من أنواع ذلك: يهواه ويعشقه، ونحو ذلك من العبارات.

---

(١) في الأصل: وعلم.

(٢) ما بين القوسين ليس في الأصل، ليستقيم الكلام.

(٣) في الأصل: إلّا غالبا. وهو تحريف، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

وهذا القسم في الحقيقة هو الأصل في القسم الأول، كما قد تكلّمنا عليه في بعض القواعد المتقدمة من سنين[1]، وذكرنا أنّ العلم ـ والإرادة ـ إنما يتعلّق أولاً بالموجود، وأنّ تعلّقه بالمعدوم تابع لتعلّقه بالموجود، وذكرنا أنّ الإنسان لا يحبّ الشيء ويريده حتى يكون له به شعور أو إحساس أو معرفة ونحو ذلك، ويكون مع ذلك بنفسه إليه ميل[2] وفيها له حبّ، وكلّ واحد من هاتين الفرقتين في[3] فطرته وجبلته المعرفة والمحبة، ولهذا كان كلّ / مولود يولد على الفطرة[4]: فطرة الإسلام، وهي عبادة الله وحده، وأصل ذلك معرفته ومحبته. والنفس لا تحس العدم[5] المحض، وإنما تعرف العدم بنوع من القياس المقدَّر على الوجود، كما يقدِّر في نفسه جبل ياقوت وبحر زئبق، فنزَّل ذلك مما علمه من الجبل ومن الياقوت، ثم ينفي[6] ذلك المقدَّر في ذهنه أن يكون موجوداً في الخارج، وهو لم يحكم على نفيه حتى صار موجوداً في

ص ١٩٩

---

(١) بعد كلمة «السنين» توجد عبارة غير واضحة كأنها: «المستلزمة الاعتراف». والكلام يستقيم بدونها.
(٢) في الأصل: مثل.
(٣) في الأصل: هو في.
(٤) كما ورد في الحديث.
رواه البخاري (١٣٥٨ ـ ١٣٥٩ ـ ٤٧٧٥)، ومسلم (٢٦٥٨)، والترمذي (٢١٣٨)، وعبد الرزاق (٢٠٠٨٧)، وأحمد ٢٣٣ ـ ٢٥٣ ـ ٢٧٥ ـ ٢٨٢ ـ ٣١٥ ـ ٣٤٦ ـ ٤١٠ ـ ٤٨١.
والطحاوي ٢/١٦٢، والطيالسي (٢٤٣٣).
وابن حبان (١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠) ١/٣٣٦ ـ ٣٣٩.
والآجري في الشريعة ص١٩٤.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٨٤ ـ ٨٥) ١/١٥٤ ـ ١٦١.
وأبو نعيم في الحلية ٩/٢٦.
والخطيب في تاريخه ٣/٣٨ عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ.
(٥) في الأصل: القدم، وهو تحريف.
(٦) في الأصل: يبقى. وهو تحريف.

نفسه وجوداً تقديرياً[1].

فإذا كان الحب يتبع الإحساس، والإحساس لا يكون إلاّ بموجودٍ ما، [فإنّ ما][2] يُحبُّ لا يكون إلاّ بموجود.

وأيضاً فإنّ الإحساس لا يكون أولاً إلاّ لموجود، فكذلك الحب في نفسه لا يكون إلاّ لموجود أو محبوب[3]، وإن كان يحبّ وجود المعدوم [فهو][4] لا شيء، وما ليس بشيء لا يكون محبوباً، وإن كان يحبّ وجود المعدوم ويريده[5]، فلا بدّ أن يكون قبل ذلك قد ذاقه والتذَّ به موجوداً حتى أحبّه بعد ذلك، أو ذاق والتذَّ[6] بنظيره أو بما[7] يشبهه كما ذلك في العلم، وهذا مذكور في غير هذا الموضع.

ولا يرد على هذا ما يوجد من بكاء الصبي حين يولد قبل أن يذوق طعم اللبن، فإذا ذاق اللبن التذَّ به وسكن، فإنّ الصبي قبل ذوقه اللبن لم يكن يحبه ويشتهيه، ولكن يجد ألم الجوع فيبكي من ذلك الألم. فلما ذاق اللبن ووجد لذته، وأنه أذهب ألم الجوع أحبّه من حينئذٍ، ومن حينئذٍ صار يشتهيه ويحبّه. وهكذا كلّ من جاع فإنه لا يشتهي شيئاً معيناً إلاّ أن يكون ذاقه قبل ذلك، ولكن يجد طلباً لما يزيل به ألم الجوع، ولهذا إذا حضر عنده ما قد ذاقه قبل ذلك، وما لم يطقه قبل ذلك، اشتاق إلى الأول وأحبّه، وكان شوقه إلى الثاني ومحبّته إياه مشروطاً بذوقه إياه وسماع وصفه ممن يخبره، [فإنّ سماع الوصف][8] يورث المحبة والشوق، كما يورث العلم، كما قيل:

---

(١) في الأصل: تقديراً. ولعل الصواب ما أثبته.
(٢) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام.
(٣) في الأصل: موجوداً ومحبوباً. ولعل الصواب ما أثبته.
(٤) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام.
(٥) في الأصل: ويراد. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.
(٦) في الأصل: واليد. وهو تحريف.
(٧) في الأصل: أو لما.
(٨) ما بين القوسين ليس في الأصل، زدته ليستقيم بها الكلام.

والأذن تـعـشـق قـبـل الـعـيـن أحـيـانـاً

لكون النفس ذاقت طعم الحب لما هو من نظير لذلك أو شبيه به ولو من وجه بعيد، فكما أنّ الشيء لا يتصوّر إلاّ [بعد] الحس به[١]، أو بما فيه شبه به من بعض / الوجوه، فكذلك لا يحبّ كذلك. ظ ١٩٩

ولهذا ضُربت الأمثال للتعريف والترغيب والترهيب، فإنّ الأمور الغائبة عن المشاهدة والإحساس لا تُعرف وتُحبّ وتبغض إلاّ بنوع من التمثيل والقياس، سواء كان الغائب أكمل في الصفات المطلوبة[٢] المشتركة، كالموعود به من أمر الجنة والنار، وكما يصف به الربّ نفسه سبحانه وتعالى، أو ما كان دون ذلك، كما مثّل من الأمور بما هو أكمل منه.

ومن هنا ضَلَّ مَنْ ضَلَّ من الصابئة المتفلسفة، ومَنْ أضلّوه من أهل الملل، حيث ظنوا أنّ ما وصف الله به الجنة والنار إنما هي أمثال مضروبة لتفهيم المعاد الروحاني من غير أن تكون حقائق. وضلّ مَنْ رَدَّ عليهم من نفاة أهل الكلام. كما أصاب الفريقين مثلُ ذلك في أمر النفس الناطقة، حيث تقابلوا[٣] بالنفي والإثبات، وحيث اتفق الفريقان على مثل هذا الضلال في صفات ذي الجلال، فخاضوا في باب الإيمان بالله واليوم الآخر خوضاً ليس هذا موضع بسط الكلام فيه، **وإن كان كلّ ذي مقالة فلا بدّ أن تكون في مقالته[٤] شبهة من الحق، ولولا ذلك لما راجت واشتبهت.**

وإن كانت الإرادة والمحبة تنقسم إلى متبوعة للمراد تكون له كالسبب الفاعل، وإلى تابعة للمراد يكون هو لها كالسبب الفاعل،

---

(١) في الأصل: إلاّ الحسن به، ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) كتب في الأصل فوق كلمة: «المطلوبة»: «كذا».

(٣) في الأصل: تقلكوا. ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) في الأصل: العبارة محرفة هكذا: وإن كان حال ذي مقالة فلا بد من مقاليه في. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

وتكون[1] عنه كالمسبّب المفعول، وهذا هو الأصل.

وإذا[2] عُلم أنّ جميع حركات العالم صادرة عن محبّة وإرادة، ولا بد: للمحبة والإرادة من سبب فاعل يكون هو المحبوب المراد، عُلم بذلك أنه لا بدّ لجميع الحركات من إلٰه يكون المعبود المقصود المراد المحبوب لها[3]، وأنها دالّة على الإلٰه الحق من هذا الوجه، وأنه لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا، وهذا غير هذا الوجه الذي دلّت منه على ربوبيته. وقد بسطنا الكلام على ذلك في مواضع متعدّدة، إذ هو أجلّ العلم الإلهي[4] وأشرفه. وإنما كان المقصود هنا التنبيه على أنّ الإِرادة نوعان كالعلم، والله أعلم.

تمت بحمد الله تعالى

خاتمة التحقيق

ختم الله لنا بالحسنى

يقول العبد الفقير إلى عفو مولاه ومغفرته ورضوانه، أبو عبدالرحمن فواز أحمد زمرلي:

انتهيت من تحقيق هذه الرسالة النافعة الطيبة المباركة مساء يوم الأربعاء الموافق ٢٤ ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتبه
ابو عبد الرحمن
فوّاز احمد زمرلي
عفا الله عنه وتجاوز عن سيئاته

(١) في الأصل: ويكون.
(٢) في الأصل: وقد. وهو تحريف.
(٣) في الأصل: بها.
(٤) في الأصل: إذ هو أحد العلم اللاهي. وهو تحريف.

فهرس الأحاديث الشريفة

أول الحديث	رقم الصفحة

أول الحديث	رقم الصفحة

فهرس المصادر والمراجع

١ - الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم، تحقيق باسم الجوابرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - دار الراية - الرياض.

٢ - الآداب، للبيهقي، تحقيق محمد عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.

٣ - الإبانة، لابن بطة، تحقيق رضا معطي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - دار الراية - الرياض.

٤ - الإحسان، في تقريب صحيح ابن حبان، لابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.

٥ - أحكام القرآن، للجصاص، ضبطه عبدالسلام شاهين، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.

٦ - اختيار الأولى في شرح اختصام الملأ الأعلى، لابن رجب الحنبلي، تحقيق جاسم الدوسري، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - مكتبة دار الأقصى - الكويت.

٧ - الإخوان، لابن أبي الدنيا، تحقيق مصطفى عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.

٨ - الإخلاص، لابن رجب الحنبلي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت.

٩ - أخلاق حمَلَة القرآن، للآجري، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - دار الكتاب العربي - بيروت.

١٠ - أخلاق النبي ﷺ وآدابه، لأبي الشيخ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - دار الكتاب العربي - بيروت.

١١ - الأدب المفرد، للإمام البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - دار البشائر الإسلامية - بيروت.

١٢ - الأربعون الصغرى، للبيهقي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - دار الكتاب العربي - بيروت.

١٣ - الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

١٤ - استنشاق نسيم الأنس، لابن رجب الحنبلي، تحقيق أحمد الشريف، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - المكتب الإسلامي - بيروت.

١٥ - الأسماء والصفات، للبيهقي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - دار الكتاب العربي - بيروت.

١٦ - الإشراف على مذاهب أهل العلم، لابن المنذر، تحقيق محمد نجيب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - دار الثقافة - مصر.

١٧ - الإصابة، لابن حجر، دار الكتاب العربي - بيروت.

١٨ ـ أصول السنة، لابن أبي زمنين، تحقيق عبدالله البخاري، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة النبوية الشريفة.
١٩ ـ أصول الفقه، لمحمد أبي زهرة، دار الاعتصام ـ القاهرة.
٢٠ ـ إصلاح المال، لابن أبي الدنيا، تحقيق مصطفى القضاة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ دار الوفاء ـ مصر.
٢١ ـ الاعتصام، للشاطبي، تحقيق سليم الهلالي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ دار ابن عفان ـ السعودية.
٢٢ ـ الاعتقاد، للبيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.
٢٣ ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، مؤسسة الإيمان ـ بيروت.
٢٤ ـ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، لعمر البزار، المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٢٥ ـ الاغتباط بمعرفة مَن رمي بالاختلاط، لسبط ابن العجمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٢٦ ـ الأم، للشافعي، دار المعرفة ـ بيروت.
٢٧ ـ الأمالي، للمحاملي، تحقيق إبراهيم القيسي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ المكتبة الإسلامية ـ عمان، ودار ابن القيم ـ الدمام.
٢٨ ـ الأمثال، لأبي الشيخ، تحقيق عبدالعلي عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ الدار السلفية ـ الهند.
٢٩ ـ الأنوار في شمائل المختار، للبغوي، تحقيق إبراهيم اليعقوبي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ دار الضياء ـ بيروت.
٣٠ ـ الإيمان، للقاسم بن سلام، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٣١ ـ الإيمان، لابن منده، تحقيق علي الفقيهي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
٣٢ ـ البحر الزخار، للبزار، تحقيق محفوظ الرحمٰن زين الله، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ مؤسسة علوم القرآن، سوريا، ومكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة.
٣٣ ـ البحر المحيط، لأبي حيان، دار الفكر ـ بيروت.
٣٤ ـ البداية والنهاية، لابن كثير، دار المعرفة ـ بيروت.
٣٥ ـ بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، المكتبة العلمية ـ بيروت.
٣٦ ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٣٧ ـ التاريخ الكبير، للإمام البخاري، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٣٨ ـ التذكرة والاعتبار، لابن شيخ الحزاميين، تحقيق عبدالرحمٰن الفريوائي، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ـ دار العاصمة ـ الرياض.
٣٩ ـ الترغيب في فضائل الأعمال، لابن شاهين، تحقيق صالح الوعيل، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ دار ابن الجوزي ـ السعودية.
٤٠ ـ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، للحافظ ابن حجر، دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٤١ ـ تعريف أهل التقديس، للحافظ ابن حجر، تحقيق عبدالغفار البنداري ومحمود عبدالعزيز، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٤٢ ـ تعظيم قدر الصلاة، للمروزي، تحقيق عبدالرحمٰن الفريوائي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ مكتبة الدار، المدينة المنورة.
٤٣ ـ تغليق التعليق، للحافظ ابن حجر، تحقيق سعيد القزقي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت، ودار عمار ـ الأردن.

٤٤ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار المعرفة - بيروت.

٤٥ - التفسير الكبير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبدالرحمٰن عميرة، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٦ - تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - دار المعرفة - بيروت.

٤٧ - التلخيص الحبير، للحافظ ابن حجر، تحقيق حسن قطب، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - مؤسسة قرطبة - مصر.

٤٨ - التمهيد، لابن عبدالبر، تحقيق سعيد أعراب وجماعة، طبعة سنة ١٣٨٧هـ - المغرب.

٤٩ - تنزيه الشريعة، لابن عراق، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، وعبدالله الصديق، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٠ - تنوير الحوالك، للسيوطي، دار الندوة الجديدة - بيروت.

٥١ - تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر، الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ - دائرة المعارف العثمانية - الهند.

٥٢ - تهذيب الكمال، للمزي، تصوير دار المأمون - دمشق.

٥٣ - التوحيد، لابن منده، تحقيق علي الفقيهي، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - نشر الجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة.

٥٤ - التوحيد لابن خزيمة، تحقيق محمد هراس، طبع سنة ١٣٩٨هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٥ - التوكل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق علي الشبل، دار العاصمة - الرياض.

٥٦ - الثقات، لابن حيان، دار الفكر - بيروت.

٥٧ - جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام الطبري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٨ - جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للعلائي، تحقيق حمدي السلفي، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - عالم الكتب - بيروت.

٥٩ - جامع الرسائل، لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - مطبعة المدني - مصر.

٦٠ - الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - دار الكتاب العربي - بيروت، وطبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

٦١ - الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، للإمام الغزي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - دار ابن حزم - بيروت.

٦٢ - جواب أهل العلم والإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - دار الكتاب العربي - بيروت.

٦٣ - الحجة في بيان المحجة، للأصفهاني، تحقيق الشيخ محمد ربيع، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - دار الراية - الرياض.

٦٤ - الحدود، للباجي - طبع مصر.

٦٥ - حسن الظن بالله، لابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي إبراهيم، مكتبة القرآن - مصر.

٦٦ - حلية الأولياء، لأبي نعيم، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي - بيروت.

٦٧ - درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

٦٨ - الدرر الكامنة، للحافظ ابن حجر، دار الجيل - بيروت.

٦٩ ـ الدر المصون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد الخراط، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ دار القلم ـ دمشق.
٧٠ ـ الدر المنثور، للسيوطي، دار المعرفة ـ بيروت.
٧١ ـ الدعاء، للطبراني، تحقيق محمد البخاري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.
٧٢ ـ دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٧٣ ـ ذم الدنيا، لابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي إبراهيم، مكتبة القرآن ـ القاهرة.
٧٤ ـ الذيل على تاريخ الإسلام (انظر التوكل).
٧٥ ـ الذيل على طبقات الحنابلة، دار المعرفة ـ بيروت.
٧٦ ـ الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق نور الدين عتر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٧٧ ـ الرد على بشر المريسي (ضمن سلسلة عقائد السلف)، الطبعة الأولى ١٩٧١هـ، تحقيق علي سامي النشار، وطبعة دار الكتب العلمية.
٧٨ ـ الرد على الجهمية، لابن منده، تحقيق علي الفقيهي، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
٧٩ ـ الرد الوافر، لابن ناصر الدين، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٨٠ ـ الروض البسام بترتيب فوائد تمام، ترتيب جاسم الدوسري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.
٨١ ـ زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٨٢ ـ الزهد، لهناد، تحقيق عبدالرحمٰن الفريوائي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ دار الخلفاء ـ الكويت.
٨٣ ـ الزهد، لوكيع، تحقيق عبدالرحمٰن الفريوائي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ مكتبة الدار ـ المدينة المنورة.
٨٤ ـ السنّة، لابن أبي عاصم، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٨٥ ـ السنّة، لعبدالله ابن الإمام أحمد، تحقيق محمد القحطاني، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ رمادي للنشر، والمؤتمن للتوزيع ـ السعودية.
٨٦ ـ السنّة، للخلال، تحقيق عطية الزهراني، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ـ دار الراية ـ الرياض.
٨٧ ـ سنن البيهقي، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.
٨٨ ـ سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وجماعة، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٨٩ ـ سنن الدارقطني، تحقيق عبدالله اليماني، دار المحاسن للطباعة ـ مصر، وطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٩٠ ـ سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٩١ ـ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر ـ بيروت.
٩٢ ـ سنن سعيد بن منصور، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٩٣ ـ سنن سعيد بن منصور (التكملة)، تحقيق سعد بن عبدالله آل حميد، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ دار الصميعي ـ الرياض.
٩٤ ـ سنن ابن ماجه، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٩٥ ـ سنن النسائي (الكبرى)، تحقيق عبدالغفار البنداري وسيد حسن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٩٦ ـ سنن النسائي (المجتبى)، دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٩٧ ـ الشذرة في الأحاديث المشتهرة، لابن طولون، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٩٨ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للإمام اللالكائي، تحقيق أحمد حمدان، الطبعة الثانية ـ دار طيبة ـ الرياض.
٩٩ ـ شرح حديث «**إنما الأعمال بالنيات**» لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ مؤسسة الريان ـ بيروت.
١٠٠ ـ شرح مشكل الآثار، للطحاوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١٠١ ـ شرح معاني الآثار، للطحاوي، تحقيق محمد زهدي النجار، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٠٢ ـ الشريعة، للآجري، تحقيق محمد الفقي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٠٣ ـ شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق محمد زغلول، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٠٤ ـ الشكر، لابن أبي الدنيا، تحقيق ياسين السواس، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ دار ابن كثير ـ دمشق.
١٠٥ ـ الشمائل النبوية، للترمذي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٠٦ ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، لمرعي الكرمي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ دار الفرقان ـ عمان، ومؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١٠٧ ـ صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
١٠٨ ـ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية ـ الرياض.
١٠٩ ـ صريح السنّة، للإمام الطبري، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ مكتب البحوث الثقافية ـ طرابلس ـ الشام.
١١٠ ـ الصفات، للمقدسي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت (ضمن عقائد أئمة السلف).
١١١ ـ صفة النفاق، للفريابي، تحقيق أبي عبدالرحمٰن المصري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ دار الصحابة ـ القاهرة.
١١٢ ـ الصمت، لابن أبي الدنيا، تحقيق أبي إسحاق الحويني، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١١٣ ـ الضعفاء الكبير، للعقيلي، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١١٤ ـ طبقات ابن سعد، دار صادر ـ بيروت ـ لبنان.
١١٥ ـ طبقات المحدثين، لأبي الشيخ، تحقيق عبدالغفور البلوشي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١١٦ ـ العدة للكرب والشدة، للمقدسي، تحقيق ياسر إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ دار المشكاة ـ القاهرة.

١١٧ ـ عقائد أئمة السلف، جمع واعتناء فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١١٨ ـ العلل، لابن أبي حاتم، تحقيق محب الدين الخطيب، طبعة سنة ١٤٠٥هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١١٩ ـ العلل الكبير، للترمذي، تحقيق صبحي السامرائي وأبو المعاطي النوري ومحمود الصعيدي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية ـ بيروت.
١٢٠ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لابن الجوزي، تحقيق إرشاد الحق الأثري ـ الهند.
١٢١ ـ العلل الواردة في الأحاديث، للإمام الدارقطني، تحقيق محفوظ السلفي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ دار طيبة ـ الرياض.
١٢٢ ـ العلم، لخيثمة، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.
١٢٣ ـ عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، تحقيق محمد التونجي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت.
١٢٤ ـ عمل اليوم والليلة، لابن السني، تحقيق سالم أحمد السلفي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت.
١٢٥ ـ عمل اليوم والليلة، للنسائي، تحقيق فاروق حمادة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١٢٦ ـ غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود، لأبي إسحاق الحويني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٢٧ ـ فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة السلفية ـ القاهرة.
١٢٨ ـ الفرج بعد الشدة، لابن أبي الدنيا، دار المشرق ـ القاهرة.
١٢٩ ـ فردوس الأخبار، للديلمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي ومحمد البغدادي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٣٠ ـ الفروق، لابن قيم الجوزية، جمعها يوسف الصالح، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ مطابع الفرزدق التجارية ـ الرياض.
١٣١ ـ الفروق، للعسكري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٣٢ ـ فضائل القرآن، للرازي، تحقيق عامر صبري، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.
١٣٣ ـ فضائل القرآن، لأبي عبيد، تحقيق مروان عطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ دار ابن كثير ـ دمشق.
١٣٤ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٣٥ ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي ـ بيروت.
١٣٦ ـ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، طبعة مؤسسة الرسالة الفنية.
١٣٧ ـ الكاشف، للذهبي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت، وطبعة مؤسسة علوم القرآن.
١٣٨ ـ الكافي الشافي، للحافظ ابن حجر، مطبوع بذيل الكشاف للزمخشري، مطبعة البابي الحلبي ـ مصر.
١٣٩ ـ الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ـ دار الفكر ـ بيروت.
١٤٠ ـ كشف الخفاء، للعجلوني، تحقيق أحمد القلاشي، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١٤١ - الكليات، للكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.
١٤٢ - الكنى، للبخاري، آخر (التاريخ الكبير)، دار الفكر - بيروت.
١٤٣ - الكنى، للدولابي، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٤٤ - اللآلىء المصنوعة، للسيوطي، دار المعرفة - بيروت.
١٤٥ - لسان الميزان، لابن حجر، الطبعة الأولى ١٣٢٩هـ - دائرة المعارف - الهند.
١٤٦ - اللآلىء المصنوعة، للسيوطي، دار المعرفة - بيروت.
١٤٧ - المبسوط، للسرخسي، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٤٨ - المجروحين، لابن حبان، تحقيق محمود زايد - دار المعرفة - بيروت.
١٤٩ - مجمع الزوائد، للهيثمي، دار الكتاب العربي - بيروت.
١٥٠ - المجموع للنووي، دار الفكر - بيروت.
١٥١ - المحرر الوجيز، لابن عطية، تحقيق عبدالسلام شافي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.
١٥٢ - المراسيل، لابن أبي حاتم، تحقيق شكر الله قوجاني، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.
١٥٣ - مساوىء الأخلاق، للخرائطي، تحقيق مصطفى عطا، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
١٥٤ - المستدرك، للحاكم، دار الكتاب العربي - بيروت.
١٥٥ - مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي - بيروت.
١٥٦ - مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق عبدالغفور البلوشي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - مكتبة الإيمان - المدينة المنورة.
١٥٧ - مسند أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه -، للمروزي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة ١٣١٩هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.
١٥٨ - مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٥٩ - مسند الروياني، تحقيق أيمن علي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - مؤسسة قرطبة - مصر.
١٦٠ - مسند سعد، للدورقي، تحقيق عامر صبري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - دار البشائر الإسلامية - بيروت.
١٦١ - مسند الشاميين، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
١٦٢ - مسند الشهاب، للقضاعي، تحقيق حمدي السلفي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.
١٦٣ - مسند الطيالسي، دار المعرفة - بيروت.
١٦٤ - مسند عائشة رضي الله عنها، لأبي بكر السجستاني، تحقيق عبدالغفور حسين، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - مكتبة دار الأقصى - الكويت.
١٦٥ - مسند علي بن الجعد، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.
١٦٦ - المسند، للهيثم بن كليب، تحقيق محفوظ الرحمٰن زين الله، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.
١٦٧ - مسند أبي يعلى، تحقيق حسين أسد، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - دار المأمون للتراث - دمشق.
١٦٨ - مشيخة ابن طهمان، تحقيق محمد طاهر مالك، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق - طبعة سنة ١٤٠٣هـ.
١٦٩ - المصنف، لابن أبي شيبة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - دار التاج - بيروت.

١٧٠ ـ المصنف، لعبدالرزاق، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
١٧١ ـ المصنوع، لعلي القاري، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية ١٣٩٨ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١٧٢ ـ معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق خالد العك ومروان سوار، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٧٣ ـ المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق محمود الطحان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ مكتبة المعارف ـ الرياض.
١٧٤ ـ المعجم، للإسماعيلي، تحقيق زياد منصور، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة.
١٧٥ ـ المعجم، لابن الأعرابي، تحقيق أحمد البلوشي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ مكتبة الكوثر ـ الرياض.
١٧٦ ـ معجم الصحابة، لابن قانع، تحقيق صلاح سالم المصراتي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة.
١٧٧ ـ المعجم الصغير، للطبراني، تحقيق عبدالرحمٰن عثمان، المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.
١٧٨ ـ المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.
١٧٩ ـ معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٨٠ ـ معرفة الصحابة، لأبي نعيم، تحقيق محمد راضي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ مكتبة الدار ومكتبة الحرمين ـ السعودية.
١٨١ ـ المغني في الضعفاء، للذهبي، تحقيق نور الدين عتر، دار الوعي ـ حلب.
١٨٢ ـ المفردات للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ـ بيروت.
١٨٣ ـ المقاصد الحسنة، للسخاوي، تحقيق عبدالله الصديق وعبدالوهاب عبداللطيف، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٨٤ ـ مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ دار ابن حزم ـ بيروت.
١٨٥ ـ المنتخب في المسند، لعبد بن حميد، تحقيق صبحي السامرائي، ومحمود الصعيدي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ مكتبة السنة ـ القاهرة.
١٨٦ ـ المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق حلمي فودة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ دار الفكر ـ بيروت.
١٨٧ ـ موضح أوهام الجمع والتفريق، للخطيب البغدادي، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٨٨ ـ الموضوعات، لابن الجوزي، تحقيق عبدالرحمٰن عثمان، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ دار الفكر ـ بيروت.
١٨٩ ـ الموطأ، للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، مكتبة البابي الحلبي ـ مصر.
١٩٠ ـ ميزان الاعتدال، للذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة ـ بيروت.
١٩١ ـ وضح البرهان في مشكلات القرآن، لبيان الحق النيسابوري، تحقيق صفوان داوودي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ دار القلم ـ دمشق.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة